مكتبة الأنفال

الإباضية

في ميدان الحق



- الطريق الصحيح لمعرفة الحقيقة
- افتراءات كتّاب المقالات على الإباضية
- أسباب التعصب ضد الإباضية
- مفاهيم يجب أن تختفي
- أدلة استقامة الإباضية

إعداد
ناصر بن مطر المسقري

الطبعة الرابعة

مكتبة الأنفال

الإباضية

في ميدان الحق



- الطريق الصحيح لمعرفة الحقيقة
- افتراءات كتّاب المقالات على الإباضية
- أسباب التعصب ضد الإباضية
- مفاهيم يجب أن تختفي
- أدلة استقامة الإباضية

إعداد
ناصر بن مطر المسقري

الطبعة الرابعة
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

الناشر
مكتبة الأنفال
سلطنة عمان- مسقط
ص. ب: ٥٩٣، الرمز البريدي: ١١١
هاتف: ٩٩٤٤٦٦٣٠ (٠٠٩٦٨)

فرعنا الجديد:
الموالح الجنوبية - بالقرب
من مسجد الصادق الأمين.

التصميم والإخراج الفني موسى الكلباني 99452695

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد وآله وصحبه، وأتباعه وحزبه. وبعد فقد أطلعني الولد الفاضل الأستاذ ناصر بن مطر بن سعيد المسقري على مجموعته هذه التي سماها «الأباضية في ميدان الحق» فإذا هي مجموعة حافلة بأهم مسائل العقيدة وفي بعض فروع الدين. وقد أجاد في وضعها، وأحسن في صنعها. كما أحسن في توثيق ما نقله عن غيره، سواء عن علماء المذهب الأباضي، أو غيرهم. فأحسن في ذكر وأفاد ووثق وأجاد. فجزاه الله عما جمعه وكتبه خيرا. ولقيه في ميزانه. جزاء إحسانه. فلا يضيع الله أجر من أحسن عملا. وكتبه سعيد بن خلف بن محمد الخروصي في ذي القعدة الحرام عام ١٤١٩هـ ٢٥/٢/١٩٩٩م.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه العزيز: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران: ١٠٣)، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعي إلى الوحدة والوئام والناهي عن الفرقة والخصام، وعلى آله وصحبه الكرام، وبعد:

إن التباين والاختلاف سمة من سمات البشر تعود إلى طبيعة العجز البشري، وقد ابتليت بالافتراق كل الأمم ولم تسلم حتى أمة محمد ﷺ التي أرسل الله إليها أعظم رسول وأنزل إليها أجلّ كتاب حُذّرت فيه من الفرقة حيث قال الله سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران: ١٠٣)، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٥﴾ (آل عمران: ١٠٥)، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦).

۞ ليس العيب أن يخطئ الإنسان أو يقصّر أو يخالف فلا كمال إلا لله، فالخطأ مع الاستغفار يغتفر وإن كان فادحا، ولكن الذي لا يُغتفر هو خُلُق مكابرة الحق بالباطل والإصرار عليه والاستكبار عن الرجوع للحق والإعراض عن منهج القرآن الذي فيه هداية الناس والذي أمر الله -سبحانه وتعالى- فيه أن يحتكم إليه في أي نزاع حيث قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾ (النساء: ٥٩).

۞ وليس عيبا النقد التقويمي والبنّاء، بل هو أحد خصائص الإسلام الكبرى وهو وظيفةٌ اجتماعيةٌ ضروريةٌ لكشف جوانب الخطأ؛ لأن الإنسان قد لا يكتشف خطأه أو خطأ جماعته وقد يصعب عليه الاعتراف بالخطأ ويحاول الهروب منه ملقيا اللوم على غيره.

❁ وإنما العيب تلك الحملة الهوجاء التي يشنها أصحاب بعض الفرق الإسلامية على الفرق الأخرى لمحاولة تشويه تلك الفرق وطمس حقيقتها وتفريق أمة الإسلام التي لا يستفيد منه إلا أعداء الله الذين يكيدون للإسلام ليل نهار بلا هوادة.

❁ والإباضية ممن اصطلوا بنار الفتنة التي أوقدها هؤلاء المتعصبون الذين توجههم السياسة الماكرة وأهواؤهم النفسية معرضين عن تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي تدعو للوحدة وتحذر من الفرقة وتحذر من الكذب وظلم الآخرين وتدعو إلى العدل مهما بلغ بغض أولئك القوم يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (المائدة: ٨).

❁ فهذه الحملة التعسفية التي شنها هؤلاء على الإباضية بالافتراءات التي سطّروها في كتبهم أو بما تفوهت به ألسنتهم لطمس الحق بإخفاء حقيقة المذهب الإباضي عن الناس هي سبب كتابة هذه الرسالة الصغيرة التي سميتها: " **الإباضية في ميدان الحق** "؛ لإزاحة ركام الباطل وظلمة الظلم بنور الحق الذي جاء به القرآن والسنة النبوية وذلك بالاحتكام إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ واتباع هديهما في قول الصدق وقبول الحق، ضمنتها خمسة فصول: **الأول** في معرفة الحقيقة، و**الثاني** في ذكر بعض الادّعاءات على الإباضية وبيان كذبها، و**ثالثها** في مفاهيم يجب أن تختفي، و**الرابع** في المسائل الخلافية، و**ختمت** ذلك بذكر أدلة استقامة الإباضية، هذا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

ناصر بن مطر بن سعيد المسقري

١

الفصل الأول

معرفة الحقيقة وأسباب الجنوح الفكري

الباب الأول

الطريق الصحيح لمعرفة الحقيقة

إن من يريد الخير لأمة الإسلام عليه أن يبحث عن الحقيقة ويعبّر عنها كما هي وهذا سيقرب المسلمين من بعضهم حيث إن نقاط الخلاف تكون قليلة جدا، بخلاف الحاقدين الذين يجعلون الخلاف يزيد ويتسع فإذا كان في خمس نقاط يجعلونها عشرا.

ولا يمكن أن يصل الباحث إلى الحقيقة وهو يبحث عنها من غير مصدرها فكيف يعرف حقيقة فرقة من عند خصومها – إن صح التعبير –.

وكذلك لا يمكن أن يصل إلى الحقيقة إلا باستقراءٍ تام للفرقة أو الموضوع، وأيضا لا يمكن الوصول إلى الحقيقة إلا بالتخلص من أسباب الخطأ والجنوح الفكري الذي يعمي الإنسان ويصمه فيرى مالا ترى عيناه ويسمع مالا تسمع أذناه.

ولقد أجاد العلامة الشيخ عبد الرحمن الميداني في كتابه "بصائر للمسلم المعاصر" في إيضاح الطريق التي توصل إلى الحقيقة وإيضاح أسباب الجنوح الفكري التي تبعد الإنسان عن إدراك الحقيقة.

ومن تمام الفائدة نبقى مع العلامة الميداني نقلت ذلك مع بعض التصرف بالاختصار والزيادة.

يقول العلامة الميداني في الكتاب المذكور:

(إن لكل أمر حقيقة، ولكل حقيقة حدود ومقادير وكل إدراك أو تعبير عنه يهدف إلى إصابة الحقيقة ولو دعاء له أحد الوجوه التالية:

(١) أن يطابق الحقيقة مطابقة تامة وهو تمام الحق.

(٢) أن يزيد عليها من غيرها وذلك تجاوز وغلو وفيه من الباطل بقدر الزيادة.

(٣) أن ينقص منها وذلك تقصير أو قصور فإن كان مع ادعاء المطابقة ففيه باطل بقدر النقص.

(٤) أن ينحرف عن مطابقتها وذلك تجاوز وقصور وفيه من الباطل بمقدارهما إن كان مع إدعاء المطابقة.

(٥) أن يخرج عن الحقيقة خروجا كليا وهو إدراك أو تعبير كله باطل.

❁ إن الزيادة على حدود الحقيقة التي يوجه لها الإدراك مع تصور أو ادعاء أن هذه الزيادة داخلة في حدود الحقيقة تعميما فاسدا غير مطابق للحقيقة يسند إليها أحكاما وصفات ليست لها.

❁ والتعميم الفاسد في الحكم قد ينجم عنه قلب الحق باطلا والباطل حقا، والمعمَّم تعميما فاسدا قد يقبل المذهب كله لأنه قد رأى بعضه حقا، وقد يرفض المذهب كله لأنه قد رأى بعضه باطلا.

❁ إن على الباحث طالب الحق أن يجزئ عناصر الموضوع العام أو عناصر المذهب، ويبحث كل جزء فيه بحثا مستقلا ويعطي حكمه عليه بالدليل ولا يصح له أن يعطي حكما عاما بالصحة لمجرد أن رأى بعض عناصر الموضوع صحيحة أو رأى بعض مسائل المذهب صحيحة، فكثير من الأخطاء تأتي من الحكم على الكل بسبب ما اقتضاه الحكم على البعض ويسقط في الخطأ أو الغلط هنا فريقان:-

(أ) فريق يحكم ببطلان كل عناصر الموضوع أو المذهب وقضاياه ومقولاته لأنه رأى خطأ أو بطلانا في بعضها.

(ب) وفريق يحكم بالصحة لكل عناصر الموضوع أو كل مسائل المذهب وقضاياه ومقولاته لأنه رأى بعضها صحيحا.

❁ والمنهج الفكري السليم الذي يجب اتباعه في الأحكام التعميمية هو أن الجزم بالتعميم لا يكون إلا باستقراءٍ تامٍ لكل الوحدات الجزئية التي تدخل في العموم؛ لأن الاستقراء الناقص دلالته ضعيفة لا يصلح الاعتماد عليه، وإن على الباحث أن يقسّم الموضوع إلى عناصره ليعرف مدى صحة كل عنصر حتى يأتي عليها كلها ولا يغتر بالعناصر الصحيحة لأن قليلا من السم يكفي للإفساد.[1]

---

[1] بصائر للمسلم المعاصر، عبد الرحمن الميداني، ص٦٨.

❁ إن معظم السقطات الشنيعة تأتي من التعميمات الفاسدة ومن الأمثلة على التعميمات الفاسدة رفض كل ما عند المذاهب المخالفة لأن بعض ما فيها باطل، واعتقاد أن كل مسائل المذهب الذي ينتمي إليه المعمِّم هي حق، مع أنه لا يفحص كل مسألة من مسائله فحصا عمليا استدلاليا. إن مثل هذا التعميم لا يقبل به منطق الحق، إنما يدفع إليه التعصب والجهل وعدم البصيرة العلمية الربانية.[1]

الباب الثاني

أسباب الخطأ أو الجنوح الفكري

❁ **السبب الأول: الوهم الناشئ عن اضطراب نفسي أو عدم اتزان فكري:**

" فكم يكون الخطأ أو الجنوح الفكري عن الحقيقة ناشئا عن الوهم الذي يحدثه الخوف أو الطمع أو الشهوة العارمة أو الغضب، وبالوهم يرى الرائي ما لا ترى عيناه ويسمع ما لا تسمع أذناه ويصغّر الكبير ويكبّر الصغير"[2]، فيجانب الحقيقة ولا يقبل النصح والإرشاد.

❁ فكم من أخطاء تقع بهذه الأسباب.

❁ وكم من أناس وقعوا في الباطل ومعصية الله بسبب الخوف!

❁ وكم من أخطاء وقعت بالطمع ربما من أقلها أن يزوج الرجل ابنته لمن يدفع له أكثر!

❁ وكم وقع العشاق في ضياع لحياتهم بسبب متابعة شهواتهم!

❁ وأما الغضب فأخطاؤه كثيرة جدا، يقول صاحب تهذيب الإحياء: " وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذو العقل ويستحي منه قائله عند فتور الغضب، وربما انطلقت لسانه بما يسبب له مشاكل اجتماعية مثل الطلاق، وأما أثره على الأعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة ".[3]

---

[1] المرجع السابق، ص٧٧.

[2] بصائر للمسلم المعاصر، مرجع السابق، ص٩٦.

[3] المهذب من إحياء علوم الدين، صالح أحمد السامي، ج٢، ص: ١٠١.

❁ السبب الثاني: ضعف الإدراك أو وسيلته مع الغرور النفسي:

❂ ينتج عن هذا السبب توهم كمال الإدراك وكمال الوسيلة ثم ينتج عنه توهم معرفة الحقيقة معرفة كاملة مستوعبة.

❂ والغرور بالنفس ينفخ فيها حتى تتورم تورما مَرضِيًا فيغشي البصيرة والفكر وأدوات الحس وقد يطمسها أحيانا فيقع المغتر في أخطاء كثيرة تجر عليه ولمن تبعه نكبات وبلايا وشرور عظيمة.

❂ إن الغرور بالنفس يصيب الأفراد والجماعات، ومن هنا وقع الذين ينكرون الغيبيات كالملائكة والجن توهما منهم بأن لديهم الأداة المدركة مع وسائلها التي تجعلهم يدركون حقيقة الواقع بصفة استغراقية فما لم يدركوه فهو غير موجود.

❂ وهذا الغرور بوسائلهم الضعيفة قد عطّل عقولهم عن التسليم بالبديهة التي تقرر أن عدم وجدان صاحب الإدراك الناقص للشيء لا يدل على عدم وجود ذلك الشيء.[1]

❂ وكم من إنسان يغتر بكثرة أتباعه وحزبه أو مذهبه فلا يلتفت إلى غيره معتقدا أنه مصيب للحق وللطريقة السليمة والكثرة هي دليل ذلك، مع أن كثرة الناس في اتباع شيء معين لا تدل على أنه حق، ويدل على ذلك القرآن والواقع وسنوضحه في موضعه إن شاء الله.

❁ السبب الثالث: انحراف النظر عن رقعة الحقيقة:

❂ وهذا نوع من الحول الفكري (فقد يبدأ النظر برؤية الأجزاء الأولى من الحقيقة ثم ينحرف عنها فيغرّه البدء الصحيح ثم لا يدرك أنه قد انحرف عن الحقيقة بعد ذلك، كمن يبدأ السير في طريق بداية صحيحة ثم يسير غير متحرٍ لصحة مسيره مع كل خطوة ويضل ولا يصل إلى الهدف بل يقع في المتاهات وهو يزعم أنه على صواب متوهما ذلك بسبب بدايته الصحيحة).

❁ السبب الرابع: اشتباه الحقيقة بما جاورها:

❂ بهذا السبب تختلط أرض الحقيقة بما جاورها فيحدث الخطأ وقد نبّه رسول الله ﷺ على ضرورة أخذ الحذر من الوقوع في المشتبهات في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير – رضي الله عنهما– قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الحلال بيّن والحرام

---

[1] بصائر للمسلم المعاصر، مرجع سابق، ص٩٩.

بيّن وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام..." الحديث.

❁ السبب الخامس: تشابه الحقائق في صفاتها ولو تباعدت:

قد ينشأ الخطأ عن تشابه الحقيقة مع غيرها في الشكل أو الصورة أو اللون أو غير ذلك ولو لم يكن المتشابهان متجاورين كمن يرى السراب ماء.

وكذلك نظر الكافرين إلى أعمالهم حيث يرون أنها تشبه الأعمال التي تحقق لأصحابها السعادة فيجتهدون في سبيل ذلك ولا يصلون إلى هدفهم، قال الله تعالى في سورة الكهف: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥)﴾ (الكهف: ١٠٣- ١٠٥).

ومن الأغلاط التي وقع فيها كثير من الناس بهذا السبب إطلاقهم على نظام الإسلام أسماء مبادئ غير إسلامية بل هي مضادة للإسلام إلا أن بينها وبين نظام الإسلام شبها جزئيا فاشتبه الأمر عليهم وساعد على هذا الرؤية الفاسدة والتسرّع في الحكم، ومن أمثلة ذلك إطلاق أسماء الاشتراكية أو الرأسمالية أو الديمقراطية أو الدكتاتورية على نظام الإسلام الذي هو شيء آخر.

❁ السبب السادس: ردود الأفعال الفكرية السريعة بمؤثرات نفسية:

وكثيرا ما يكون الخطأ الفكري ناشئا عن ردود الأفعال الفكرية السريعة إلى الضد الأقصى المقابل لفكرة باطلة رفضوها أو مذهب رأوا فساده فلم يقبلوه.

وبسبب هذا الانتقال السريع الذي هو من قبل ردود الأفعال غير الواعية يتركون الأوساط التي قد تكون الحقيقة في واحد منها أو موزعة الأجزاء بين الأوساط، وقد يكون ما رفضوه بعض الحق مختلطا بباطل كثير، وفيما انتقلوا إليه بعض الحق مختلطا بباطل كثير، وبعملهم هذا ينتقلون من خطأ إلى خطأ آخر مثل الذي فرّوا منه، وربما يكون الذي انتقلوا إليه أفحش وأشد بعدا عن الحقيقة.

ومثال ذلك حقد العمّال على الرأسمالية المقيتة فثاروا عليها ورفضوها لكنهم انتقلوا - بردود الأفعال السريعة المعاكسة - إلى الضد الأقصى فسقطوا في براثن المنظمات الشيوعية

والاشتراكية وتركوا الوسط الذي هو الأنفع والأصلح والأعدل وهو نظام الإسلام، فعندما اشتووا بنار الشيوعية المقيتة عميت بصائرهم مرة أخرى وقاموا ينادون بالرأسمالية.

السبب السابع: سوابق الأفكار:

إن سوابق الأفكار الثابتة حول موضوع معين تجعل فكر الإنسان موجها شطر هذه السوابق ومحجوبا عن غيرها، فهي تغشي البصر والبصيرة وتجعل الفكر يجنح وينحرف عن وجه الصواب إلا في حال أن تكون سوابق الأفكار من الحقائق الواضحة غير مختلطة بباطل.

ويضل كثير من الناس متخبطا لا يتضح له الحق ولا ينكشف له وجهه مع أن الموضوع يتعلق بقضية من القضايا الأساسية المهمّة مهما عرضت له الأدلّة والبراهين، لا لأن الأدلة غير كافية للإقناع بالحق ولكن لأن سوابق الأفكار كان لها سلطان على عقولهم وتأثير فيها وتغشية على بعض قدرات الرؤية لديها.

ويرجع هذا التأثر إلى عدة عوامل:

(١) **الإلف:** فللإلف استهواء خاص يجعل المألوف محببا للنفوس، ومحلاّ للطمأنينة والسكينة، ويجعله مأنوسا غير مستغرب لدى العقول حتى يكون كالبديهيات التي لا تناقش ولا تحتاج إلى أدلّة أو براهين، فهي تتمسك به على أنه حق جليّ جدا ولو كان باطلا واضح البطلان في حقيقة أمره إلا أن الإلف حجب بصيرة العقل عن فحصه وتقويمه بميزان المنطق السليم والنظر التأملي الصحيح فجعله من المسلّمات التي لا تحتاج نظرا ولا استدلالا.

(٢) **الاستكبار عن الاتهام بالتزام الخطأ** وعدم استبصاره طوال المدة السالفة التي استبدت فيها سوابق الأفكار بقناعة العقل وارتياح النفس.

ويبدوا أن الرجوع عن الخطأ إلى الصواب يجرح كبر المتكبرين أصحاب الأنانيات فيصرون على الخطأ ويعاندون ولو ظهر لهم وجه الحق وكثيرا ما يحجب عنهم كبرهم رؤية وجه الحق والإصغاء إلى دليله.

وقد وقع كثير من المشركين في هذا الخطأ لأنهم صعب عليهم ترك ما ألفوه من الأصنام والرجوع إلى حقيقة التوحيد ولأن كبرهم منعهم من أن يتهموا هم وآباؤهم بأنهم كانوا في ضلال وجهل).[1]

ونجد عند أصحاب المذاهب كثيرا من هذا العناد الصارف عن الحق فلا يقبلون الحق في أي مسألة قال به مذهب آخر بسبب سوابق الأفكار التي سيطرت عليهم في مذهبهم وحب مذهبهم، فنجد أنهم يمتنعون حتى عن الحوار في ذلك بدعوى أنه إظهار للباطل، فلينتبه إلى ذلك لأنه من أسباب فرقة المسلمين وعدم الوصول إلى وحدتهم.

السبب الثامن: التعصب لشخص أو قوم أو جماعة أو فكرة قديمة:

إن التعصب ظاهرة موجودة في مختلف المجتمعات البشرية وفي مختلف مستوياتها، يقول العلاّمة عبد الرحمن الميداني: " وهذه ظاهرة تمثل انحرافا مرضيا حينما لا تكون ذات مضمون أخلاقي كريم لانتصار حزب الله وجماعة الحق فيما يدعون إليه من الحق على أننا حينئذ لا نسميه تعصبا بل هو انتصار للحق بالحق "[2]، ولكن لا يؤخذ الانتصار للحق ذريعة لتقليد أعمى.

والتعصب فرع من فروع الأنانية الفردية أو الجماعية، فليحذر المسلم من اتباعها لأنها مناصرة للباطل سواء مناصرة لهواه وشهواته أو لجماعته أو لمن يواليه عامة.

وللأسف الشديد نلاحظ أن التعصب موجود عند معظم الفرق والطوائف وأصناف الناس حتى عند العلماء.

وهو الداء المهيمن على عقول ونفوس الماديين وأصحاب الأهواء ومتبعي الأديان المحرّفة كاليهود والنصارى.

وموجود في دوائر جزئية عند المسلمين أيضا، فنلاحظه عند الفقهاء والمفسرين والأدباء والشيوخ والدعاة والوعّاظ وغيرهم.

---

[1] بصائر للمسلم المعاصر، مرجع سابق، ص:١٣٥-١٣٦.

[2] راجع كتاب بصائر للمسلم المعاصر، مرجع سابق، ص: ١٣٨.

إنهم في غمرة التعصب يندفعون اندفاع السكارى واندفاع محجوبي الأبصار إلا من زاوية الرؤية التي حصروا أنفسهم فيها فهم لا يرون إلا من خلالها، كوحيد القرن الذي يرتبط بصره بخطوط الرؤية المتصلة برأس قرنه الذي يريد أن يبعج به بطن عدوه وهو هائج ثائر.

السبب التاسع: التسرّع في الحكم مع عدم وضوح الرؤية:

إن التسرع والاندفاع في إصدار الأحكام دون روية ودون تحرٍّ للحقيقة ولا صبر في البحث عنها بل الاكتفاء ببادئ الرأي يوقع في أخطاء كثيرة، يقول الشيخ أحمد بن النظر:

لا تلوميه على ما صنعا   كل ما طار وشيكا وقعا[1]

"والاكتفاء ببادئ الرأي سمة العامة والدهماء الذين تحركهم العواطف الآنية وتوجههم الانفعالات غير الواعية وتتحكم بهم الغوغائية ويشغلهم عادة أصحاب المصالح والأهواء، ولذلك نجد أن أكثر الأفكار المسيطرة عليهم التي تتحكم بها تعميمات باطلة ومبادئ لا تعتمد على حق، وعقائد لا تستند إلى براهين ولا أدلة كافية للإقناع، بل عواطف لا قيمة لها في ميزان الفكر السليم ولا في ميزان الواقع التجريبي".

وهذا ليس منهاج المسلم المستنير بالقرآن والسنة؛ لأن القرآن الكريم حذّر من ذلك وأخبر أن ذلك يُوقع في الظلم وتكون عاقبته الندامة، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦ ﴾ (الحجرات: ٦)، ويقول الرسول ﷺ: "التأني من الله والعجلة من الشيطان" (رواه الترمذي).

فعلى المسلم أن يضبط نفسه ولا يندفع تحت أي تأثير لإصدار الأحكام والردود السريعة ويفحص القضية فحصا دقيقا ويتأكد من صحة الخبر.

السبب العاشر: مؤثرات الأهواء والشهوات والمصالح الخاصة:

يقول الشيخ نور الدين السالمي – رحمه الله –:

حبك للشيء يغطّي عيبه   ويسترنّ عيبه وريبه
حبك يعمي ويصمّ فاحذر   من الهوى فإنه لم يذر
بل حب ما يحبه مولاكا   من دينه فهو الذي هداكا[1]

---

[1] الدعائم، أحمد بن النظر، ص: ١٣٣.

ويقول العلاّمة عبد الرحمن الميداني: " ومن شأن أهواء النفوس وشهواتها ومصالحها الخاصة أن تعمي بصيرة الإنسان وتصيبها بالعشى أو تمدّ عليها غشاوة ما فيرى الإنسان بسبب ذلك الحق باطلا والباطل حقا، أو تختلط عليه الأمور وتلتبس في فكره صور الأشياء بنسبة ما وذلك على مقدار غلظ الغشاوة.

ومما لا شك فيه أن الهوى الطاغي يعمي عن رؤية الحق ويصم الآذان عن سماع كلمة الحق فمن كان له هوى في اتجاه فكري معين حجب عنه هذا الهوى رؤية الاتجاهات الأخرى فهو لا يرى إلا الذي دفعه أو جذبه إليه هواه، ومن يريد إقناعه بتصحيح رؤيته لغير اتجاه هواه لا يجد لديه أذنا تسمع له نصحا، أو فكرا يفهم منه بيانا؛ لأن ذهنه منصرف عنه انصرافا كليّا، والسبب في ذلك مؤثرات الهوى التي حجبت الذهن والبصيرة عن الحقيقة وعزلت الحواس عن إدراك ما يعرض عليها، فالعين لا ترى إلا أشكالا ورسوما وظواهر، والأذن لا تسمع إلا أصواتا وحروفا فمخاطبتها كالذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ".[٢]

السبب الحادي عشر: التقليد الأعمى:

التقليد الأعمى ينشأ عن التعصب أو الثقة الإجمالية بالإمام المقلَّد أو الثقة بمنهجه أو طريقة اجتهاده. فالمقلّد للإمام دون بصيرة في كل خطوة يخطوها يقع في كل الأخطاء التي يقع فيها إمامه تلقائيا.

ومن الحق أن التقليد ضرورة إذ لا يمكن أن يكون كل إنسان مجتهدا بنفسه ولنا في أصحاب رسول الله ﷺ أسوة حسنة حيث كان فيهم أئمة يستنبطون ويفتون وآخرون يستفتون ويعملون بما يفتيهم به أئمتهم، لكن من الخطأ أن يدّعي المقلّد أن إمامه على صواب وما عداه باطل؛ لأن مثل هذا الإدّعاء لا يملكه إمامه نفسه لأن الاجتهاد في المسائل الاجتهادية الخلافية لا يقدم أكثر من دليل ترجيحي والدليل الترجيحي لا يعطي يقينا بأن ما وصل إليه الاجتهاد هو الحق قطعا وما عداه باطل قطعا[٣]، والعصمة للأنبياء فقط.

---

[١] جوهر النظام، نور الدين السالمي، ص: ٥٩٨.

[٢] صائر للمسلم المعاصر، ص: ١٣٩-١٤٠.

[٣] نقلا من كتاب بصائر للمسلم المعاصر، مرجع سابق، ص:١٤١، بتصرف.

٢

الفصل الثاني

افتراءات كتّاب المقالات على الإباضية

الباب الأول
أسباب التعصب ضد الإباضية

هناك أسباب كثيرة أدت إلى التعصب ضد الإباضية من بينها:

أولا: إنكارهم الظلم في كل زمان وخاصة زمن بني أمية حيث سلّطت عليهم الدولة الأموية إعلامها الهادر فكالت عليهم التهم كيلا فانطلت على البعض وساعد في نشرها الطّمّاعون فيما لدى الدولة، وليس من المستغرب وجود مثل هؤلاء الطمّاعين فهم موجودون في كل زمان، كذلك ليس من المستغرب كيل التهم على المصلحين فرسول الله ﷺ لم يسلم من ذلك، وهذه طريقة متبعة إلى يومنا هذا.

ثانيا: كون الإباضية متفقين مع الخوارج في الخروج عن علي - كرم الله وجهه - بسبب عدم قبول التحكيم سهّل إلصاقهم بالخوارج، ومروق الخوارج من الدين سهّل الافتراء على الإباضية.

ثالثا: الأكاذيب التي سطّرها كتّاب المقالات في كتبهم، فكتّاب المقالات الذين سطّروا الأكاذيب ضلوا وأضلوا وصاروا قنطرة عبور للحاقدين سواء قصدوا ذلك أو وقعوا ضحية.

- **أما كونهم ضلوا** فهم مسؤولون عما كتبوه يوم القيامة.
- **وأما كونهم أضلوا** فكتبهم أصبحت مرجعا لكل من أراد أن يعرف شيئا عن الإباضية، ووثقوا بها فيما قالت لسببين: لكون هؤلاء الكتّاب من العلماء المشهورين، ولكون هذه الادّعاءات موجودة في عدة كتب مع أن مصادر هذه الكتب غير متنوعة وإنما نقل الثاني ما كتبه الأول وهكذا.
- فكوّنت هذه الكتب لدى قارئها صورة بغيضة عن هذه الفرقة الإسلامية فرأى أن من واجبه حماية الناس من الوقوع فيها وإنقاذ المنتمين إليها من الضياع، وهذا رأي في محله لو كان ما كُتب عن الإباضية صحيحا لأن ما كُتب عنهم ينفر منه الطبع السليم، ولكن في الحقيقة من وقع في شباك هذه الكتب جرفه السيل وهو لا يدري؛ لأن ما كُتب عنهم لا يمت إليهم بصلة.

سحيق، سواء كان هذا الحكم نابعا منهم أو وقعوا ضحية لغيرهم فقاموا بالتضليل على هـذا المذهب وطمس حقيقته بشتى الأساليب، واتفاق الكثير منهم على ذلك ليس صـدفة وإنما سلكوا منهجا رسمه بنوا أمية: فمنذ صلح الحسن بن علي سمي العام الذي تم فيه الصلح عـام الجماعة أي جماعة الموالين لمعاوية، وأخذوا يتهمون من يخرج عـن طاعـة معاويـة بالبدعـة والضلال، يقول الشيخ حسن بن فرحان المالكي – وهو من أهل السنة-: "ويقصدون بالجماعة الموالية للنظام الأموي من علماء وعوام وسلطة ....، وأصبح الذي ينكر الظلم أو ينتقد الوالي شاذا و(ضد الجماعة) ومن شذ شذ في النار!! ....، وحشروا في ذلك كـل الأحاديـث في وجوب التزام الجماعة وكأنّ المراد به الوقوف مع الحاكم في الخير والشر في الحق والباطـل!! وكأن البدعة والضلالة في مفارقة (الجماعة والسلطات) وتم ذلك بانتقائية عجيبـة!! سـاعد الظل السياسي على انتشارها ووفر لها الحماية والصلابة أمام كل من أراد إنكار المنكـر!! إذ أصبح مثل هذا ضد (وحدة الجماعة) و(ضد السنة) وبالتالي (ضد الإسلام) وعلـى هـذا حكموا على ثورة الحسين بن علي، وابن الزبير، وأهل المدينة، وابن الأشعث وأصحابه، وزيد بن علي وأصحابه، وأصحاب النفس الزكية، وأمثالهم بأنهم أصحاب فتن وأنهـم مـاتوا ميتـة جاهلية!! وبالتالي أخرجوا هؤلاء الكبار من (السنة والجماعة) إلى البدعة والضلالة لأنهم ثاروا على يزيد بن معاوية والحجاج بن يوسف وأبي جعفرالمنصور."[1]

وبسبب وحدة عقيدتهم عن هذا المذهب وأخذ الثاني ما كتبه الأول وتبعهم الآخرون من غير تتبع للحقيقة من كتب الإباضية مع أن بعضهم شرط على نفسه أخذ ذلك من كتبهم، باستثناء بعض الكتاب المنصفين فلهم الشكر والتقدير.

ومن بينهم الدكتور محمد نعيم محمد هاني ساعي الذي استنكر هذا النهج حيث قال في كتابه القانون:" وأنا قد استعرضت أقوال علمائنا الأقدمين رحمهم الله تعالى في أصحاب المقالات

---

[1] حسن بن فرحان المالكي، قراءة في كتب العقائد المذهب الحنبلي نموذجا، ص: ٧٧.

من الإباضية والقائلين بخلق القرآن فوجدهم أجمعين لا يعرفون عن الإباضية إلا نتفا لا يصح من الناحية العلمية أن تعطي تصورا واضحا وكاملا عن هذه الفرقة بل وجدهم يلصقون بها ما ليس فيها حتما ويقينا، ويعجب المرء أن يرى أئمة كبارا كابن قدامة وبن المنذر والشهرستاني يدّعون على أهل تلك الفرقة ما لا يقولونه ....، وقد يقضي منك العجب وأنت تقرأ للإمام ابن قدامة وهو ينقل عن أحمد ومالك عدم الصلاة على الخوارج ويضم إليهم الإباضية ثم يقول معللا قول أحمد وغيره: ووجه ترك الصلاة عليهم أنهم يكفّرون أهل الإسلام ولا يرون الصلاة عليهم فلا يصلى عليهم كالكفار من أهل الذمة وغيرهم، ولأنهم مرقوا من الدين فأشبهوا المرتدين.أهـ !!! فهل يجوز أن تعلل أحكاما بهذه الخطورة بمثل هذه الادعاءات والأوهام فيما يتعلق بالإباضية وأن يشبهوا بالمرتدين؟! وهذا يعني إذا بطلت العلة أو عدمت بطل المعلل بها وهو الحكم وبالتالي لا أساس لهذا الحكم من الصحة الفقهية، لأن الإدعاءات التي نسبها للإباضية غير صحيحة قطعا ".[1]

منهجهم مع الإباضية

إنهم لم يسلكوا المنهج العلمي الإسلامي الصحيح بل قادهم الأهواء والتعصب، وانطلاقا من هذا النهج حاولوا طمس الهوية الإباضية بعدة أساليب حيث إنهم:

(١) حاولوا أخذهم من القمة ورميهم في بئر مظلم، إذ لم ينسبوهم إلى جابر بن زيد – رحمه الله – الذي يعرفه الجميع ويوثقه، ولا أبو عبيدة ولا غيره من أئمة الإباضية بل ذكروا بدائل للتضليل:

- فقسّموا الإباضية إلى فرق أصلية، وأخرى فرعية استنتجوها من وحي خيالهم لمسرحية بيع أمة وذكروا لها عقائد شرك بالله. والإباضية لا يعرفون شيئا عن تلك الفرق ولا يوجد أي ذكر لها ولا لعقائدها ولا لأئمتها في كتب الإباضية سواء الذي ألفت قبل كتب المقالات أو التي ألفت بعدها ويبرؤون منها إن كان لها وجود أصلا وممن ألصقها بهم.

(٢) لم يذكروا عقائد الإباضية.

[1] محمد نعيم محمد، القانون في عقائد الفرق والمذاهب الإسلامية، ص: ٤٥٩.

(٣) لم يذكروا شيئا من آراء الإباضية الفقهية.

(٤) لم يذكر إلا النزر اليسير من مبادئ الإباضية تنحصر في السياسة وحقوق المسلمين على بعضهم.

(٥) حاولوا طمس الحقيقة بالتعميمات الفاسدة حيث إنهم ألصقوا الإباضية بالخوارج والفرق الضالة وشتى الاتهامات الأخرى مثل: متعصبون، مقلدون، أهل بدع وأهواء يكفرون أهل الإسلام.

(٦) أصدروا عليهم أحكاما باطلة كتكفيرهم، والفتوى بعدم الصلاة خلفهم.

وانتشرت هذه الافتراءات في الكتب الأخرى وعلى ألسنة الخطباء الحاقدين وفي الأشرطة السمعية إلى يومنا هذا مثل كتاب (الإباضية) - الذي سيأتي الرد عليه- المحشو بالأكاذيب، وبقى الإباضية يعانون منها متخذين موقف الدفاع عن أنفسهم.

وما كنتُ أكتب كلمة واحدة مما قاله أهل المقالات السابقين مما خالفوا فيه الواقع لو أن المتأخرين اتبعوا الحق ولم يظلوا يرددون تلك الأكاذيب، ولكن:

من يعرف النطق منكم صار يشتمنا ... كأنه فرض عين عندكم شهرا

فما الذي حمل هؤلاء الكتّاب على هذه الافتراءات حيث دونوا اسم الإباضية وكتبوا أشياء لا تمت إليهم بصلة؟!

⇐ يقول البعض ربما يعود ذلك إلى قلة معرفتهم بالمذهب الإباضي بسبب أن حركته كانت سرية، وفي الحقيقة إن هذا ليس شيئا مقنعا لأمرين:

أولا: إن كتب المقالات التي كثر فيها الكذب على الإباضية بدأ تأليفها في القرن الرابع الهجري وقبل كتابتهم هذه كان المذهب منتشرا في عمان والمغرب العربي واليمن، ففي عمان بويع بالخلافة قبل هذا التاريخ حوالي ستة أئمة، بدءا من الإمام الجلندى بن مسعود - رحمه الله - الذي بويع في عام ١٣٢هـ، وفي المغرب الأئمة الرستميون كانت دولتهم تغطي حيزا كبيرا من المغرب العربي من الجزائر إلى ليبيا ودامت أكثر من ١٥٠ سنة، من ١٤٤ -٢٩٦ هـ، وهو قبل القرن الرابع الهجري، وكذلك الإمام عبدالله بن يحيى الكندي في اليمن وصل نفوذه إلى الحجاز، فهل بعد هذا تعذّر الحصول على المعلومات، هذا بالنسبة للقدماء فكيف بالمتأخرين؟!

ثانيا: إذا كانوا أخذوا من غير الثقات فقد وقعوا فيما نهى الله عنه حيث قال الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ (الحجرات: ٦)، وفيما عدّه رسول الله ﷺ كذبا في قوله: " كفى بالمرء كذبا أن يحدّث بكل ما سمع " (متفق عليه).

ثالثا: إن كانوا لا يعرفون شيئا عن الإباضية وكتبوا عنهم لإكمال كتبهم فقد وقعوا فيما نهى الله عنه حيث قال: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾ (الإسراء: ٣٦).

⇐ وإن كان قد حملتهم إلى ذلك كراهية هذا المذهب فالله سبحانه نهى أن يحمل الإنسان بغضه على الظلم، وأمره بدل ذلك بالعدل حيث قال عز من قائل: ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴾ (المائدة: ٨)، أي لا يحملكم بغض أي قوم على ظلمهم وإنما عليكم العدل في كل شيء. وأي ظلم يعمله هؤلاء على هذا المذهب أكثر من وصفهم بالضلال ونسبة الشرك إليهم والله يقول: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ ﴾ (لقمان: ١٣).

⇐ وإن كان قصدهم الانتصار للحق لكون أنهم يرون أنفسهم على حق وغيرهم على باطل، فإن هذه الدعوى كلٌّ يدعيها كما نص على ذلك حديث الافتراق ولكن الحق غير محتاج إلى تأييد بالباطل فالحق والباطل ضدان، قال الله تعالى: ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١ ﴾ (الإسراء: ٨١)، وقال: ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ ﴾ (الأنبياء: ١٨).

لم تقم السماوات والأرض إلا بالحق، بل لم يخلق الله هذا الكون إلا بالحق، والباطل لا يأتي إلا بباطل، كيف يدعي شخص أن الفرقة التي ينتمي إليها متبعة الحق وهو في نفس الكتابة التي كتبها لم يستطع سلوك طريق الحق؟

منهجهم في الاستدلال

أولا: احتجاجهم بأقول علمائهم مقابل نصوص القرآن والسنة كاحتجاجهم بأقوال الإمام أحمد فيما يتعلق بخلق القرآن، ذكر الشيخ ابن تيمية أنه رأى بخط القاضي أبي يعلى قال: نقلت من أخر كتاب الرسالة للبخاري في أن القراءة غير المقروء وقال وقع عندي عن أحمد بن حنبل على اثنين وعشرين وجها كلها يخالف بعضها بعضا وقال: وافترق أصحاب أحمد بن حنبل على نحو من خمسين ".[1] قال الدكتور محمد نعيم هاني في كتابه القانون: " وليأخذ الحنابلة بعده ومن نحا نحوهم تلك العبارات دستورا لا يتبدل، وقانونا لا يتغير، حتى عرفوا بعد ذلك بمدرسة مستقلة آذت كثيرا من علماء الملّة الإسلامية عندما ذهب سلطان المعتزلة وآل الأمر لغيرهم".[2]

ويقول في نفس الكتاب عن احتجاجهم بأقول الشيخ ابن تيمية: " أفرط جماعة في حب ابن تيمية – رحمه الله – وتعظيمه وإجلاله حتى ذهبوا في كلامه ومصنفاته وفتاواه مذهب التقديس ...، وجعلوا كلامه أصلا من الأصول ودليلا من الأدلة ومصدرا من مصادر الاحتجاج والاستدلال، وجعلوا قوله في متشابه الصفات وسائر مسائل الاعتقاد الفرعية حكما وقضاء لا يجوز نزاعه ولا يحل نقضه ...، إلا أنه مهما يكن من أمر تلك الشخصية فإنه لا يجوز حسب القانون الكلي وقواعده أن تكون مصدرا من مصادر إثبات الشرايع فضلا عن أن تكون حجة في إثبات مايتعلق بالاعتقاد ".[3] فأين هم من قول الله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (النساء:٥٩).

ثانيا: ترديد أقوال علمائهم من غير تمحيص فعلاوة على تناقض الأقول تجدهم يرددون عبارات فيها تناقض مثل قول العلامة ابن تيمية نقلا عن السلف " إن كلام الله غير مخلوق وإنه منه بدأ ليس بمخلوق ابتداأه من غيره "

---

[1] فتاوى ابن تيمية المجلد الثاني عشر، ص: ٣٦٦، نقلا من الحق الدامغ، ص: ١٤١.

[2] محمد نعيم، القانون في عقائد المذاهب والفرق الإسلامية، ص:١٧.

[3] محمد نعيم، القانون في عقائد المذاهب والفرق الإسلامية، ص:٤٢٠.

فهل القديم له بداية ؟! وهل البداية إلا دليل على الخلق ؟! وهل الخلق يبدأ من غير الله ؟! أليس الله هو الذي يبدأ الخلق ؟!

ثالثا: تضعيفهم لمخالفيهم لبيان قوة حجتهم، يقول حسن فرحان: " تضعيفهم لمن يتوهمون فيه أدنى مخالفة حتى وصل تضعيفهم للبخاري ومسلم والكرابيسي وأبي حنيفة، وتضعيف الكبار من أئمة الأشاعرة كالبيهقي (يضعفه من الحنابلة المعاصرين الشيخ صالح الفوزان ! ويزعم أنه لا يثق بنقله في العقيدة !!) وهذا ما لم يسبق إليه الشيخ ".[1]

رابعا: ذمهم لمخالفيهم ورميهم بأقبح الألفاظ لتقوية حجتهم، يقول حسن المالكي: "ولم أجد عالما خالف غلاة الحنابلة في أمر وعلموا بمخالفته إلا ذموه واتهموه بالبدعة أو الزندقة وما إلى ذلك وهذا له دلالة على الجهل بالنفس والآخرين، ويدل على تعصب مذموم شرعا وعقلا".[2]

خامسا: بعدهم عن الحوار بل وذمهم له حتى لا يدرك أتباعهم الحقيقة، يقول حسن المالكي: " الحوار والمناظرة كانت سائدة عند المعتزلة، وبحوارهم ومجادلتهم جذبوا لجمهورهم كثيرا من الناس، ويبدو أنه لما رأى الحنابلة هذا الأمر قد تفاقم وأنهم لا يستطيعون مناظرة المعتزلة قالوا بتحريم ذلك من باب ردة الفعل فقط! مع أن الله عز وجل في القرآن الكريم يأمر رسوله ﷺ بطلب البراهين من الكفار قال تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة: ١١١). وهذه البراهين التي يطلبها ﷺ من الكفار ليست في أمر هيّن من الأمور التي يتحدث عنها البرهاري، بل إنه ﷺ يطلب البرهان على أنه لله شريكا يستحق العبادة!! فإذا جاز طلب البرهان من المخالف على أن لله شريكا - تعالى الله عن ذلك - فمن باب أولى جواز طلب البراهين على أمور أقل أهمية؛ كالتي تختلف فيها الطوائف الإسلامية من قضايا الإيمانيات أو الأحكام ...، والجدل المذموم إنما هو الجدل التي لا يطلب صاحبه الحقيقة؛ وإنما يريد المغالبة والمكابرة، أما إن أعلن الطرف الآخر أنه يريد الحق، وجعل البحث العلمي هو السبيل الأمثل لحل المسائل المختلف فيها فقد أنصف، وتجب أو تستحب محاورته ومجادلته.

[1] حسن فرحان المالكي، قراءة في كتب العقائد، ص:١٣٢.

[2] حسن فرحان المالكي، قراءة في كتب العقائد المذهب الحنبلي نموذجا، ص:١٤٣.

ولم يبعث الله نبيا إلا وجادل قومه وناظرهم، وقد ذكر الله تعالى قصصهم في القرآن الكريم، كما حصل بين نبيه إبراهيم – عليه السلام – والنمرود بن كنعان، وبين نبيه موسى – عليه السلام – وفرعون، وبين النبي ﷺ وقريش، وهذا من أوضح الأدلة وأظهرها ".[1]

ويقول: " وأنتم ترون أنّ عدم فهم حجة الطرف الآخر والظن بأنه لا يعتمد على دليل؛ من الأسباب الرئيسية في انتقاصنا للآخرين والنظر إليهم بعين الازدراء وكأنهم مجموعة من العوام الذين يعكفون على التقليد ويعتمدون على أذواقهم وعقولهم القاصرة ...إلخ. ولو تواضعنا وطلبنا من الآخر أن يبين حجته بالبراهين لندرسها ونراجعها لكان أفضل مما نحن عليه من نفي الآخر والتعالي عليه ولعلنا أجهل منه وأبعد عن الحق ".[2]

سادسا: طرق ردهم على حجج الإباضية: لا يناقشون أدلة الإباضية حجة حجة وإنما يكتفون بذكر أدلة أخرى وأنه مخالف لقول السلف.

سابعا: يلاحظ في كتابات المعاصرين البعد عن قضايا العقائد والتركيز على قضايا تأريخية مثل قضية الصحابة والخوارج.

ثامنا: استخدام العاطفة لإقناع الناس بصحة أقوالهم، إذ نجد بعض المتعلمين يستخدمون عبارات العطف كقولهم: " مسكين الإباضي يصلي ويصوم ويعمل أعمالا صالحة ولكنه يجد علماءه يقولون لو أن عنده خطأ واحدا فهو مخلد في النار". ونسوا أن هذه الأعمال الصالحة غير مقبولة أصلا من مرتكب الكبيرة لأنه ليس من المتقين لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ (المائدة:٢٧)، وكذلك الأعمال التي عملها قبل فعله الكبيرة إذا ارتكب كبيرة تحبط قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ (محمد:٣٣)، فالإحباط ليس خاصا بأعمال المشركين؛ لأن الخطاب في هذه الآية للمؤمنين. وقال رسول الله ﷺ: " يؤتى يوم القيامة بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبل تهامة، حتى إذا جيء بهم جعلها الله هباء منثورا ثم يقذف بهم في النار)[3]، وهذا العلاّمة ابن القيم الجوزية قال في

---

[1] حسن فرحان المالكي، قراءة في كتب العقائد، ص: ١٦٢.

[2] المرجع السابق، ص: ١٤٢.

[1] صححه الألباني في الصحيح.

كتابه: " ومحبطات الأعمال ومفسداتها أكثر من أن تحصر، وليس الشأن في العمل، إنما الشأن في حفظ العمل مما يفسده ويحبطه ".

تاسعا: يُخضعون بعض قواعد اللغة العربية حسب ما يناسب عقيدتهم، من ذلك: رد ابن هشام على قول الزمخشري بأن " لن " تفيد تأبيد النفي، وذلك ليتماشى مع عقيدة الرؤية مع أن آيات كثيرة تدل على تأبيد نفي " لن " منها قوله تعالى: ﴿ فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ﴾ (البقرة:٨٠)، وقوله: ﴿ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ (النساء:٥٢)، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ﴾ (الحج:٧٣)، وقوله: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ ﴾ (الجن:١٢).

عاشرا: تكلفهم تفسير حديث أبي موسى الأشعري الذي رواه الشيخان: "جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ".

⇐ فعندما رأو أن رداء الكبرياء لا يزول عنه تعالى حتى تحصل الرؤية ويوافق قولهم بإثباتها قالوا: إن في الكلام حذفا تقديره بعد قوله إلا رداء الكبرياء، فإنه يمن عليهم برفعه فيحصل لهم الفوز بالنظر إليه ".[1]

⇐ سبحان الله كيف يمكن أن يقال أن الله يرفع عنه صفة من صفاته الذاتية!!

⇐ قال العلامة سماحة الشيخ أحمد الخليلي في الحق الدامغ: " ولعمر الحق إن اتباع مثل هذه التأويلات البعيدة يفضي على عدم الاستقرار على معنى نص من النصوص؛ لاحتمال تقدير ما يجوز نفيه إلى الإثبات وإثباته إلى النفي ".

⇐ وقد أجاد العلامة صاحب المنار حيث قال بعد نقل هذا التاويل: " وفيه من التكلف ما لا ينبغي لحفاظ السنة الاعتداد به، وهم ينكرون على الجهمية والمعتزلة مثله وما هو أمثل منه من تأويلاتهم ".[2]

---

[2] فتح الباري، ج١٣، ص: ٤٣٢، المطبعة السلفية.

[1] المنار، ج٩، ص:١٣٩، ط٤، مكتبة القاهرة.

الحادي عشر: تفسير بعض الكلمات حسب ما يتماشى مع عقيدهم ولو لم يكن مستندا إلى ما جاء في كتب اللغة، من ذلك:

١- تفسير الإدراك بالإحاطة: وهذا مخالف لما دل عليه الاستعمال العربي لكلمة الإدراك فنص كلام الجوهري في الصحاح: " أدركته ببصري رأيته ".[١]

ولا أدري كيف يطمأن إلى تحويل معنى آية محكمة واضحة الدلالة من الاثبات إلى النفي بتفسير لا يوافق الاستعمال اللغوي.

٢- تفسيرهم للظلم بالشرك: نجدهم يفسرون الظلم حسب معناه الحقيقي بالتعدي في النفس والمال وغيره، ولكن عندما يحتج عليهم بقوله تعالى: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨ ﴾ (غافر:١٨)، في عدم الشفاعة لأهل الكبائر قالوا: الظلم هو الشرك ليتفق مع قولهم: الشفاعة لأهل الكبائر، محتجين بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ ﴾ (الأنعام:٨٢)، مع أن الآية لا تعني حصر الظلم في الشرك لأن بهذا التفسير تكون الآية أعطت عهدا لأهل الكبائر ما عدا الشرك بعدم معاقبتهم يوم القيامة لأن الله يقول في آخرها: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ ﴾ (الأنعام:٨٢)، وهذا مناقض للنصوص التي فيها الوعيد على فعل الكبائر غير الشرك، والنصوص التي تصف الكثير من الكبائر بالظلم.

⇐ وإنما تعني الذين آمنوا إيمانا كاملا بفعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه ولم يخلطوا عبادهم إياه وتصديقهم له بظلم – يعني بشرك – أحقّ بالأمن من عقابه كما جاء في تفسير الإمام الطبري حيث قال: " قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في الذي أخبر تعالى ذكره عنه أنه قال هذا القول – أعني: "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم"، الآية، فقال بعضهم: هذا فصلُ القضاء من الله بين إبراهيم خليله وبين من حاجّه من قومه من أهل الشرك بالله، إذ قال لهم إبراهيم: ﴿ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ ﴾ (الأنعام:٨١)، فقال الله جل ذكره

---

[١] الصحاح، ج ٤، ص: ١٥٨٢، دار العلم للملايين، بيروت

فاصلا بينه وبينهم: الذين صدَّقوا الله وأخلصُوا له العبادة، ولم يخلطوا عبادهم إياه وتصديقهم له بظلم يعني: بشرك ولم يشركوا في عبادته شيئًا، ثم جعلوا عبادهم لله خالصة، أحقّ بالأمن من عقابه.[1]

٣- تفسيرهم لكلمتي (المجرمين والفجار) بالمشركين، ليتخلصوا من وعيد المجرمين بالخلود الوارد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (الزخرف:٧٤-٧٧). ويتخلصون من وعيد الفجار بالخلود في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ (الانفطار:١٣-١٦)، والكل يعرف أن الإجرام والفجور لا يمكن حصرهما في الشرك، فإذا لم يوصفوا بأنهم مجرمون ولا فجار فلم يبق إلا أن يكونوا أبرارا!! وهذا لم يقله من له أدنى فهم فكيف بالعلماء!!

٤- تفسير الوعيد بالخلود المؤبد لأهل الكبائر بالتهديد والتنفير: لماذا لا يفسرونه على حقيقته؟ لأن عقيدتهم لا يخلد في النار إلا الكافر، يقول فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمن: " واعلم أنه ورد فيمن قتل نفسه بشيء (أنه يعذب به في جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا) فذكر التأبيد فهل يعني ذلك أنه كافر لأنه لا يستحق الخلود المؤبد إلا الكفار؟ الجواب: لا ليس بكافر بل يغسل ويكفن ويصلى عليه، فما ذكر في الحديث من ذكر التأبيد إن كانت اللفظة محفوظة عن النبي ﷺ فالمراد شدة التهديد والتنفير من هذا العمل "[2]، ونحن نتفق مع فضيلة الشيخ بأن قاتل نفسه ليس بكافر، ولكن من حصر الخلود للكافر إلا بعض العلماء، فرسول الله ﷺ هو أعلم به منا أنه ليس بكافر. وقال بتأبيده وتأبيد مرتكبي كبائر أخرى في عدة أحاديث بالإضافة إلى النصوص القرآنية الكثيرة في ذلك. فهل نؤولها حسب ما يتماشى مع أقوال العلماء؟!

٥- تفسير الإخلاص بما عدا الشرك: فقد جاء في شرح كتاب التوحيد محتجا بالحديث الذي رواه أبو هريرة على أن الشفاعة لأهل الكبائر: « وقال أبو هريرة له ﷺ: من أسعد الناس

---

[1] تفسير الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ج٣، ص:٦٣٣، مكتبة عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.

[2] شرح الكبائر، محمد بن صالح العثيمين، ص:١٩١، دار الغد الجديد، المنصورة، مصر.

بشفاعتك؟ قال: من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه ». فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله .اهـ

فنراه أثبت الإخلاص لكل من نجا من الشرك، وإن استغرقت المعاصي عمره وأحاطت الخطايا بنفسه فالهمك فيها طول حياته، سبحان الله أيكون من يرتكب الفواحش، ومن ورد فيه لعن بارتكابه الكبائر من المخلصين لله؟!

٦- تفسير السيئة بالشرك في قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ (البقرة:٨١)؛ لأن الآية ذكرت الخلود وهم يقولون لا يخلد إلا المشرك، ولكن تفسيرها بالشرك وحده خروج بالآية عما يقتضيه لفظها، يقول سماحة الشيخ أحمد الخليلي: " فإن لفظ (سيئة) نكرة مطلقة في سياق الشرط والنكرات إذا وردت في الشرط فهي محمولة على العموم لأن الشرط كالنفي وحكم النكرة في سياق النفي عمومها ".[١]

وبعضهم لم يفسر السيئة بالشرك ولكن فسر الخلود بالمكث الطويل، وقد رد عليهم الإمام محمد عبده قائلا: " ومن المفسرين من ترك السيئة على إطلاقها ولم يؤولها بالشرك، ولكنهم أولوا جزاءها فقالوا: إن المراد بالخلود طول مدة المكث لأن المؤمن لا يخلد في النار وإن استغرقت المعاصي عمره وأحاطت الخطايا بنفسه فالهمك فيها طول حياته، أولوا هذا التأويل هروبا من قول المعتزلة أن أصحاب الكبائر يخلدون في النار وتأييدا لمذهبهم أنفسهم المخالف للمعتزلة، والقرآن فوق المذاهب يرشد إلى أن من تحيط به خطيئته لا يكون أو لا يبقى مؤمنا".[٢]

٧- تفسير استحقاق الخلود في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ (النساء:١٤)، ليس لمن تعدى في قسمة المواريث كما نصت الآية وإنما إذا جمع مع ذلك شكا، مع أن الآية ناصة على خلود من ارتكب معصية التعدي في حدود المواريث، وهم يعترفون أنها تعني التعدي في قسمة المواريث ولكن لما كانت هذه المعصية ليست شركا وتوعد الله مرتكبها بالخلود في النار وعقيدتهم لا يخلد في النار إلا

[١] أحمد بن حمد الخليلي، الحق الدامغ، ص: ٢٠٣، مكتبة مسقط.

[٢] محمد عبده، تفسير المنار، ج١، ص: ٣١٢، ط٤.

المشرك قالوا لا يخلد إلا إذا جمع لها شكا، مع أن الآية لم تذكر الشك، ولكن جُلب ليتناسب مع القول بخروج أهل الكبائر من النار، فقد جاء في تفسير الإمام ابن جرير الطبري قوله: " فإن قال قائل: أوَمُخَلَّدٌ في النار من عصى الله ورسوله في قسمة المواريث؟ قيل: نعم، إذا جمع إلى معصيتهما في ذلك شكًّا ".

والنتيجة: أن الظلم شرك، والفجور شرك، والإجرام شرك، والسيئة شرك، والمعصية شرك، والإخلاص هو ما عدا الشرك، فمن سلم من الشرك فهو مؤمن مخلص وعليه فلا يخلد في النار.

ردود على كتّاب المقالات

الإباضية مع أبي الحسن الأشعري

أبو الحسن من علماء القرن الرابع الهجري، وهو من أوائل من كتب في الفرق الإسلامية وكتابه " مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين " أخطر كتاب حيث إن عددا كبيرا ممن جاؤوا بعده اعتمدوا على كتابه إلى يومنا هذا ربما ثقة به لسعة علمه، فيا ليته كتب الحقيقة لينال أجرها عند الله، ولكنه كتب أشياء لا أساس لها على الأقل بالنسبة للإباضية حيث قسّمهم إلى فرق ليس لها وجود عند الإباضية ونسب إليهم أقوالا لا تمت إليهم بصلة.[1] حيث قال:

الفرقة الأولى: الحفصية إمامهم حفص بن أبي المقدام، زعم أن بين الشرك والإيمان معرفة الله وحده فمن عرف الله سبحانه ثم كفر بما سواه من رسول أو جنة أو نار أو عمل بجميع الخبائث من قتل نفس واستحلال الزنى وسائر ما حرّم الله من فروج النساء فهو كافر برئ من الشرك.

---

[1] مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، ص: ١٠٣-١١١.

الفرقة الثانية: يسمون اليزيدية، إمامهم يزيد بن أنيسة، زعم أن الله سبحانه سيبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا من السماء يكتب في السماء وينزل عليه دفعة واحدة، وتولى أبو يزيد هذا من شهد للنبي ﷺ بالنّبوءة من أهل الكتاب وإن لم يدخل في دينه، ولم يعمل بشريعته وزعم أنهم بذلك مؤمنون.

الفرقة الثالثة: من الإباضية أصحاب حارث الإباضي، قالوا في القدر بقول المعتزلة وخالفوا فيه سائر الإباضية، وقالوا دار السلطان دار كفر.

الفرقة الرابعة: يقولون بطاعةٍ لا يراد الله بها على مذهب أبي الهذيل، ومعنى ذلك أن الإنسان قد يكون مطيعا لله إذا فعل شيئا أمره الله به وإن لم يقصد الله بذلك الفعل ولا أراده به.

- وقال بعضهم ليس على الناس المشي إلى الصلاة ولا الركوب إلى الحج ولا شيء من أسباب الطاعات التي يتوصل بها إليها إنما عليهم فعلها فقط.
- وقال جميعهم إن يستتيبوا من خالفهم في تنزيل أو تأويل فإن تاب وإلا قتل، كان ذلك الخلاف فيما يسع جهله أو فيما لا يسع جهله.
- وقالوا من زنى أو سرق أُقيم عليه الحد ثم استتيب فإن تاب وإلا قتل.
- وقال بعضهم ليس من جحد الله وأنكره مشركا حتى يجعل مع الله غيره.
- وقال بعضهم بتحليل الأشربة التي يسكر كثيرها إذا لم تكن الخمر بعينها.
- إن الله يؤلم أطفال المشركين على طريق الإيجاب لا طريق التجويز.
- أورد أبو الحسن قصة عن بيع الإماء للمخالفين، فذكر في هذه القصة أسماء منكرة النسب مثل إبراهيم وميمون وعبد الجبار وسلمان وثعلبة وعبد الكريم بن عجرد وأم سعيد وأورد فيها أن إبراهيم أفتى بالجواز وميمون برئ منه وقوم وقفوا وذكر في القصة أوصاف مثل العلماء والإماء وامرأة ثعلبة وتكفير بعضهم لبعض.

مناقشة ما قاله:

⇐ إن ما قاله الأشعري لا يعدو أن يكون سطورا من الافتراءات قصد بها التشنيع على المذهب الإباضي وتكريههم إلى الفرق الإسلامية الأخرى، ربما أن الشيخ الأشعري وقع

ضحية لأصحاب الأحقاد ضد الإباضية ولكن ذلك لا يخرجه من قوله ﷺ: " كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع " (متفق عليه).

⇐ ويدل على ما أقول:

أولا: إن الأشعري قسّم الإباضية إلى أربع فرق ليس لها علاقة بالمذهب الإباضي في قليل أو كثير، فالفرق الإسلامية تنسب إلى الإمام الذي تقتنع تلك الفرق بآرائه الدينية وتأويله لنصوص العقيدة وهذا لا يوجد له أثر بين الإباضية والفرق المزعومة، وكتب الإباضية التي أُلّفت قبل وبعد الأشعري شاهدة بذلك ومستعدون لتوفير أي مرجع يريده الباحث المنصف.

⇐ فالأئمة الذين ذكرهم مجهولون ليس لهم أي ذكر في أي كتاب من كتب الإباضية لا كتاب سيرة ولا فقه ولا عقيدة ولا غير ذلك.

⇐ ونرى الأشعري بنفسه أتى ببعضهم بدون أب وبعض الفرق لم يجد لها إماما قط.

⇐ كما أن العقائد التي ذكرها الأشعري لهذه الفرق هي عقائد شرك فكيف تعد من الفرق الإسلامية؟ وهي لا شك مخالفة لعقائد الإباضية بل البعد بينهما أكثر من البعد ما بين السماوات والأرض.

⇐ فإن كان لا يوجد أي أثر لسيرة أئمة الفرق المذكورة عند الإباضية ولا عقائدهم ولا آرائهم فكيف ساغ للأشعري أن يُلحقهم بالإباضية بل أن يجعلهم الإباضية أنفسهم؟!

ثانيا: إن الأشعري نسب أقوالا لجميع الإباضية وأقوالا أخرى لبعضهم هي أيضا مخالفة لأقوال الإباضية تماما.

بعض الأدلة من كتب الإباضية على صحة ما أقول:

(١) الفرقة الأولى نسب إليها القول: إن الكفر بالرسل والجنة والنار ليس شركا.

⇐ يقول العلاّمة نور الدين السالمي الإباضي في غاية المراد:

وقد أتت حجج البرهان ناطقة ... بالموت والبعث والحسبان فامتثلا
وأنه من أطاع الله يدخله ... جناته أبدا لا يبتغي نقلا
ومن عصاه ففي النيران مسكنه ... ولم يجد مفزعا عنها فينتقلا [1]

---

[1] قصيدة غاية المراد في الاعتقاد، نور الدين السالمي، ص: ٥٠.

(٢) الفرقة الثانية نسب إليها القول: إن الله سيبعث رسولا من العجم ويتولون أهل الكتاب الذين شهدوا برسالة الرسول ﷺ وإن لم يدخلوا في دينه، والشيخ العلاّمة نور الدين السالمي يقول في أنوار العقول:

قد نسخت شرائع الجميع سوى الهدى بشرعنا البديع
وماله أي شرعنا مغير فهو على الدوام لا يغير

ويقول:

والحب للمؤمن من حقوقه والبغض للكافر من عقوقه
والكل واجب على من عقلا ويلزم الوقوف عمن جهلا

(٣) والفرقة الثالثة نسب إليها القول: أنها قالت بقول المعتزلة في القدر.

⇐ والإباضية لا يقولون بقول المعتزلة في القدر، قال العلامة نور الدين السالمي في غاية المراد:

وإنما الفعل مخلوق ومكتسب فالخلق لله والكسب لمن عقلا

(٤) والفرقة الرابعة نسب إليها القول: صحة العمل لله من غير نية.

⇐ والإباضية يرون النية من قواعد الدين لا يتم العمل إلا بها، وثاني حديث في مسند الإمام الربيع بن حبيب قوله ﷺ: " الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ".

ويقول العلامة السالمي في غاية المراد:

قواعد الدين علم بعده عمل ونية ورع عن كل ما حظلا

١- وأما القول بأن الإباضية لا يوجبون المشي للصلاة والركوب للحج فهذا باطل؛ لأن الإباضية يرون أن كل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

٢- وأما القول باستتابة مخالفيهم فإن تابوا وإلا قتلوا، وكذلك القول بقتل السارق فهذا باطل؛ لأن الإباضية متقيدون بما جاء في القرآن والسنة من الحدود ولا يزيدون عليها حرفا واحدا، قال أبو حمزة الشاري الإباضي - رحمه الله - وهو على منبر رسول الله ﷺ: " الناس منا ونحن منهم إلا ثلاثة: مشركا بالله عابد وثن، أو كافرا من أهل الكتاب، أو متسلطا في الأرض يحكم في عباد الله بغير ما أنزل الله ".

⇐ ويقول الإباضية على لسان العلامة نور الدين السالمي - رحمه الله تعالى -:

ونحن لا نطـالب العبـادا   فـوق شهـادتيـهم اعتـقادا
فمن أتـى بالجمـلتين قلنا   إخـواننـا وبالحقـوق قمـنا
إلا إذا مـا أظهروا ضلالا   واعتقـدوا فـي دينهم محالا
قمنا نبيـن الصـواب لهم   ونحسبـن ذلك مـن حقـهم
فما رأيـته مـن التحرير   في كتـب التوحيـد والتقرير
حـل مسـائـل ورد شبه   جـاء بـها مـن ضل للمنتبه
قمنا نردهـا ونبدي الحـقا   بجهدنا كي لا يـضل الخلقـا
لو سكتوا عنا سكتنا عنهم   ونكتفي منهـم بأن يسـلمـوا

٣- وأما القول: ليس من جحد الله مشركا حتى يجعل معه شريكا فهذا باطل.

⇐ يقول العلامة السالمي في غاية المراد:

والشرك لابد من أن تعرفنه لكي   تكون في مقعد عن غيه اعتزلا
وهو المساواة بين الله جل وبين   الخلق أو جحده سبحانه وعـلا [١]

٤- وأما القول بتحليل المسكر غير الخمر، فهذا أيضا مخالف لقول الإباضية.

⇐ يقول العلامة ابن النظر في الدعائم:

والسكر مكروه حرام كله   من كل مشروب ولو من ماء

٥- وأما القول بأن الله يؤلم أطفال المشركين على طريق الإيجاب لا على طريق التجويز فهو مخالف لما يقوله الإباضية.

⇐ لأن الإباضية يقولون بأن أطفال المشركين خدم لأهل الجنة.

ثالثا: قضية الأمة: وأما قضية بيع الأمة المنسوبة إلى الإباضية والتي ضل بعض أهل السنة الحاقدين الذين اتخذوا السب ديدنهم مثل مقبل الوادعي ترددها إلى اليوم فهي كما يقول الشيخ علي يحي معمر: " لا تعدو أن تكون مسرحية لشخصيات مجهولة سواء ذكر منها بالاسم أو بالوصف تمثل مشاجرة، فما قيمة هذه المشاجرة بين أناس مجهولين في تحقيق علمي يراد به إثبات العقائد وتصنيف فرق الأمة ".

---

[١] غاية المراد في الاعتقاد، الشيخ نور الدين السالمي، ص: ٥١.

⇐ إنها ليست إلا أسماء مجردة، ما الدليل أنهم من الإباضية؟! لماذا لا يكونون من الفرق الأخرى؟!

⇐ إن الإباضية لا يكفّرون الفرق الأخرى ما داموا متأولين لكتاب الله أو سنة رسوله فكيف يكفّرون بعضهم بعضا؟!

⇐ كيف يكون تكفير في مسائل فقهية اجتهادية؟!

⇐ الظاهر أن الإباضية لم يحضروا هذا النزاع في بيع الإماء لأنهم لا يعرفون عنه شيئا تاريخيا ولا دينيا، ولم يدخلوا تلك السوق الحامية ولا شهدوا ذلك العرس الذي نتج عنه سيل من الشتائم وتبادل اللعنات، فنسبة هذه القصة إلى الإباضية من أعجب العجب ونسبة أبطالها إلى أئمتهم وعلمائهم من أكاذيب التاريخ التي لم تستتر حتى بقليل من الحياء، وإن جازت حتى على كبار الأئمة أمثال أبي الحسن.

⇐ إن مخترع هذه القصة أراد أن يكثر من عدد الفرق المنسوبة إلى الإباضية والتي لا أساس لها أصلا حتى يظهرهم بمظهر المتشرذمين الذين يتنازعون لأتفه الأسباب فيتخالفون ويتفرقون انسياقا وراء العواطف ودوافع الغضب أكثر مما هو انسياقا وراء دوافع العقيدة والدين.

رابعا: إن جميع الأسماء التي وردت فيما كتبه أبو الحسن عن الإباضية لا علاقة لها بالإباضية إلا اسمين هما عبد الله بن أباض وعبد الله بن يزيد الفزاري كان من الإباضية وخالفهم في بعض المسائل فانفصل عنهم وانظم في فرقة النكار، وقد ذكر ابن النديم عددا من الكتب المنسوبة إليه منها: كتاب التوحيد، وكتاب الرد على المعتزلة، وكتاب الرد على الرافضة، وكتاب الاستطاعة، ولا أعلم أن شيئا من هذه الكتب قد بقي، وأما أصحاب هذه الفرقة فليس لهم وجود فيما أعلم.

⇐ وحتى هذا الفزاري لا يعد من الإباضية بدليل:

١- أنه خالف الإباضية في العقيدة وانقسام الفرق بسبب العقائد، وهذا الأشعري نفسه كان من المعتزلة لمدة أربعين سنة[1]، فعندما خالفهم ولم ينظم إلى عقائد فرق أخرى نسب إليه فرقة.

خامسا: إن أبا الحسن لم يذكر أحدا من أئمة الإباضية كجابر بن زيد وجعفر السماك العبدي وأبي سفيان وقنبر وصحار العبدي وأمثالهم من أئمتهم في النصف الثاني من القرن الأول ولا ذكر شيئا من أقوالهم.

ولم يذكر أحدا من أئمتهم في النصف الأول من القرن الثاني أمثال أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، وضمام ابن السائب، وأبي نوح، وصالح الدهان، وعبد الله بن يحيى الكندي، والجلندى بن مسعود العماني، والخطاب عبد الأعلى المعافري، وهلال بن عطية الخراساني، وأضرابهم، ولم يذكر شيئا من أقوالهم.

ولم يذكر أحدا من علماء النصف الثاني من القرن الثاني أمثال الربيع بن حبيب، وأبي سفيان، ومحبوب بن الرحيل، وعبدالرحمن بن رستم، ولا ذكر شيئا من أقوالهم.

ولم يذكر أحدا من علمائهم في النصف الأول للقرن الثالث أمثال أفلح بن عبد الوهاب، والمهنا بن جيفر، وموسى بن علي، وأضرابهم، ولا ذكر شيئا من أقوالهم.

ولم يذكر أحدا من علمائهم في النصف الثاني من القرن الثالث أمثال محمد بن محبوب، ومحمد بن عباد، والصلت بن مالك، وغيرهم، ولا شيئا من أقوالهم.[2]

سادسا: إن بعض من ذكرهم من أئمة الإباضية ذكر لهم فرقا غير الإباضية مثل العجاردة.

سابعا: إن تجاهل الأشعري أئمة الإباضية الحقيقيين ونسبتهم إلى أئمة مجهولين يؤدي إلى صرف الناس عن معرفة حقيقة المذهب الإباضي ويسهل الكذب عليهم لإثبات تهمة الضلال عليهم بخلاف لو أنه ذكرهم بأئمة معروفين عند الناس؛ لأن أئمة الإباضية معروفين باتباع الحق وعدم الزيغ عنه مثل جابر بن زيد وأبي عبيدة وعبد الله بن يحيى.

---

[1] الفرق الإسلامية مدخل ودراسة، د. علي عبدالفتاح المغربي، ص: ٢٦٨.

[2] الإباضية بين الفرق الإسلامية، علي يحيى معمر، ج١، ص: ٢٧.

⇐ إن الأشعري لو نسب الإباضية إلى أئمتهم الحقيقيين مثل جابر بن زيد وأبو عبيدة وعبد الله بن يحيى وغيرهم لم يستطع أن يشوههم وينسبهم إلى الضلال لأنهم معروفون عند الناس فأي شيء ينسبه إليهم مخالف للواقع يكون معروفا ويكشف بسرعة، ولكنه اختار أن يسلك بالإباضية طريقا مظلما لا تتضح فيه الرؤية.

⇐ فأئمة الإباضية ليس من ساقهم الأشعري كالقطيع وأدخلهم في الإباضية وإنما ينتمون إلى أئمة يشهد التاريخ بعدالتهم.

يقول الإمام إبراهيم بن قيس الحضرمي:

أدين دين المصطفى المكرم

من معرب يسمو له أو معجم ... أقفو سبيل جابر ومسلم

وابن الرحيل العالم المحكم ... إني إلى المستنصرين أنتمي

إني لأرباب العلا لأستمي ... إني من القوم القيام القوم

الرائمين فوق روم الروم ... الشارين الخطباء الحكم

الباهرين بالمقال المفحم ... كابن هذيل وابن حصن المعلم

والراسبي الشاري المعمم ... وابن حدير السيد المقدم

وطالب الحق ابن يحيى الحضرمي ... وابن حميد ذي العلوم الضيغم

إنا لأهل العدل والتقدم ... إنا لأصحاب الصراط القيم

الدين ما دنا بلا توهم ... الحق فينا الحق غير أطسم

يا جاهلا بأمرنا لا تغشم ... توسمن أو سل أولي التوسم

البغدادي والفرق الإسلامية[1]

لقد جاء البغدادي بعد قرن من الأشعري مقتفيا طريقه وملتمسا خطواته، وقد بدأ كتابه (الفرق بين الفرق) في مقدمته بكلمات رنّانة أتبعها بأحكام صارمة حيث قسّم الأمّة إلى ثلاثة أقسام:

❖ قسم حكم بخروجهم من الملّة رغم انتسابهم إلى الإسلام، وقسم ما أوردهم إلا لذكر فضائحهم والتشنيع عليهم وتلمس أخطائهم وإظهار ما به ضلوا في نظره. ثم حكم على القسمين بالضلال وقذف بهم جميعا في النار.

❖ أما القسم الثالث فقد حكم عليه بالسعادة مسبقا أيضا لأنه في نظره من أهل السنة.

⟸ وليته حين تلمس أخطاء تلك الفرق التي عزلها عن السنة، وفتش عن فضائحهم رجع إلى مصادرهم ولم يأخذها من مصادر خصومهم – إن صح هذا التعبير–.

❖ يقول المؤلف في الفصل الأول من نفس الكتاب صفحة " ١٣ " بعد أن ناقش معنى أمة الإسلام وعلام تدل، ما يلي:

من كانت بدعته من جنس بدعة المعتزلة أو الخوارج أو الرافضة الإمامية أو الزيدية أو من بدع النجارية أو الجهمية أو الضرارية أو المجسمة فهو من الأمة في بعض الأحكام وهو جواز دفنه في مقابر المسلمين وفي ألا يمنع حظه من الفيء إذا غزا مع المسلمين، وفي ألا يمنع من الصلاة في المساجد.

❖ وليس من الأمة في أحكام سواها، وذلك أنه لا يجوز الصلاة عليه ولا خلفه ولا تحل ذبيحته، ولا نكاحه لإمرأة سنية ولا يحل للسني أن يتزوج المرأة منهم إذا كانت على اعتقادهم.

⟸ وهذا الكلام يدل على ما ذكرناه من أنه أخرج المسلمين من ملة الإسلام رغم انتمائهم إليها لأنه حكم عليهم بأحكام المشركين.

---

[1] اعتمدت في ما كتبته عن البغدادي على كتاب الإباضية بين الفرق الإسلامية للشيخ علي يحيى معمر، ج١، ص: ٤٣–٥٢.

⇐ فقوله لا تجوز الصلاة عليهم ولا خلفهم دليل على اعتبارهم مشركين؛ لأن الرسول ﷺ يقول: " الصلاة جائزة خلف كل بار وفاجر وصلوا على كل بار وفاجر"، وقال: " الصلاة على أهل القبلة المقرين بالله ورسوله واليوم الآخر واجبة فمن تركها فقد كفر"، وفي نسخة أنكرها بدل تركها، (رواهما الربيع بن حبيب).

⇐ وبقوله لا تحل ذبيحتهم جعلهم أشد كفرا من أهل الكتاب وساوى بينهم والوثنيين والشيوعيين لأن أهل الكتاب تحل ذبائحهم.

⇐ ويؤكد ذلك قوله: ولا يحل للسني أن يتزوج المرأة منهم؛ لأن المسلم يباح له أن يتزوج الكتابية.

الإباضية عند البغدادي

❖ لقد سلك البغدادي في كتابته عن الإباضية مسلك الأشعري في التضليل وعدم الرجوع إلى مصادر الإباضية، بل إنه اعتمد عليه كثيرا، تارة ينقل نفس العبارة وتارة أخرى ببعض التصرف ومع هذا لم يذكر أنه نقل عنه.

❖ يقول في كتابه " الفرق بين الفرق " ص ١٠٣ ما يلي:

أجمعت الإباضية على القول بإمامة عبد الله بن أباض، وافترقت فيما بينها فرقا يجمعها القول بأن كفار هذه الأمة – يعنون مخالفيهم من هذه الأمة – براء من الشرك والإيمان، وإنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ولكنهم كفار، وأجازوا شهادهم وحرّموا دماءهم في السر واستحلوها في العلانية وصححوا مناكحتهم والتوراث منهم وزعموا أنهم في ذلك محاربون لله ورسوله لا يدينون دين الحق، وقالوا باستحلال بعض أموالهم دون بعض والذي استحلوه الخيل والسلاح، فأما الذهب والفضة فإنهم يردونها على أصحابها عند الغنيمة.

❖ ثم افترقت الإباضية فيما بينها إلى أربع فرق وهي الحفصية والحارثية واليزيدية وأصحاب طاعة لا يراد بها الله.

مناقشة ما قاله:

⇐ (١) أما قوله: افترقت فيما بينها فرقا، مجانب للصواب لعدة أسباب:

أولا: إن الإباضية لم تفترق لأن الفرقة تخرج عن الفرقة الأصل إذا خالفت في العقائد وليس في المسائل الاجتهادية وعقائد الإباضية ثابتة مدونة في كتبهم من قبل البغدادي والأشعري وإلى يومنا هذا لم تختلف بل ليس عندهم سلف وخلف كما عند غيرهم.

ثانيا: إن الفرق التي ذكرها مجهولة لدى الإباضية تماما وليس لها ذكر ولا لعقائدها.

ثالثا: إن هذه الفرق كما ذكرنا سابقا نسب إليها عقائد شرك – إن كان لها وجود أصلا – وما في كتب الإباضية مخالف لها تماما سواء الكتب القديمة أو الحديثة.

⇐ (٢) أما قوله: يجمعها القول بأن كفار هذه الأمة – يعنون مخالفيهم من الأمة – براء من الشرك والإيمان، فيه تضليل بسبب نسبة الكفر للمخالفين والحقيقة أن الإباضية يطلقون على العاصي كافر كفر نعمة وهو ما يسمى كفر دون كفر سواء كان العاصي مخالفا أو إباضيا ولا معنى لتخصيص المخالفين.

⇐ والذي أخرج فرق المسلمين المخالفة لمذهبه من الإسلام هو لأنه حكم بعدم الصلاة عليهم وتحريم ذبائحهم كما ذكرناه سابقا.

⇐ (٣) وأما قوله: حرّموا دماءهم في السر واستحلوها في العلن قصد به التضليل أيضا لأن الإباضية لا يستحلون دماء المسلمين من أي فرقة بسبب خلافهم للإباضية لا في السر ولا في العلانية يقول العلاّمة السالمي:

وأول الفرض من تأصيله جمل ثلاثة فزت إن تستحضر الجملا
وإن أتيت بها نطقا حفظت بها للنفس والمال والسبي بها حظلا[١]

⇐ ولكن الإباضية يقاتلون الباغي سواءً كان من الإباضية أو من غيرهم ولا علاقة له بالمذهبية وهذا ما قصد به جواز قتلهم في العلن.

⇐ (٤) وأما قوله: وصححوا مناكحتهم والتوارث منهم، وزعموا في ذلك أنهم محاربون لله ورسوله، فنسبة القول بصحة التوارث والمناكحة صحيح ولكن هل أباحوا ذلك لأنهم محاربون الله ورسوله؟! ما هذا إلا تضليل.

---

[١] غاية المراد في الاعتقاد، الشيخ نور الدين السالمي، ص: ٤٩.

⇐ (٥) وأما قوله: استحلوا الخيل والسلاح فهذا غير صحيح.

يقول الإمام الشاري إبراهيم بن قيس الحضرمي:

ولا هاربا ولّى من الزحف مدبـــرا ولا تغنـــموا مـــن مسلميـــن غنائـــمـــا
فإن حزتم من آلة الحرب منهـــــم سيوفا وأفـــراسا ونـــبلا كـــرائـــمـــا
فلا بأس أن تستكتموها لحربــــــهم إلى أن يزول الحـــرب عنـــهم تنادمـــا
ولا غرم في أوزارهم إن تحطمت لدى الحرب بل بعض يرى الغرم لازما [1]

⇐ (٦) وأما قوله: وزعمت الإباضية كلها أن دار مخالفيهم من أهل مكة دار توحيـــد، إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي عندهم.

⇐ هذا القول أيضا فيه تضليل ومجانبة للحق في نقطتين:

(أ) تخصيص المخالفين من أهل مكة، فإن الإباضية يعتبرون أي بلاد ينطق أهلها بالشهادتين فهي دار توحيد، من أي فرقة من الفرق الإسلامية كانت وأي بلاد.

(ب) قوله دار السلطان دار بغي؛ لأن الإباضية يعتبرون دار السلطان العادل دار توحيد وعدل من أي فرقة إسلامية كان، وإذا كان غير عادل فهي دار ظلم من أي فرقة كان.

❖ وقد نقل البغدادي الأكاذيب التي قال بها الأشعري، منها:

(أ) عدم وجوب المشي للصلاة.

(ب) استتابة مخالفيهم وإلا قتلوا.

(ج) قتل الزاني والسارق إذا لم يتوبا.

⇐ وهذه كلها قد سبق تبيين عدم صحتها عن الإباضية.

❖ وقد جاء بعموميات من القول لا أساس لها تركتها خوف الإطالة.

❖ والمهم أن البغدادي قد اعتبر الإباضية من الخوارج فرقة ضالة يجب أن يقـــال عنـــها فضائح وشنائع ليقذف بها بعيدا فهذا هدفه الذي ذكرهم من أجله.

⇐ ويدل على ذلك:

---

[1] ديوان السيف النقاد، إبراهيم بن قيس الحضرمي، ص: ١١٧.

(١) ابتعاده عن ذكر أئمة الإباضية الحقيقيين مثل جابر بن زيد وأبو عبيدة وغيرهم، ونسبتهم إلى أئمة مجهولين تبعا للأشعري.

(٢) تجاهله لعقائد الإباضية، وذكر الأكاذيب والأقوال المبهمة بدلها ليسلك بالإباضية نفس الطريق المظلم الذي سلكه الأشعري، وإلا فالبغدادي كان يعيش في القرنين الرابع والخامس توالى قبل عهده عدة أئمة في عمان واليمن والمغرب.

(٣) بالإضافة إلى دعوته للفرقة وإيقاد الفتنة وشق الصفوف حيث دعا إلى عدم زواج المسلمين من بعضهم البعض وعدم الصلاة خلف بعضهم وعدم أكل ذبائحهم.

أيها القادح فينا أقصرِ　　أتدر ماذا قلت أم لم تشعرِ
قدحت في مذهب أهل الحق　　ويحك أغضبت إله الخلق
فما الإباضيون إلا علما　　لخلفاء الحق منا فاعلما[1]

ابن حزم والإباضية

❂ عاش في القرن الخامس الهجري وقد عني بالمذاهب الإسلامية، وقد سلك ابن حزم هو الآخر مسلك المشنعين والكاذبين على الإباضية بل في الحقيقة لم يذكر شيئا حقيقيا عن الإباضية حالته حالة أسلافه، فلم يذكر أئمة الإباضية والذين تعاقبوا في المشرق والمغرب كما بينا سابقا ولم يذكر عقائد الإباضية ولا شيئا من سيرتهم مع مخالفيهم، بل إنه أضاف افتراءات جديدة.

❖ فقد بدأ كلامه في كتابه " الفصل في الملل والنحل " ص ١٨٨[2] بذكر الفرق المجهولة عند الإباضية فرقة يزيد بن أنيسة أو فريد كما قال هو وما قالته تلك الفرق من الشرك، ثم عقب عليه أن الإباضية يكفّرون من قال بهذه الأقوال؟ فما الغرض من ذكرها إلاّ إظهار التفرق في الإباضية والبعد عن ذكر الحقائق، ولماذا ألحقها أصلا بفرق المسلمين؟!

[1] منظومة كشف الحقيقة، الشيخ نور الدين السالمي، ص: ١.

[2] كل ما نقلته عن ابن حزم هو من كتاب " الإباضية بين الفرق الإسلامية للشيخ علي يحيى معمر، ج١، ص: ٥٢ – ٦٠، وكتاب نبذ التعصب المذهبي لسماحة المفتي الخليلي.

❖ ثم قال: " وقالت طائفة من أصحاب حارث الإباضي إن من زنى أو سرق أو قذف فإنه يقام عليه الحد، ثم يستتاب مما فعل فإن تاب ترك وإن أبى التوبة قتل على الردة ".

⇐ نرى ابن حزم يأتي بالفرقة الثانية التي ذكرها الأشعري فرقة حارث الإباضي وقد قدمنا الرد على إلصاق هذه الفرقة بالإباضية عند الرد على الأشعري.

⇐ وقوله: قتل على الردة، الإباضية لا يعتبرون صاحب الكبيرة مشركا وذكرت ذلك في الفرق بين الإباضية والخوارج.

❖ وقال في ص ١٨٩: " وشاهدنا الإباضية عندنا بالأندلس يحرّمون طعام أهل الكتاب ويحرّمون أكل قضيب التيس والثور والكبش ويوجبون القضاء على من نام نهارا فاحتلم ويتيمّمون وهم على رؤوس الآبار التي يشربون منها إلا قليلا منهم".

⇐ نرى ابن حزم يريد استكمال التشنيع الذي بدأه باستبدال أئمة الإباضية بأئمة غيرهم وعقائد غير عقائدهم بأن يضيف تشنيعات في المسائل الاجتهادية التي تختلف فيه الفرقة الواحدة إلى عدة أقوال ليُظهر اختلاف الإباضية.

⇐ فلنلق نظرة عما قاله عن الاباضية:

(١) تحريم طعام أهل الكتاب:

⇐ إطلاق قول تحريم طعام أهل الكتاب غير صحيح لأن الإباضية يقولون بتحليل طعام أهل الكتاب وهناك قول بأن طعام أهل الذمة منهم فقط؛ لأنهم يرون أن الآية في أهل الذمة ولكن قطب الأئمة يرجّح القول الأول حيث يقول (في المذهب قول آخر أن تحل ذبائحهم ونكاح حرائرهم ولو لم يعطوا الجزية ولو حاربوا؛ لإطلاق القرآن عن اشتراط الجزية ونزل القرآن فيهم وهم محاربون ولم يشترطها وهو قول قومنا وبعض أصحابنا وهو الصحيح)[1].

⇐ أما تحريم طعام أهل الكتاب على الإطلاق غير صحيح.

(٢) تحريم قضيب التيس والثور والكبش:

[1] نقلا من كتاب الإباضية بين الفرق الإسلامية، مرجع سابق، ج١، ص: ١٠٢ – ١٠٣.

⇐ يقول الشيخ علي يحيى معمر: " لست أدري لماذا هذا الاهتمام الكبير من العالم الكبير بهذه التي لا يعمد إلى أكلها أحد ولا يستسيغها أحد سواء كانت حلالا أو حراما، وقد صدق ابن حزم في هذه القضية فإن الإباضية يبعدونها لسببين:

(أ) لأنها أشياء قذرة تقزز منها النفوس وينفر منها الطبع وليس فيها ما يغري على الأكل أو يفيد الجسم.

(ب) إنها حاملة بولا ولا تخلوا منه والبول عند كثير من المذاهب ومنها الإباضية نجس.

(٣) القضاء على المحتلم، يقول: " ويوجبون القضاء على من نام نهارا في رمضان فاحتلم ".

⇐ وليس الأمر هكذا بهذا الإجمال وإنما يوجبون القضاء على من أصبح جنبا مع شيء من التفريط عملا بالحديث الشريف الذي رواه الربيع بن حبيب والبخاري ومسلم ومالك في الموطأ فهم يرون أن الصائم الذي ينام في النهار فتصيبه الجنابة يجب عليه عند الاستيقاظ المبادرة إلى الاغتسال ولا شيء عليه إذا لم يهمل أو يتهاون، أما إذا أهمل أو تهاون فيجب عليه القضاء لأنه ضيع.

(٤) التيمم عند وجود الماء.

⇐ هذه دعوى باطلة الإباضية يعيشون مع الفرق الأخرى فمن شاهد الإباضية يعملون ذلك ليؤيد قول ابن حزم؟! أو من وجد جواز ذلك في كتبهم؟! بل يرون أن من تيمم ورأى الماء فسد تيممه وبطلت صلاته إن كان في الصلاة، يقول العلامة نور الدين السالمي في جوهر النظام:

ومن رأى الماء وقد تيمما ... فإن ذاك يفسد التيمما
ولو رأى ذلك في الصلاة ... فإنها تبوء بالبتات

❖ ويقول ابن حزم ص ١٩١: وإلى قول الثعالبة رجع عبد الله بن أباض فبرئ منه أصحابه فهم لا يعرفونه اليوم، ولقد سألتُ من هو في مقدمهم في علمهم ومذهبهم عنده فما عرف أحد منهم.

⇐ يقول الشيخ علي يحيى معمر: وهذا القول من أغرب الأقوال وإن كان قد تردد على كثير من الألسنة والأقلام، من هم الثعالبة؟ وما هو قولهم الذي رجع إليه عبد الله ابن

أباض؟ ولماذا رجع؟ وهل رجع في قول واحد أو في عدد من الأقوال؟ أسئلة ليس لها جواب عند ابن حزم.

⇐ وكيف لا يعرفه من هو في مقدمهم عنده وهو مذكور في معظم كتب السيرة سواء الإباضية أو غيرها؟ وكيف يبرؤون منه وهم لا يعرفونه؟

⇐ لم يزعم أحد من الإباضية أن عبد الله بن أباض رجع إلى قول الثعالبة ولا يوجد أحد منهم يبرأ من عبد الله بن أباض، يقول السالمي عن ابن أباض:

فأظهر الحق على رغم العدى والكل من أعدائه قد شهدا
قد كان في أيام عبد الملك مع شدة الأمر وضيق المسلك
ناقشه وبيّن الصوابا ولم يكن لبأسه قد هابا
وكان لا يدعوه إلا باسمه تعززا بحقه وعلمه
فصار معروفا مع الجميع لما حوى من شرف رفيع[1]

❖ ويقول ابن حزم في ص ١٩١ ما يلي:

" ومن حماقاتهم قول بكر بن أخت عبد الواحد بن يزيد، فإنه كان يقول: كل ذنب صغير أو كبير ولو كان أخذ حبة من خردل بغير حق أو كذبة خفيفة على سبيل المزاح فهي شرك بالله".

⇐ يقول الشيخ علي بن يحيى بن معمر: " هذه ليست من حماقات الإباضية وإنما حماقات العالم الكبير ابن حزم، من هو هذا البكر الذي لا يُعرفُ أبوه ولا أمه ولا حتى عصبة أبيه وإنما ينسب إلى أخواله؟ ثم يكون هذا البكر المجهول النسب إماما له أقوال يعتد بها ويذكر في الكتب، ثم ساقه هذا العالم إلى صفوف الإباضية ونسبه إليهم وألقي عليهم تبعة حماقته.

⇐ في الواقع لا شيء أسخف من هذا التشنيع حيث يؤتى برجل مجهول يلقى به في قوم ويجعل إماما ويلقى بتبعاته على تلك الفرقة.

⇐ هذه ليست إلا حماقات نسج خيوطها التعصب والانغلاق والدعاية الفاجرة والخيال السقيم وعدم الأمانة في النقل والشهادة ثم توجيه السياسة الماكرة بأساليبها المختلفة.[2]

---

[1] منظومة كشف الحقيقة، نورالدين السالمي، ص: ١.

[2] الشيخ علي يحيى معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص: ٥٩-٦٠.

❖ ويقول ابن حزم عن الإباضية: لا يجيزون أكل السمك إلا بعد ذبحه.

⇐ هذه فرية ظاهرة يشهد ببطلانها الواقع على مر القرون، فهل أحد يدّعي أنه رأى إباضيا يذبح سمكا؟!

❖ ويقول: يجيزون الحج في أي شهر من شهور السنة.

وهذا أيضا إدعاء باطل يكذّبه الواقع، من رأى إباضيا حج في غير الأوقات المحددة بالسنّة النبوية؟!

يقول العلامة الشيخ أحمد الخليلي: وكيف يقولون ذلك وهم أحرص الناس على أداء مناسك الحج في أوقاتها من غير تقديم أو تأخير ولا يتهاونون في ذلك أبدا.

❖ ويقول ابن حزم: ويقولون: أهل النار في النار في لذة ونعيم وأهل الجنة كذلك.

يقول الشيخ أحمد الخليلي رادا عليه: " ومن أعجب العجب أن يأتي ابن حزم بهذه الفرية من غير أن يبالي بإلصاقها بأمة مسلمة هي أكثر الناس عملا بكتاب الله وسنة رسوله – عليه وآله أفضل الصلاة والسلام– فكيف يقولون إنّ أهل النار في لذة ونعيم وما بالهم يقولون ذلك وهم يتلون كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار وهذه مدوناتهم في العقيدة لا تزال موجودة "، وقد قال سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي – ردا على الذين يتناقلون كلام بن حزم مثل صابر طعيمة وغيره –: " ونحن نتحدى كل من يؤيد ابن حزم بأن يأتي نصا من النصوص الإباضية في أي كتاب من كتبهم، سواء الكتب التي سبقت ابن حزم أو الذي ألفت من بعده يؤيد شيئا مما قاله ابن حزم[1].

وقد شهد على تهجم ابن حزم على مخالفيه بغير حق بعض العلماء منهم العلاّمة بن السبكي الشافعي فقد قال في طبقات الشافعية الكبرى ج١ ص٩٠-٩١ ط: هجر، بعد كلام: " وهذا ابن حزم جريء بلسانه متسرع إلى النقل بمجرد ظنه هاجم على أئمة الإسلام بألفاظه وكتابه هذا "الملل والنحل" من شر الكتب وما زال المحققون من أصحابنا ينهون عن النظر فيه

---

[1] سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، نبذ التعصب المذهبي، ص: ٣٤.

لما فيه من الإزراء بأهل السنة، ونسبة الأقوال السخيفة إليهم من غير تثبت عنهم والتشنيع عليهم بما لم يقولوه[٢].

الصبر في الملك الديان مفروض فاصبر فإن سبيل الحق مبغوض

أبو المظفر الأسفراييني والإباضية

من علماء القرن الخامس الهجري، كتب عن الفرق الإسلامية في كتابه "التبصير" والقارئ لهذا الكتاب يلاحظ أنه صورة من كتاب البغدادي في عنفه وتهجمه على الفرق الإسلامية، ويلاحظ انسياقه خلف الكتّاب السابقين بنقل أكاذيب من غير تمحيص، وقد لاحظ محقق الكتاب محمد الكوثري ملاحظتين هي العنف وعدم عزو الأقوال.

- فذكر عن الإباضية أنهم يستبيحون دماء مخالفيهم في العلانية، وأنهم يستحلون بعض غنائم مخالفيهم ويحرمون بعضها فيستحلون السلاح والخيل، وقد ذكر الفرق السابقة التي نسبها الأشعري إلى الإباضية وكذلك البغدادي وعقائدهم الفاسدة.
- وقد عرض لمسرحية بيع الجارية التي استخرج منها أئمة فرق وتكفيرا ولكنه اختصرها.

⇐ وهذه كلها أكاذيب قيلت عن الإباضية وبينتُ سابقا كذبها ومخالفتها لما في كتب الإباضية القديمة والحديثة مما يدل أن المؤلف لم يثبت شيئا مما قاله وربما حقده وبغضه لهذا المذهب دفعه لذلك، ولكن الله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (المائدة: ٨).

- وربما أنه جرى خلف السياسة حيث أننا نراه يتهجم تهجما شديدا على الفرق المعادية للظالمين ويفتخر بالملوك الظالمين مما يدل على أن الهوى يسوقه وليس الحق.

ومن هنا تعرف أن الأهوا تقودهم للحق حين يروى

---

[٢] الشيخ سعيد بن مبروك القنوبي، الطوفان الجارف، ج٣، ص: ١٠.

❖ يقول في كتابه "التبصير" ص: ١٧٦[1] وهو يعد مآثر أهل السنة:

وأما أنواع الاجتهادات الفعلية التي مدارها على أهل السنة والجماعة في بلاد الإسلام فمشهورة مذكورة مثل المساجد والرباطات المثبتة في بلاد أهل السنة، إما في أيام بني أمية وإما في أيام بني العباس مثل مسجد دمشق المبني في أيام الوليد بن عبد الملك وكان سنيا قتل في أيامه ما شاء الله من الخوارج والروافض.

⇐ **نستنتج من هذه الجمل ما يلي:**

(١) تمجيده للظلمة مما يؤكد اتباعه هواه.

(٢) قوله: " وكان سنيا قتل في أيامه ما شاء الله من الخوارج والروافض"، يدل دلالة واضحة بأن تسمية المذاهب الأربعة " أهل السنة " ليس نسبة إلى سنة الرسول ﷺ لأن الوليد توفي سنة ٩٦ والمذاهب التي يطلق عليها لفظ أهل السنة لم توجد بعد فأبو حنيفة كان غلاما ومالك كان ابن سنة واحدة، أما الشافعي وأحمد فلم يولدا بعد، وليس قتل المسلمين اتباعا للسنة.

[1] كل ما نقلته عنه نقلا من كتاب الإباضية بين الفرق الإسلامية، مرجع سابق، ص: ٦١-٦٦.

أبو الفتح الشهرستاني والإباضية

كان من علماء النصف الأول من القرن السادس الهجري ويعتبر الكثيرون كتابه " الملل والنحل " من أهم المراجع ويعتمدون عليه كمصدر ثابت لا يناقش، فلنر هل استطاع تجنب الأخطاء التي وقع فيها غيره؟

- يقول في ص ٦: وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم، دون أن أبين صحيحه من فاسده وأعين حقه من باطله.

⇐ وللأسف أنه لم يوف بشروطه، يقول الشيخ علي يحيى معمر: " ومن مقدمة الكتاب جرد سيفه وجعل ينظم صفوف الفرق ويصفها طوابير طويلة تمتد جذورها في أعماق التاريخ من عصره إلى عهد إبليس، متخذة في كل عصر مظهرا مناسبا من موقف إبليس إلى موقف المشركين والمنافقين إلى موقف الفرق الضالة، ويحاول ربط العلائق الوثيقة بين هذه الفرق الضالة وأسلافها في نظره من المنافقين أو الشياطين".

⇐ كما أنه لم يوف بشروطه في نقل عقائد المذاهب من كتبهم على الأقل بالنسبة للإباضية.

- حيث قال في الجزء الأول ص ٢١٢: " إن عبد الله بن أباض خرج في عهد مروان بن محمد وقتل بتبالة ".

⇐ وهذا خطأ لأن عبد الله بن أباض كان في زمن عبد الملك بن مروان ومكاتباته له موجودة، وقد توفي في أواخر أيام عبد الملك.

- وقد نسب إلى الإباضية ما قال به سابقوه من استحلال غنيمة السلاح، وإن دار السلطان دار بغي وهذا لم يصح عن الإباضية كما بينت ذلك.

⇐ فعدم ذكر عقائد الإباضية الصحيحة وذكر ما تناقلته كتب المقالات دليل على أنه لم يرجع إلى كتب الإباضية.[1]

---

[1] انظر الإباضية بين الفرق الإسلامية، مرجع سابق، ج١، ص: ٦٦-٧٢.

⇐ ولكن الذي يستحق عليه الثناء أنه لم يذكر مسرحية الأمة وحسب الفرق المزعومة من الإباضية كالحفصية واليزيدية والحارثية فرقا مستقلة، وهذا يعتبر في حد ذاته ردا على كتّاب المقالات.

الأستاذ الغوابي والإباضية

هو مؤلف كتاب " تاريخ الفرق الإسلامية " بذل في كتابته جهدا مشكورا ليظهر بمظهر الاعتدال وعدم التعصب وحاول جمع الفرق على صعيد المحبة ولكن بسبب اعتماده على كتب المقالات وثقته بهم لم يسلم من الانزلاقات، فمعظم ما كتبه مجانب للواقع، بل اعتمد في بعض الأحيان على المستشرقين وكان الأولى أن يتبع الحقيقة من أصولها فيكتب عن كل فرقة من كتبها.

حاول أن لا ينساق مع التيار وأن يعمل بوعي ولكن مصادره حيرته.

- فعند عرضه لحركة الخوارج في التاريخ حسب مصادره السابقة، ذكر أن أهل النهروان قُتلوا جميعا ولم ينج منهم إلا تسعة أشخاص من أربعة آلاف وإن الأربعة آلاف لم يستطيعوا أن يقتلوا من عدوهم إلا تسعة أشخاص (كأنهم مقيدون)، وأولئك التسعة تفرّقوا في البلاد ولا شك على هذا الحال لا تقوم لهم قائمة.
- ولكنه فوجئ وهو يستعرض أحداث التاريخ بأن العصر الأموي ابتدأ من معاوية كان مشحونا بحركة دائبة للخوارج فلم يظهر له كيف يربط الصلة، فحاول أن يقدم حلا بأن يجعل المحكمة سلفا للخوارج، ولكنه وجد أن المحكمة حسب مصادره انتهت في ٣٧ هجري وحركة الخوارج بقيادة الأزارقة والنجدات بدأت في أربعة وستين للهجرة كما يرى الغوابي، إذن هناك انفصام تأريخي عملي بين المحكمة والخوارج.
- وعندما استعرض مبادئ الخوارج وأفكارهم وجد مصادره ترميهم بالشذوذ والتشدد وضآلة الفهم، فلما استعرض فرقة الإباضية التي يعتبرها من الخوارج حسب مصادره لم يجد فيها تلك الصورة الشرسة البغيضة التي تُرسم عن الخوارج فوقف وقفته الثانية من التأمل

والتفكير ومصادره لا تقدم له الحل فوضع فرضية أن الخوارج هم سلف الإباضية، والإباضية هم الخلف، ثم جعل هذه الفرضية حقيقة بنى عليها بحثه فيما بقي.

⇐ **وهذا مجانب للحقيقة من وجوه:**

(١) ليس عند الإباضية اختلاف بين سلف وخلف، الإباضية مواقفهم ثابتة منذ أئمتهم الأوائل مثبتة في الكتب التي أُلفت منذ القرون الأولى وإلى يومنا هذا، وسير الأئمة الذين بُويعوا بالإمامة في عمان والمغرب والذين ذكرتهم سابقا موجودة وشاهدة بذلك.

(٢) تكاد تجمع كتب التاريخ أن نافع بن الأزرق هو الذي حكم بالشــرك علــى مخــالفيهم، وأسقط عنهم حقوق المسلمين، وكذلك تكاد تجمع على أن عبد الله بن أباض من أوائل من رد على نافع هذا رأيه.

(٣) إن سلف الإباضية هو جابر بن زيد وعبد الله بن إباض وجعفر بن السماك العبدي وصحار بن العباس العبدي وليس فوقهم إلا صحابة رسول الله ﷺ [1].

❖ ومن الانزلاقات التي أوقعته فيها مصادره هو متابعة تلك الأقوال المنسوبة إلى الإباضية، فذكر نفس الفرق التي ذكرها من قبله وغيره وذكر الأقوال مثل جواز غنيمة السلاح.

⇐ وعلى كل حال فهو يشكر على محاولته اتباع الحقيقة وإن أبعدته عن ذلك مصادره.

مع الأستاذ عبدالقادر شيبة الحمد

۞ هو مؤلف كتاب " الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة " والكتاب مقــرر علــى طــلاب الشهادة العالية بكليتي الشريعة وأصول الدين والأستاذ مدرس بجامعة المدينة المنورة، ويلقــي دروسا في مسجد الرسول ﷺ.

كانت الظروف مهيأة له لو أراد أن يدعوا إلى وحدة الكلمة ولمّ الشمل، وكان مــن اليسير عليه أن يتصل بعلماء الفرق وهم يتوافدون على مسجد رسول الله ﷺ فيما يريد هــو كتابته، ولكن كراهيته للفرق المخالفة لمذهبه جعلته لا يعطيها اهتماما، فرّق الإباضية إلى ســبع

[1] نقلا من كتاب الاباضية بين الفرق الاسلامية، مرجع سابق، ج١، ص: ٧٧ – ٩٦، بتصرف.

فرق وقال إن عبد الله بن أباض خرج زمن مروان بن محمد وأنه رجع إلى الثعالبة [1]، وهذه كلها غير صحيحة بينت عدم صحتها سابقا.

❖ لخص مبادئ الإباضية في خمس نقاط بعضها غير صحيح، وكأنّ الإباضية ليس لـديهم من الدين إلا النزر اليسير.

⇐ ولو ألقى نظرة بسيطة إلى تآليف الإباضية لوجد منها ما يصل إلى تسعين مجلـدا مثـل قاموس الشريعة ومنها سبعون مجلدا ومنها خمسون مجلدا ومنها مخصصة في أصول الـدين وبعضها في أصول الفقه.

⇐ ولكن ذكر هذه النقاط القليلة يشوه سمعة الإباضية.

مع عبد العزيز بن محمد عبد اللطيف

كاتب معاصر ألّف كتيّبه الصغير المسمى " الإباضية " متضمنا ١٦ صفحة مـن الحجـم الصغير ونشره في سنة ١٤١٢ هجري، محشي بالتضليل ومخالفة الواقع سالكا طريق المغرورين بمذهبهم والذين لا يرون الحق إلا فيما قالوه وكأنه قرآن منزل وما عداه زيغ وضلال متهجمين على الفرق الإسلامية.

(١) يقول في ص٥: " لا شك أن الإباضية شرذمة قليلون ".

⇐ ولسان حاله يقول: " وإنهم لنا لغائظون " فنراه استخدم لهجة فرعون وهذا يكفي للرد عليه لأن القليلين هم قوم موسى والكثيرين هم قوم فرعون.

(٢) وفي نفس الصفحة يقول: " وأمرٌ آخر جعلني أهتم بهم وهو دعوى علماء الإباضية أنهـم ليسوا من الخوارج واتهامهم لكتّاب الفرق بالتحامل عليهم ".

⇐ أما كون الإباضية ليسوا من الخوارج فسأوضح ذلك في بـاب " إلصـاق الإباضـية بالخوارج "، وأما إن كان يريد تصديق كتّاب المقالات وتكذيب الإباضية فليأت بـدليل

---

[1] الإباضية بين الفرق الإسلامية، مرجع سابق، ص: ١٢٠.

على صدق ما قاله كتّاب المقالات، وكتب الإباضية موجودة، فليأت بالفرق التي ذكروها أو العقائد المنسوبة إلى الإباضية إن كان صادقا.

(٣) وذكر في ص٦ أنهم لا يريدون مناظرة مع الإباضية وقال: إن المناظرة توقع الناس في شكوك وشبهات.

⇐ صحيح ذلك ولكن هذه الشكوك ستقع ليس في الحق وإنما على المذهب الذي لا يسير على بينة واضحة، فالحق ليس محتاجا إلى مناصرة بالإخفاء لأن الله تكفل بإحقاقه، ولا يكون ذلك بإخافئه.

⇐ وإذا كانت المناظرة لا تصلح لإظهار الحق فهل يظهر الحق بالافتراءات والتضليل المتتابع على المذاهب الأخرى من غير بينة بل بدعوى مجردة باتباع الحق من غير إيضاح والاعتماد على ما قيل على أن هذه الفرق ضالة وتلك على حق، أو الاعتماد على قول من قال: أن الكثرة لا يمكن أن تكون على باطل غير متدبرا آيات القرآن التي تذم الكثرة وتمدح القلة والتي تعد بالعشرات وسيأتي ذكر بعضها.

(٤) يقول في ص٧: " أخبرني بعض الثقاة أن أحدا من طلبة العلم المغمورين من أبناء السنة قد ناقش المفتي الخليلي في بعض مسائل الاعتقاد وأدحض شبهه وأظهر الحق أمامه حتى بهت ".

⇐ ربما هذا الطالب صار أعلم من الذي امتنعوا عن المناظرة وأنا لا أوبخ العلماء بل أحترمهم لعلمهم ولكن أوبخ من ينشر الكذب والافتراءات على العلماء بل على فرق إسلامية بأكملها، وأقول له إننا لا نعمل في الخفاء فالله أمر بإظهار الدين وليس بإخفائه والدعوة مفتوحة لتظهر ما تقول.

لو كان حقا صريحا ما تروجه   ما كنت بالحق هيابا ومستترا

(٥) ويقول في ص٧ أيضا: فهم أصحاب عبد الله بن أباض الذي خرج أيام مروان بن محمد.

⇐ وقوله هذا يكذّبه بنفسه ص١٣ حيث يقول: " إن عبد الله بن أباض يعتبر نفسه امتدادا للمحكمة الأولى كما في الرسالة التي بعثها إلى عبد الملك بن مروان "، فإذا كان خروجه زمن مروان بن محمد فكيف يبعث رسالة لمن كان قبله؟!

(٦) ونراه في ص٨ يعيش في ضلال قديم، حيث ذكر الفرق المزعومة للإباضية الحفصية واليزيدية والحارثية وقد بينت كذب هذه الادعاءات، وبيّن كذب نسبة هذه الفرق إلى

الإباضية قبلي الشيخ علي يحيى معمّر في كتابه: " الإباضية بين الفرق الإسلامية " ولكن أمثال هؤلاء لا يتحرّون الصدق وإنما يتحرون الكذب.

(٧) وقد قال في ص١٠: " ويعطّلون السنة النبوية بحديث جاء في مسند الإمام الربيع " إنكم ستختلفون من بعدي، فما جاءكم عني فأعرضوه على كتاب الله فما وافقه فعني وما خالفه فليس عني ".

⇐ إذا كان رد السنة النبوية على القرآن تعطيل فماذا يقول في قول عمر بن الخطاب في حديث فاطمة بنت قيس: " لا أدع قول ربي لقول امرأة لا أدري أحفظت أم نسيت "، وعائشة أم المؤمنين في حديث عذاب الميت ببكاء أهله احتجت في رد الحديث بقوله تعالى: " ولا تزر وازرة وزر أخرى " هل عطلا السنة؟!

⇐ قال ابن القيم في "المنار المنيف" وللحديث الموضوع علامات منها مخالفة الحديث لصريح القرآن[1]. ويقول نور الدين السالمي في شرحه لهذا الحديث: (قوله: " فما وافقه " فعني" وهذا فيما وقع فيه الاختلاف بين الأمة بدليل قوله " إنكم ستختلفون من بعدي " أما المتفق عليه أنه عنه ﷺ فلا يحتاج إلى عرض، بل يجب العمل به وإن خالف ظاهر الكتاب؛ لأنه إما ناسخ أو مخصص... إلى آخره)[2].

(٨) وفي ص ١١ يقول: " ويجهلون الأحاديث الصحيحة ويمتطون التأويل المتعسف فيحرّفون الكلم عن مواضعه "، ويحتج في ذلك بتفسير الشيخ سالم بن حمود السمائلي " يقول السمائلي: " وحديث من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق " ثم تاب فالزنا والسرقة لا يمنعان دخول الجنة للتائب من الذنب فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

⇐ وفي الحقيقة أن هذا التأويل الذي انتقده يتفق مع قول الله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ (طه:٨٢)، وأين هذا المضلل من الأحاديث التي تتوعد من يأكل أموال الناس بالنار ولو كان قليلا، فكيف أحد يسرق من أموال الناس ما يشاء ويدخل الجنة من غير توبة؟!

---

[1] نقلا من الربيع بن حبيب مكانته ومسنده، الشيخ سعيد بن مبروك القنوبي، ص: ١١٤.

[2] شرح الجامع الصحيح نقلا من "الربيع بن حبيب "، مرجع سابق، ص: ١١٦.

(٩) ويقول في صفحة ١٢ في رده على السمائلي: " وقوله عن حديث من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة " إذا مات غير مقترف لإثم دخل الجنة " وصف هذا التأويل بأنه فاسد ومظلم.

⇐ ولعل هذا المضلل يريد أن التأويل المشرق هو أن الشرك هو السبب الوحيد الذي يدخل النار متعاميا عن الآيات والأحاديث الكثيرة في الكبائر الأخرى التي تدخل النار.

(١٠) وفي ص ١٦ ينصح الإباضية أن يتجردوا بالدليل وأن يتخلوا عن ربقة التعصب والتقليد للآباء.

⇐ إن التقليد الذي وصف به الإباضية ليس هو إلا تقليدا لمن قالوا ذلك قبله ونقل أشياء لا حقيقة لها قيلت من ألف عام، وإلا فليأتنا بمسألة واحدة عن الإباضية لا تستند إلى الكتاب والسنة.

لا يزال الحق فينا مذهبا رضي الخصم علينا أم أبى

مع أحد الكتاب المعاصرين

⇐ قال سماحة الشيخ أحمد الخليلي: (إنّ أحد الكاتبين كتب تعليقا على كتاب عماني في الأنساب جاء فيه ذكر بني سليمة: " وإن منهم الإمام الشاري أبا حمزة المختار بن عوف الذي عرفه الإمام مالك "، كتب هذا الكاتب تعليقا على هذا الكلام قال: " نعم لقد عرف الإمام مالك أبا حمزة باغيا ضالا عن سبيل المؤمنين حين هاجم الحرمين الشريفين خارجا على الدولة الإسلامية"، ورد سماحته على هذا الكاتب بقوله:

⇐ أي إنصاف في كلام هذا الكاتب الذي كتب عن أبي حمزة!! ووصفه بالخروج على الدولة الإسلامية والضلال والإضلال!! مع أن أبا حمزة لم يخرج إلا على البغي والضلال، ولم يقاوم إلا الباطل، وهذا القائل يعني بالدولة الإسلامية بني أمية التي انتهكت حرمة الكعبة المشرفة فقصفتها بالمنجنيق، والله تعالى حرّم القتال حول المسجد الحرام، والدولة الأموية هي التي قتلت سبط رسول الله ﷺ الحسين بن علي، وهي التي استباحت حرم رسول الله ﷺ ثلاث أيام بالمدينة المنورة، وكانت وقعة الحرة التاريخية التي قُتل فيها أكثر من عشرة آلاف من أصحاب النبي ﷺ ولم يبق بعدها بدري واحد، وقد قيل أنه حمل في هذه

الوقعة ٣٠٠ من الأبكار من أهل المدينة بسبب معرة الجيش الأموي، فهل من الممكن أن توصف أنها متمسكة بالإسلام؟! وإن من خرج عليها ضال مضل، وإنه أحق أن يوصف بالبغي؟! ومتى هاجم أبو حمزة الحرمين الشريفين؟! إن أبا حمزة لم يقاتل في الحرمين الشريفين، ولكنه قاتل في قديد لما اعترضه أهل المدينة وحاول أن يقنعهم أن يرجعوا عنه، ولكنهم أبوا الرجوع، ثم قال لأصحابه: " كفوا عنهم ولا تبدؤوهم بالقتال حتى يبدؤوكم"، ولما رموا أصحابه بسهامهم وأصاب بعضها بعضا من رجاله قال لأصحابه: "دونكم الآن فقد حل قتالهم".

وقد كان تاريخه كله مثالا للاستقامة والنزاهة والبعد عن المؤثرات النفسية، وكان أكثر ما يكون بعدا عن الانتقام للنفس أو لأصحابه كما شهد التاريخ بذلك، كما جاء في كتاب البلاذري في " فتوحات البلدان" وكتاب " الأغاني " لأبي الفرج الأصفهاني وكتاب " مختارات الأغاني " لابن منظور، وهذه الكتب كلها ليست عن الإباضية، فكيف يوصف الإباضية بعد ذلك بالضلال؟!

عندما خرج قائد بني أمية ابن عطية ليقاتل الإباضية الذين كانوا تحت لواء أبي حمزة الشاري بالمدينة المنورة منع أبو حمزة أصحابه من قتالهم حتى يقيم الحجة على ابن عطية، قال له: ماذا تصنعون بكتاب الله؟ فأجابه ابن عطية: نضعه في الجوالق، قال له: وماذا تصنعون باليتيم؟ فأجابه: نأكل ماله ونفجر بأمه. فهل الإسلام يقتضي أن يوضع كتاب الله في الجوالق؟! وأن يؤكل مال اليتيم ويفجر بأمه؟! وهل الإسلام يقتضي أن من التزم طريق الحق وعمل بكتاب الله وسنة رسوله – عليه أفضل الصلاة والسلام – يعتبر من المارقين الخارجين عن هذا الدين الحنيف حتى يوصف أبو حمزة بأنه ضال مضل خارج عن الدولة الإسلامية.[1]

[1] أسباب التعصب ضد الإباضية شريط لسماحة الشيخ أحمد الخليلي.

فرية أخرى

من الافتراءات التي سطّرها الحاقدون على الإباضية إشاعة أن الإباضية يبيحون زواج الرجل بالرجل، يقول سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي: " من الأشياء التي يندى لها الجبين وإنما نذكرها للتمثيل أن بعض أهل الإفك ممن يتسمون بالعلم، الذين يحملون الحقد على الإباضية يشيعون عنهم أنهم يبيحون زواج الرجل بالرجل، سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم، فقد فات هؤلاء الذين يشيعون هذا الإفك بأنّ الجنس الثالث لم يكن في البلاد الإباضية، وبأن الذين يتغزلون بالغلمان ليسوا من الإباضية، فكتب الأدب حافلة بالغزل في الغلمان، وبالغزل في الرجال، وإنني لأتحدى أيّ أحد في مشارق الأرض ومغاربها بأن يأتي بيتا شعريا عن إباضي تغزل فيه بغلام وتغزل فيه برجل، فأنى تنطلي هذه الفرية على الإباضية مع أن الإباضية يرون حد اللواط كحد الزنا ومنهم من يرى أن اللائق أن يُرمى من شاهق، أو يُرمى بالحجارة حتى يموت، وقد عمل بذلك الإباضية طوال تأريخهم، وقد كانوا هكذا يعاقبون أصحاب هذه الجريمة الشنعاء.[1]

مع الدكتور هاني سليمان الطعيمات

وكتابه " الإباضية مذهب لا دين " الذي وصفه بأنه دراسة تحليلية نقدية لنشأة الإباضية ولموقفهم من التعصب المذهبي.

سبب تأليفه الكتاب:

ابتدأ فضيلة الدكتور كتابه بمقدمة جميلة ذكر فيها مشكورا: أن أفراد المجتمع العماني من الإباضية يتصرفون تصرف المسلم الطبيعي لا يشذ شيء من سلوكهم الديني أو المدني وإن وضعهم بالنسبة لإخوانهم من المذاهب الأخرى وضع طبيعي، فهم يعيشون معهم في السراء والضراء مندمجين مختلطين متعاملين في جميع شئون الحياة لا يعكر صفو العلاقة بينهم سوى

---

[2] سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، نبذ التعصب المذهبي، ص: ٤٣.

تصرفات أو فتاوى تصدر عن شخص من هنا أو هناك أو كتب تنشر تعيد إلى الأذهان الخلاف بين الفرق والمذاهب.

ثم أردف الدكتور أن ما دفعه لتأليف الكتاب أمور استوقفته في مؤلفات الإباضية، وشدت انتباهه، والظاهر أن العجب من هذه الأمور أخذ من فضيلته كل مأخذ ما حدا به إلى مزيدٍ من القراءة والبحث في تلك الأمور، ومن ثم إثباتها كما هو واضح في طيات صفحات الكتاب وبين ثناياه، وما خلص إليه الكاتب فيه.

وهذه الأمور هي:

(١) تقديم المذهب الإباضي على أنه مذهب أهل الحق والاستقامة.

(٢) الدفاع عن موقفهم في جملة مسائل من بينها موقفهم من الصحابة وخاصة عثمان وعلي.

(٣) إن الإباضية هم الوحيدون الذين سلموا من التعصب المذهبي.

(٤) الدعوة إلى الاعتماد على مؤلفات الإباضية عند الكتابة عنهم وعدم الركون إلى مؤلفات غيرهم.

منهجه:

لقد بدأ في الفصل الأول ما يسميه بالتعريف بالمذهب الإباضي وكان **أول تعريف** هو التلويح بالتشكيك في صلة الإمام جابر بن زيد بالإباضية ذاكرا ما يدعيه بعض الكتّاب في ذلك ص١٢.

أمّا **التعريف الثاني**: الإباضية يفترون على الصحابة:

يقول في ص٦٦ في معرض رده على قول سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي الذي ذكر فيه الشيخ افتراء كتّاب المقالات بقوله: " وإذا كان الافتراء وقع على رسول الله ﷺ فكيف لا يُفترى على غيره من أمته؟ وكيف لا يفترى على من تمسكوا بهدي سيرته؟ " رد عليه قائلا: " ونحن نقول عذرا سماحة الشيخ فإن ما قلته كما يصدق على الكتّاب من غير الإباضية فإنه يصدق أيضا على الكتّاب من الإباضية، وكما وقع الافتراء على رسول الله ﷺ فإنه وقع على صحابته الأخيار ومنهم سيدنا عثمان.

وأكثر ما ركّز في هذا الجانب على قضية عثمان حيث بلغ عدد الصفحات التي ناقش فيها هذه القضية ٤٤ صفحة أي ما يعادل ربع صفحات الكتاب مستعرضا بعض الروايات التي

استند إليها الإباضية في موقفهم من عثمان ومحاولا التشكيك في صحتها بإيراد روايات مخالفة، ومستعرضا ما وجد من الكلمات المتشددة التي قالها أي إباضي ليجعلها مبدءا من مبادئ الإباضية.

وهو يهدف من تلقيط الكلمات المتشددة إلى إثبات أن الإباضية يشركون عثمان حيث قال في ص١١٥: إنّ دفاع المعاصرين عن ما نسب من كفر لعثمان على كفر النعمة تأباه عباراتهم الواضحة الصريحة فإنّ الإباضية أصدروا أحكاما على عثمان لا تحتمل التأويل بأنه كافر وأنه خليع من الإيمان ولا أدري هل إنّ من يخرج من الإيمان أو يخلع عنه الإيمان يوصف بأنه مؤمن فاسق أم كافر مشرك.

ويهدف من محاولة رد الروايات بروايات مخالفة التي سماها أدلة إلى إثبات أن الإباضية افتروا على الصحابة وخاصة عثمان بن عفان حيث قال في ص٤٩: " والآن بعد كل ما تقدم من أدلة على عدم اشتراك الصحابة في قتل عثمان وعدم أمرهم به وعدم تقصيرهم في حماية عثمان والدفاع عنه هل يبقى للإباضية من دليل على ما ينسبونه إلى الصحابة؟ إنه لا دليل لهم في الأصل على ما نسبوه إليهم وما سقناه من روايات تاريخية إنما كان لنثبت لهم كيف أنهم وقعوا في أخطاء علمية وتاريخية لا عن جهل وإنما عن عمد تعصبا لآرائهم وتقديسا لأوائلهم الذين يزعمون أنهم كانوا على الحق فيما ذهبوا إليه، وإذا كان لهم من حجة فهي حجة عقلية أوهى من بيت العنكبوت وهي ادعاؤهم أن من ينسب إلى الصحابة الدفاع عن عثمان وعدم الرضا بقتله إنما ينسبهم إلى ذنب عظيم.

ويهدف من هذا كله إثبات أن الإباضية على غير استقامة حيث قال في ص٤٥: " عجبا لحال القوم وهم يصفون أنفسهم بأنهم أهل الحق والاستقامة فأين هو الحق وأين هي الاستقامة؟

وأخيرا انتهى بحثه عن عثمان بمطالبة الإباضية وغيرهم أن يتولوا عثمان ولاية حقيقة، وأن التصرفات التي صدرت عن عثمان مباشرة أو عن بعض ولاته هي اجتهادات إدارية قصد بها تنظيم شؤون الدولة، وأن مقتل عثمان كان ظلما وعدوانا قصد بها زعزعة أركان الدولة الإسلامية الفتية. ومهما يكن من أمر فتلك دماء طهر الله منها أيدينا فلنطهر منها ألسنتنا وأقلامنا.

التعريف الثالث: أن الإباضية خوارج:

يقول إن هذا الموضوع من أكثر الموضوعات وعورة خاصة بالنسبة للإباضية ويثير الفتنة ولكن أجدني مضطرا للبحث فيه استكمالا للتعريف بالمذهب الإباضي، وخاصة أن الإباضية لا يدعون فرصة سانحة بدون أن ينتهزوها معلنين براءهم من الخوارج، ورفضهم لمبادئهم ومعتقداهم المغالية المتطرفة، وآخر ذلك ما صدر عن سماحة الشيخ أحمد الخليلي مفتي عام السلطنة في الندوة التلفزيونية على قناة ART من نفي صلة الإباضية بالخوارج، وذكر حوادث وشواهد تاريخية تؤيد ذلك. وذكر أنه سيحكم على الإباضية من كتبهم وليس من كتب غيرهم وعندها ستعرف أن من نسبوهم إلى الخوارج كانوا على علم فيما نسبوه وليس استجابة لسياسة الدولة آنذاك كما يقول الباحثون المعاصرون من الإباضية.

فبدأ بما يسميه السياق التاريخي لظهور الإباضية فقال: أصبح واضحا أن وقفة صفين وما تبعها من أحداث زمن سيدنا علي بن أبي طالب قد أسفرت عن ثلاث كتل متصارعة:

١- كتلة عرفوا بالشيعة.

٢- كتلة معاوية وعرفوا فيما بعد بأهل السنة والجماعة.

٣- كتلة المحكمة، وعرفت بأهل النهروان وبالحرورية ثم اعتبرت خوارج. ثم ناقش صلة الإباضية بالمحكمة وتسمية الخوارج، ومن أطلقها وعلى من أُطلقت، وتوصل إلى نتيجة بيّنها بقوله: من الصعب على الإباضية أن ينفوا أهم من الخوارج في حين أهم يثبتون أن المحكمة أصل الإباضية.

التعريف الرابع: أهم متعصبون:

يستشهد على ذلك بما يلي:

- أهم وصفوا الدولة الأموية بالجائرة والحقد على الإسلام.

- يبالغون في مدح مذهبهم، ويقولون أنه الحق ويدعون إلى التمسك والثبات على آرائهم، ويدعون الناس إلى هذه الآراء، ويحاولون دحض الشبهات التي تثار حول المذهب. وأن الشيخ أحمد يدافع عن آرائهم في العقيدة والسياسة.

- الحكم بالخلود في النار على المخالفين وأنه لا يدخل الجنة إلاّ من كان على المذهب الإباضي.

- يجيزون التنكيل بمخالفيهم وحتى اغتيالهم، ص: ١٨٠-١٨١.

- لا يجيزون الدعاء بالمغفرة إلاّ لمن كان على المذهب الإباضي، ويستشهد بما جاء في المنهج المدرسي للصف الخامس في صلاة الجنازة والدعاء للميت الولي وغير الولي.
- وما عدوه من أدلة استقامتهم كل المذاهب تستطيع القول مثله.

مناقشة ما قاله:

أ- مناقشة أسباب تأليفه لكتابه:

ونحن إذ نزجي لفضيلة الدكتور شكرنا وشكر المذهب على الإطراء الجميل السابق لحديثه عن الأمور التي استوقفته وتعجب منها، نقول لفضيلته:

جانب الصواب فضيلتكم، فلا أدري ولست إخال أدري ما العجب فيما تعجبتم منه! فما فيه مستنكر ولا مستهجن.

أما قضية تقديم المذهب الإباضي على أنه مذهب أهل الحق والاستقامة فينجلي العجب عنها بأمور منها:

أولا: كل فرقة وكل مذهب، بل كل ديانة، وكل اعتقاد على وجه البسيطة يرى أتباعه أنهم على الصواب، وما عداهم على خطأ، وتلك طبيعة وجبلة في بني البشر.

ثانيا: من الطبيعي والمسلم به أن الإباضية وهم يعتقدون بعقيدة المذهب الإباضي أنهم يرون فيه الصواب وأنه هو الحق، ولو رأوا الصواب في غيره، ما اعتقدوا بعقيدته.

ثالثا: حديث الافتراق المشهور عند الجميع، قضى بالسلامة لفرقة من الفرق الإسلامية، وذكر الحديث أن جميع الفرق تدعي أنها هي، فما المستغرب أن يفعل الإباضية ذلك كما يفعل غيرهم.

رابعا: طالما سمعنا كثيرا من الأشرطة، وقرأنا كثيرا من الكتب، والمقالات والبحوث، التي ما تكاد تذكر كلمة أهل السنة والجماعة إلا أتبعتها بقولها: الفرقة الناجية، واضعة إحداهما بين قوسين تعريفا وتوضيحا لأختها، وكأن ذلك من الأمور المسلم بها والتي لا يختلف فيها عاقلان، فلِمَ لَمْ يستنكر فضيلة الدكتور ذلك يا ترى؟!! بينما رأى (ادعاء) الإباضية أنهم أهل الحق جرم لا يغتفر، وتعصب مقيت؟!

حلال على بلابله الدوح   حرام على الطير من كل جنس

۞ ولكني لا أستغرب مثل هذا الكلام فتكفير الناس وتضليلهم له جذور تأريخية فمنذ صلح الحسن بن علي سمي العام الذي تم فيه الصلح عام الجماعة أي جماعة الموالين لمعاوية، وأخذوا يتهمون من يخرج عن طاعة معاوية بالبدعة والضلال، يقول حسن بن فرحان المالكي - وهو من أهل السنة-: " ويقصدون بالجماعة الموالية للنظام الأموي من علماء وعوام وسلطة ... وأصبح الذي ينكر الظلم أو ينتقد الوالي شاذا و(ضد الجماعة) ومن شذ شذ في النار!! ... وحشروا في ذلك كل الأحاديث في وجوب التزام الجماعة وكأنّ المراد به الوقوف مع الحاكم في الخير والشر في الحق والباطل!! وكأن البدعة والضلالة في مفارقة (الجماعة والسلطات) وتم ذلك بانتقائية عجيبة!! ساعد الظل السياسي على انتشارها ووفر لها الحماية والصلابة أمام كل من أراد إنكار المنكر!! إذ أصبح مثل هذا ضد (وحدة الجماعة) و(ضد السنة) وبالتالي (ضد الإسلام) وعلى هذا حكموا على ثورة الحسين بن علي، وابن الزبير، وأهل المدينة، وابن الأشعث وأصحابه، وزيد بن علي وأصحابه، وأصحاب النفس الزكية، وأمثالهم بأنهم أصحاب فتن وأنهم ماتوا ميتة جاهلية!! وبالتالي أخرجوا هؤلاء الكبار من (السنة والجماعة) إلى البدعة والضلالة لأنهم ثاروا على يزيد بن معاوية والحجاج بن يوسف وأبي جعفر المنصور.[1]

" أما معاوية فيهملون بغيه وخروجه على الجماعة وكونه السبب الرئيس في اختلاف الأمة إضافة إلى استغلاله قميص عثمان والأحداث التي عملها في عهده من تكميم الأفواه، وقطع الرؤوس في الرأي، والاستئثار ببيت المال، وجعله الخلافة في ابنه المشهور بالفسق مع وجود أكابر الصحابة وأفاضل التابعين ..."[2]، " ولعن علي بن أبي طالب على المنابر "[3].

وتمادت في تكفير كل من ينزه الخالق، فرد عليهم علماء من أهل السنة قبل غيرهم فقد كتب جماعة من أئمة الشافعية منهم الشيخ أبو إسحاق الشيرازي والإمام أبو بكر الشاشي وآخرون كما في تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص٣١٠ محضرا في جماعة من هذه الطائفة ومما جاء فيه: (... أن جماعة من الحشوية الأوباش المتوسمين بالحنبلية أظهروا ببغداد من البدع الفظيعة ما لم يسمح به ملحد فضلا عن موحد ...، ونسبوا كل من ينزه الباري - تعالى

[1] حسن بن فرحان المالكي، قراءة في كتب العقائد المذهب الحنبلي نموذجا، ص: ٧٧.

[2] المرجع السابق، ص: ٧٥.

[3] المرجع السابق، ص: ١١٥.

وجل – عن النقائص والآفات وينفي عنه الحدوث والتشبيهات ويقدسه عن الحلول والـــزوال ويعظمه عن التغيير من حال إلى حال وعن حلوله في الحوادث وحلول الحوادث فيه إلى الكفر والطغيان ومنافاة أهل الحق والإيمان ...، وأبوا إلا التصريح بأن المعبود ذو قدم وساق وأضراس ولهوات وأنامل وأنه يترل بذاته ويتردد على صورة شاب أمرد بشعر قطط وعليه تاج يلمع وفي رجليه نعلان من ذهب ...).

ولم يسلم من ألسنتهم حتى أئمة أهل السنة، فقد ساق عبد الله بن أحمـــد بـــن حنبل (ت ٢٩٠هـــ) في كتابه "السنة" جملة من اتهامات وشتائم خصوم أبي حنيفة لأبي حنيفـــة وللأحناف ومما قالوه عن الإمام أبي حنيفة أنه: " كافر زنديق مات جهميا ينقض الإسلام عروة عروة !!! " " وأن الخمارين خير من أتباع أبي حنيفة !!! " وغيره الكثير نقلها حسن المـــالكي[١] فيما يعادل صفحة كاملة، فإذا كان وجد من يتكلم عن العلماء بل عن أئمة المذاهب وأتباعهم بهذا الكلام ومثله من غير استحياء ولا خوف من العاقبة فلا يستغرب إذا ظهر من يشنع على الآخرين.

ولكن هذا درس للدكتور يرشده إلى طهارة ألسن أتباع المذهب الإباضي عن السب والشتم فقد فتش عن كل كلمة متشددة ولكن لم يجد لمثل هذا أثر.

۞ وأما دعوة الإباضية من يكتب عنهم أن يأخذ من كتبهم، فإن البحـــث العلمـــي المنصف، والتعريف المقسط لفرقة من الفرق يقتضي أن ينبثق من استقراء ما خطته أقلامهم، وما ظهر من سلوكهم، لا من كتابات خصمهم عنهم، فمن أصول البحث العادلـــة أن تقـــرأ (في) المذهب، لا أن تقرأ (عنه)، وبين الحرفين بعد المشرقين، ولا إخال أن ذلك يخفى على دكتـــور حصيف مثل فضيلته. أم أنك تريد أن يحكم على الإباضية من خلال افتراءات كتاب المقالات عنهم، والتي لا تمت لواقعهم الذي عايشته وعايشه أمثالك بصلة، وليس بينها وبـــين الحقيقـــة المسطرة في كتبهم، أو المقروءة في صفحة واقعهم أدنى نسب أو لحمة قرابة؟!

---

[١] حسن فرحان المالكي، قراءة في كتب العقائد المذهب الحنبلي نموذجا، ص:١٠٦.

إذن لِمَ كلفت نفسك قراءة كتبهم عندما أردت تأليف كتابك؟ أما كان يكفيك ما سطره الأشعري من أقوال ناصعة في حق الإباضية، ويكفيك شرف قراءة أسماء الفرق التي ساقها هو ومن شايعه كالقطيع وأدخلها في الإباضية بل جعلهم الإباضية؟!

ب - بيان بطلان ما ادعاه في تعريفه الأول: يكفي لبيان عدم صحة ذلك ما ذكره بنفسه صفحة ١٥ حيث قال: فقد انضم - أي جابر بن زيد - إلى جماعة أبي بلال مرداس بن أدية التميمي؛ لأن مرداسا من زعماء الإباضية، وبالإضافة إلى ذلك فقد صرح يحيى بن معين ببطلان تلك الرواية، يقول سامي صقر في رسالة لنيل درجة الماجستير بعد أن أشار إلى روايات لابن سعد: " على أننا نجد عالما معاصرا لابن سعد يقدح في هذه الروايات التي تبرأ فيها الإمام جابر بن زيد من الإباضية والخوارج، إذ نجد يحيى بن معين وهو من كبار علماء الجرح والتعديل يصرح ببطلانها[1] .

ج- بيان بطلان ما ادعاه من افتراء الإباضية على الصحابة:

١- أما قولك: " كما يصدق على الكتاب من غير الإباضية فإنه يصدق على الإباضية " فهذا انتصار للباطل وتعصب مقيت، فهل رأيت أحدا من الإباضية أرّخ لفرقة من الفرق الإسلامية فسجل اسمها في الأعلى ثم قسّمها إلى فرق بأئمتها وعقائدها وهي لا تمتّ إلى تلك الفرقة بصلة كما فعل كتّاب الفرق الذين يسمون كتاب المقالات؟

٢- أمّا ادّعاؤك افتراء الإباضية على الصحابة وخاصة عثمان فأقول لك إن الإباضية لم ينفردوا بنسبة أي شيء إلى عثمان فكل ما قالوه في كتبكم فإن كان افتراء فمن هناك مصدره، بالإضافة إلى ذلك لم ينفرد الإباضية بذلك فهذا السيد قطب يقول: " لقد أدركت الخلافة عثمان وهو شيخ كبير، ومن ورائه مروان بن الحكم يصرّف الأمر بكثير من الانحراف عن الإسلام، كما أن طبيعة عثمان الرخية، وحدبه الشديد على أهله، قد ساهم كلاهما في صدور تصرفات أنكرها الكثيرون من الصحابة من حوله، وكانت لها معاقبات كثيرة، وأثار في الفتنة التي عانى الإسلام منها كثيرا ..." واستمر في ذكر أحداث عثمان نقلتها في (اتهام الإباضية

[1] الإباضية ومنهجية البحث، ص: ٥٩.

بكراهية الصحابة من هذا الكتاب. وهذا حسن المالكي من المعاصرين ذكر خلاف الصحابة مع عثمان، فقد قال بعد ذكر بعض الأحداث: " لكن المخالفين لعثمان سواء من الصحابة أو من عموم الناس يرون الأمر يطول، فقد اتخذ الأمراء بطانات سيئة تجمع الأموال ولا توزع الحقوق بالسوية ومن الصعب رفع الشكاوى الفردية لأن السخط عام والموافقون لهؤلاء الولاة إما أن يكونوا مستفيدين أو مخدوعين أو خائفين[1].

٣- **أما زعمك** تشريك الإباضية عثمان فهذا غير صحيح وإن كنت لا تدري من يوصف بالكفر ويخلع عنه الإيمان أنه فاسق أم مشرك فاقرأ قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (آل عمران:٩٧)، وقوله ﷺ: " والله لا يؤمن والله لايؤمن والله لايؤمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه "، فهل ترك الحج شرك؟! وهل من لا يأمن جاره بوائقه مشرك؟! وهذا عثمان وصف أهل المدينة بالكفر في رسالته إلى معاوية فهل ترى أنّه حكم بشركهم؟!

٤- **أما الروايات التي سقتها** للتشكيك أو ردّ بعض ما نسب لعثمان واعتبرها أدلة كيف صارت رواياتك أدلة قاطعة وروايات غيرك باطلة؟! ولكني أقول:

أولا: لا أستغرب وجود تلك الروايات لتأييد قضية عثمان لأن رسول الله ﷺ لم يسلم من الكذب عليه فكيف لا يكذب على صحابته، يقول حسن فرحان المالكي: " ومن آثار الدولة الأموية أن قوي تيار النواصب الذي ركز على فضيلة الأرض لأنهم لما رأوا أنّ صاحبهم لا يوازي عليا ولا يكاد نشرت النواصب فضل الوطن بدلا من فضل الشخص أنّ فيها الطائفة المنصورة التي ستبقى لا يضرها من خالفها إلى قيام الساعة!! وأن في العراق تسعة أعشار الشر، وأن عثمان سيقتله المنافقون مظلوما، وأنهم سيدخلون النار وأن عثمان يوم القيامة سيحكم في القاتل والخاذل!! وغير ذلك من الأحاديث ذات الصبغة السياسية وبعض تلك الأحاديث له أصل صحيح زادت في العثمانية والنواصب زيادات فجبرته لصالحها مثل حديث: (لا تزال طائفة من أمتي منصورين على من خالفهم ... الحديث) زادت فيه النواصب زيادات توهم أن

---

[1] حسن بن فرحان المالكي، قراءة في كتب العقائد المذهب الحنبلي نموذجا، مركز الدراسات التاريخية، ص: ٥٦.

تلك الطائفة هي بالشام وهي (عسكر معاوية)، وقد صحح بعض أهل الحديث تلك الأحاديث متناسين أن هذه الأحاديث وضعت للالتفاف على فضل علي ومن معه من المهاجرين والأنصار وأهل بدر والرفع من معاوية ومن معه"[1].

وتقول سيدة إسماعيل كاشف: " ومنذ الفتنة الأولى في الإسلام زمن عثمان بن عفان أخذ وضع الحديث يزداد وينمو حتى استفحل الأمر فيما بعد فترى الأمويين يروّجون لأحاديث في فضائل عثمان وفضائل الأمويين".

وقد ذكر سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي وضع تلك الأحاديث رادا على واضعيها حيث قال: " وقد وضعت أحاديث كثيرة منسوبة إلى رسول الله ﷺ بأن الحاكم تجب طاعته على أي حال برّ أو فجر، عدل أو جار، ما دام يقول لا إله إلاّ الله، كأنما كلمة لا إله إلاّ الله هي مجرد وسيلة إلى الظلم والعدوان، والجور والغشم، وليست وسيلة إلى الحق والعدل، والاستقامة والإنصاف بين الناس، مع أنّ مفهوم لا إله إلاّ الله هو إفراده سبحانه وتعالى بالملك والقهر، والحكم والأمر، فإنّ الإلوهية لله وحده، والناس متساوية أقدامهم أمام الله، لا يتفاضلون إلاّ بتقوى الله تعالى، فكيف تكون هذه الجملة التي قام عليها العدل، وقام عليها الرشد، وقام عليها الدين، وسيلة لظلم الظالمين، وعبث العابثين، وتكبر المكابرين؟!!"[2].

وقد أشار أبو الأعلى المودودي إلى تحريف الحقائق في زمن بني أمية بعد أن وصف حكمهم بالجاهلية حيث قال: " وكان من الطبيعي أن يصحب ذلك كله رواج فلسفة الجاهلية وآدابها وفنونها، فتدون العلوم والمعارف على طرازها لأن هذه الأمور تتطلب رعاية الدولة وإشرافا من الحكومة، ولما كانت هاتان تحت استيلاء الجاهلية، لم يكن بد أيضا من استيلائها أيضا على تلك الأمور "[3].

ثانيا: كثير من الروايات نقلتها من البداية والنهاية وابن كثير اعتمد في كتابته على الهيثم بن عدي لأنه يراه أحسن ما صنف في ذلك حيث قال: " قال الهيثم بن عدي في كتابه الذي

---

[1] حسن بن فرحان المالكي، قراءة في كتب العقائد المذهب الحنبلي نموذجا، مركز الدراسات التأريخية، عمّان، ص: ٧٩.

[1] سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، نبذ التعصب المذهبي، ص: ١٢.

[2] موجز تجديد الدين وإحيائه، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ص: ٤٣، نقلا من نبذ التعصب المذهبي لسماحة الشيخ أحمد الخليلي، ص٢٢.

جمعه عن الخوارج وهو أحسن ما صنف في ذلك"[1]. وهذا الهيثم قال عنه البخاري: ليس بثقة كان يكذب، وقال أبو داود عنه: كذاب، وقال الإمام أحمد: كان صاحب أخبار وتدليس.[2]

ولا داعي لأناقش صحة تلك الروايات فلسنا متعبدين بالبحث عنها أو البحث لإدانة فلان وتزكية فلان، بل إن مثل هذه القضايا أمرنا بتركها فقد قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ (البقرة:١٣٤)، وهذا المنهج الذي اتبعه الإباضية منذ قرون فلم يكتبوا في ذلك إلاّ لرد شبه المبطلين، الذين يبحثون عن خلافات الماضي لتفريق المسلمين وهم مستمرون في ذلك خلف بعد سلف، ولذلك أقتصر على أقل شيء يكفي لإزالة ضباب الوهم التي كونته بكتابتك فأكتفي برواية واحدة من الروايات التي استدل بها الإباضية ولم تشملها بدراساتك التحليلية وهي رسالة عثمان بن عفّان إلى معاوية التي أوردها الإمام الطبري حيث قال: " فلمّا رأى عثمان ما قد نزل به، وما قد انبعث عليه من الناس، كتب إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشام: بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد: فإن أهل المدينة كفروا وأخلفوا الطاعة، ونكثوا البيعة، فابعث إليّ من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول. فلما جاء معاوية الكتاب تربص به وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله ﷺ وقد علم اجتماعهم.

وكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر أن اندب إليّ أهل البصرة، نسخة كتابه إلى أهل الشام.[3]

فلو شملت هذه الرسالة بدراستك التحليلية لتجيبنا:

١- من هم أهل المدينة ؟ أليسوا صحابة رسول الله ﷺ؟ أم أنهم تحولوا إلى سبئيين؟

٢- لماذا يستنجد بأهل الشام وأهل المدينة موجودون؟

٣- هل تدل الرسالة عن رضاهم عنه؟

٤- هل تدل على ولايتهم له ولاية حقيقة كما تقول؟

---

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص: ٣٨١.

[4] الإباضية ومنهجية البحث، ص: ٧٥.

[1] تأريخ الطبري، ج٢، ص: ٦٦٣.

٥- إذا كان ما فعله عثمان لا يعدوا أن يكون أخطاء إدارية لا يسلم منها أي حاكم فكيف صح لهم خلف الطاعة ونكث البيعة؟

٦- ما حكم خلف الطاعة ونكث البيعة عن الإمام العادل؟

٧- كيف توفق بين قولك رضاهم عنه وما وصفهم عثمان به؟

٥- **أما ما سميتها بفتنة عبد الله بن سبأ** التي حاولتم نسبة بعض الصحابة الذين لم يتفقوا مع رأي بني أمية إليها كعبد الرحمن بن عديس الذي بايع تحت شجرة الرضوان وعمار بن ياسر الذي قلتم استماله السبئيون، **يقال عنها أنها شخصية وهمية** فهذا الدكتور عبد العزيز بن صالح الهلابي عمل دراسة عن دور عبد الله بن سبأ في الفتنة وتوصل إلى نتيجة وصفها بقوله: " والذي نخلص إليه في بحثنا هذا أنّ ابن سبأ شخصية وهمية لم يكن لها وجود فإن وجد شخص بهذا الاسم فمن المؤكد أنه لم يقم بهذا الدور الذي أسنده إليه سيف وأصحاب كتب الفرق لا من الناحية السياسية ولا من ناحية العقيدة.[1]

وقال حسن فرحان المالكي: " أمّا دوره المزعوم في الفتنة فأجزم ببطلانه وأما وجوده من حيث الوجود فلم أحتم به وليست القضية في وجوده من عدمه فالزنادقة والمبتدعة موجودون على مر التأريخ لكن ليس معنى هذا أن تنسب لهم سقوط دول وقيام أخرى، **علما بأنّ العلماء في القرون الثلاثة الأولى على اختلاف اهتماماتهم وأهوائهم لم يذكروا ابن سبأ بحرف واحد**، وأول من تحدث عن دوره المزعوم في الفتنة كان سيف بن عمر الإخباري الكذاب.[2]

❁ هل الدفاع عن الصحابة هو تبرئة أحد على حساب آخر؟! فكثير من الصحابة عددتموهم من السبئيين من بينهم عبد الرحمن بن عديس وهو صحابي جليل ذُكر في الإصابة وأسد الغابة والأعلام والطبقات الكبرى، بايع تحت شجرة الرضوان، ومنهم زيد بن صوحان ذُكر في أسد الغابة وأخوه صعصعة بن صوحان ذكره ابن عبد البر في الصحابة في تهذيب التهذيب وعمار بن

---

[1] الدكتور عبد العزيز صالح الهلابي، عبد الله بن سبأ دراسة للروايات التأريخية عن دوره في الفتنة، ص: ٧٣، نقلا من الإباضية ومنهجية البحث ص: ١٤٤.

[2] حسن فرحان المالكي، قراءة في كتب العقائد المذهب الحنبلي نموذجا، ص: ١٣٥.

ياسر وغيرهم. فما الذي جعل عثمان من الصحابة وابن عديس المبايع تحت الشجرة من السبئيين؟! فهل تريدون منا أن نبرأ ممن بايع تحت شجرة الرضوان والله يقول: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ (الفتح: ١٨)، وهل هذا هو الدفاع عن الصحابة؟!

وقبل الأخر تذكر: موقف الصحابة الذي بينته رسالة عثمان، وأنّ فتنة عبد الله بن سبأ - التي عولتم عليها في تبرير موقفكم من الفتنة - لم يذكرها أحد إلاّ بعد ثلاثة قرون، وستعلم إن كانت حجة الإباضية أوهى من بيت العنكبوت أو أن غيرهم اتبع السراب.

وأخيرا أقول وأكرر إنّ قضية الصحابة ينبغي الكف عنها وعدم الخوض فيها والاشتغال بما يهم الأمة الإسلامية من أمور دينها دنياها.

د- مناقشة ما ادّعاه من صلة الإباضية بالخوارج:

أولا: لا أدري ما الفائدة من الإلحاح على إدراج فرقة إسلامية في الفرق الضالة مع أنها معروفة ببعدها عن تلك الفرق حيث إن الإباضية بينوا بُعد الإباضية ومخالفتهم للخوارج، وقد ذكرتُ بُعد الإباضية عما نسبه المخالفون بأنفسهم إلى الخوارج من عقائد وآراء في ٢٥ نقطة، ولاشك أن المؤلف قرأها لأنه نقل من هذا الكتاب، لكنه يقول إنه مضطر للبحث في هذا الموضوع من أجل التعريف بالمذهب الإباضي، وأنا أوافقه أنه مضطر للبحث في هذا الموضوع ليحقق هدفه من كتابة هذا الكتاب وهو محاولة إثبات أن الإباضية على غير استقامة، فقد ذكر في بداية الكتاب أنّ قول الإباضية إنهم أهل الاستقامة من أسباب تأليف الكتاب، وليكمل ما بدأه من رسم صورة قبيحة للمذهب الإباضي، فنسبتهم إلى الخوارج يعطي بعدا كبيرا من ملامح التشويه لأن اسم الخوارج ارتبط بوصف المروق من الدين مع أن المروق من الدين بدأ على يد نافع بن الأزرق حينما حكم على المسلمين بأحكام المشركين، ومن المعروف أنّ عبد الله بن أباض تبرأ من أعمال نافع بن الأزرق.

ثانيا: ما المانع من أن يعلن الإباضية براءهم من معتقدات وآراء الخوارج المتطرفة طالما أنهم لا يشاركونهم في ذلك، فأنت بحثت في كتب الإباضية وفتشت عن أيّ كلمة تراها في نظرك أنها

متطرفة فهل وجدت أن الإباضية يعتقدون أنّ صاحب الكبيرة مشرك؟ أو أنهم يجيزون اغتنام أموال المسلمين؟ أو يجيزون سبي ذراري المسلمين؟ أو عدم جواز القعود عن قتال المسلمين؟

ثالثا: اتفاق الإباضية مع الخوارج في رفض التحكيم والقول بخلود أهل الكبائر في النار لا يعني أنهم خوارج لأن الفرق الإسلامية لابد أن تتفق في بعض القضايا.

رابعا: لو فرضنا أنّ كلمة خوارج أطلقها واحد أو اثنان على المحكمة لكنهم لم يكونوا معروفين بهذا الاسم وإنما صارت شائعة ومعروفة فيما بعد في الذين حكموا على المسلمين بأحكام المشركين مثل الأزارقة والصفرية وصارت مرتبطة بهم بسبب مروقهم من الدين.

خامسا: لو ساغ أن يطلق على الفرق المنبثقة من المحكّمة اسم خوارج بسبب أن هناك من أطلق على المحكمة ذلك حسب كلامك لساغ أن يطلق على الفرق التي ذكرتها أنها منبثقة عن كتلة معاوية فرق البغاة حيث قلت: وكتلة معاوية وعرفوا فيما بعد بأهل السنة والجماعة؛ لأنّ كتلة معاوية بغاة بنص حديث (ويح عمّار) المتواتر الذي رواه أربعة وعشرون صحابيا[1]، قال عبد القادر الجرجاني في كتاب الإمامة: " أجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقي الحديث والرأي منهم مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي والجمهور الأعظم من المتكلمين أن عليا مصيب في قتاله لأهل صفين كما قالوا بإصابته في قتل أصحاب الجمل، وقالوا أيضا بأنّ الذين قاتلوه بغاة ظالمون له ولكن لا يجوز تكفيرهم ببغيهم "[2]، وقد نقل الحافظ ابن حجر[3]: الإجماع على أنّ عمّار رضي الله عنه قُتل في جيش علي بصفين سنة ٣٧ للهجرة. فهل تريدوننا ننسبكم فرق البغاة بدعوى التعريف؟

هـ- بيان عدم صحة ما ادّعاه من تعصب الإباضية:

وأما قضية (ادّعاء) الإباضية تحررهم من التعصب المذهبي، فإن تعجب فعجب استنكار فضيلة الدكتور لها وهو المعلم لمادة التربية الإسلامية في السلطنة وللنظم الإسلامية بالتحديد، وهو القارئ لكتب الإباضية التي أفرزت له هذا التعجب على الأقل، كما أثبت ذلك في مقدمته.

---

[1] الشيخ عبد الله الهرري، المقالات السنية، ص: ١٩٣، دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة.

[2] المرجع السابق، ص: ١٩١.

[3] الإصابة في تمييز الصحابة، (٢/٥١٢)، نقلا من المقالات السنية، مرجع سابق.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ألم يجد فضيلته في تعليمه أو اطلاعه هناك على ما يزول عجبه ويزيل حيرته؟!

أم يا ترى رأى فضيلته تعصب الإباضية كامنا في كونهم لا يحكمون على غيرهم من الفرق الإسلامية بالكفر والردة ويجرون على مخالفيهم أحكام المسلمين يزاوجونهم ويوارثونهم ولا يستحلون دماءهم، ويقولون:

فمن أتى بالجملتين قلنا إخواننا وبالحقوق قمنا

أما غيرهم فهو غير متعصب مع أنهم يحكمون على مخالفيهم بالكفر والرّدة، ويقولون[1]:

الأشعرية ضلال زنادقة إخوان من عبد العزى مع اللات

ويقولون: لكن أخو التعطيل شر من أخي الإشراك بالمعقول والبرهان

أم لأنهم لا ينفون الخير عن القرآن والسنة بلا فهم لسلفهم كما قال غيرهم حيث يقول الطحان في شريط مسجل: " لا خير في قرآن بلا سنة ولا خير في سنة بلا فهم لسلفنا الكرام "، وقال: " فكل من يدعو إلى قرآن بلا سنة فهو ضال وكل من يدعو إلى كتاب وسنة بلا فهم لسلفنا الأبرار فهو ضال "[2].

- أم في كون كتبهم مليئة بأقوال علماء مخالفيهم، أمّا غيرهم غير متعصب مع أن كتبهم لا تجد فيها كلمة واحدة نقلت عن عالم إباضي.
- أم لأن كتبهم مليئة بمرويات مخالفيهم، بينما لا تجد في كتب مخالفيهم رواية من مسند الإمام الربيع بن حبيب، لكونه إباضيا لا غير.
- أم لأن مكتباتهم العامة والخاصة مليئة بكتب مخالفيهم، أما غيرهم غير متعصب مع أن مكتباتهم خالية من كتب الإباضية.

---

[1] هذا القول للحسن بن العباس جاء في كتاب أعلام النبلاء نقلته من مخطوطة للشيخ سعيد القنوبي ص١٣.

[2] سقط القناع، سماحة الشيخ الخليلي، ص: ٧٨.

❖ **أم لأنهم لم يحملوا حقدا على الفرق الإسلامية الأخرى** فلم يكتب أحد منهم كتابا عن أي فرقة لتشويهها، أمّا غيرهم غير متعصب مع أنّ كتبهم التي تشوه المذهب الإباضي بدأت منذ قرون عديدة ولا تزال تتوالى.

❖ **أم لأنهم لا يرضون الكذب على مخالفيهم**، أمّا غيرهم غير متعصب مع أن كتبهم مليئة بالكذب على الإباضية كما رأينا فيما سبق، ولا تزال تروج في بعض الكتب الحديثة.

❖ **أم لأنهم يجلون علماء مخالفيهم ويقدرونهم ولا يروضون القدح فيهم**، وهذه كتبهم وسلوكهم شاهد بذلك، فقد أخبرني بعض الإخوة أن رجلا قال عند الإمام محمد بن عبد الله الخليلي عن الإمام الشافعي أنه يتعجل في المسائل، فنهره الإمام الخليلي، أما غيره غير متعصب مع أنه يصب سيلا من الشتائم.

كل ذلك واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، لا يستساغ أن يفوت على مطلع لكتب المذهب، ومعلم في أرضه، ومخالط لأتباعه.

وإن لم تكن هذه الشواهد دليلا على تحرر الإباضية من التعصب المذهبي فليت فضيلة الدكتور وضع لنا تعريفا بسيطا ولو في سطر أو سطرين للتعصب المذهبي، لنرى ونستطيع أن نقيس بدقة عمق انغماس المذهب في بئر التعصب المقيت، ومدى تعشق كتّاب المذهب للإدعاءات الفارغة بالتحرر من التعصب.

أما قول الإباضية بأن الدولة الأموية جائرة – الذي سماه تعصبا –، فلا أدري إذا كانت الدولة الأموية عادلة ماذا نسمي انتهاكها حرمة الكعبة المشرفة عندما قصفتها بالمنجنيق، والله تعالى حرّم القتال حول المسجد الحرام، وقتلها سبط رسول الله ﷺ الحسين بن علي، واستباحتها حرم رسول الله ﷺ ثلاث أيام بالمدينة المنورة، وكانت وقعة الحرة التاريخية التي قُتل فيها أكثر من عشرة آلاف من أصحاب النبي ﷺ ولم يبق بعدها بدري واحد، وقد قيل أنه حمل في هذه الوقعة ٣٠٠ من الأبكار من أهل المدينة بسبب معرة الجيش الأموي.

وقد ذكر ظلم بني أمية كثير من علماء غير الإباضية، وقد سمى أبو الأعلى المودودي حكمهم جاهلية، فقد قال بعد أن ذكر الخلافة الراشدة: " وحل محلها الملك العضوض وبدأ الحكم يقوم على قواعد الجاهلية بدلا من قواعد الإسلام، ولما أصبح الحكم إلى

الجاهلية جعلت عدواها تسري إلى الحياة الاجتماعية وتدب فيها دبيب السرطان في الجسم الحي. ولا غرو فقد كانت مقاليد السلطة بيدها لا بيد الإسلام، وكان الإسلام بعد أن فقد قوة الحكم لا يمكن أن يمنع أثرها من النفوذ وسلطانها من الامتداد، وآفة الآفات أن الجاهلية لم تمثل بين يدي القوم في حقيقتها العارية المكشوفة، بل واجهت الناس لابسة قناع الإسلام ملونة بلونه.

أمّا مدحهم لمذهبهم وتمسكهم به والدفاع عن آرائه العقائدية والسياسية فذلك نابع من اقتناعهم أنه حق والدعوة للحق فضيلة ومن يرى أنه باطل فعليه بحوارهم ولا يكتفي بالكتابة خلف الحيطان.

ولم يقولوا نظرة لأحد أئمتهم خير من عبادة سنة كما قال غيرهم أن نظرة من الإمام أحمد خير من عبادة سنة[1]، وأن الله يزوره في قبره كل عام[2]، ومن أبغض أحمد بن حنبل فهو كافر[3]، وأن أهل السماوات من السماء السابعة إلى السماء الدنيا اشتغلوا بعقد الألوية لاستقبال أحمد بن حنبل[4]، ومثل هذا كثير. وحاشاه أن يرضى بمثل هذا، فأين الدكتور عن هذه الأكاذيب؟!

أمّا دخول الجنة فلا يشترط الإباضية أن يشهد الرجل أنه إباضي وإنما يشترطون الاستقامة في الاعتقاد والقول والعمل، فمن كان مستقيما في ذلك دخل الجنة من أي مذهب كان، وأمّا من كان عنده انحراف في سلوكه أو عقيدته فلا يدخل الجنة؛ لأن هذا الانحراف معصية، فالمعصية لا تقتصر على الانحراف في السلوك وإنما تشمل الانحراف في العقيدة، ولا أعتقد أن هناك فرقة ترى أن الفرق المخالفة لها على صواب لأنّ ذلك اعتراف منهم بالخطأ فكيف يقيمون عليه لو عرفوا الحق في غيره، وعلى هذا فجميع الفرق ترى أن الفرق الأخرى عندها انحراف في العقيدة. وهل اعتقادكم وقولكم أنكم الفرقة الناجية يعني إلاّ أنكم تعتقدون الهلاك لغيركم؟

---

[1] مناقب أحمد، ص: ١٩٧، نقلا من كتاب قراءة في كتب العقائد تأليف حسن فرحان المالكي ص ١٥٢.

[2] مناقب أحمد، ص: ٥٥٠، نقلا من المرجع السابق ص١٥٢.

[3] طبقات الحنابلة، ١٣/١، نقلا من كتاب قراءة في كتب العقائد تأليف حسن فرحان المالكي ص١٥١.

[4] مناقب أحمد، ص: ٥٦٤، نقلا من قراءة في كتب العقائد تأليف حسن فرحان المالكي ص ١٥٣.

وأذكرك بأحد أقوالكم فقد جاء في طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢٩/١ عن الإمام أحمد قوله: من قال لفظه بالقرآن مخلوق فهو جهمي مخلد في النار خالدا فيها. والقول بخلق اللفظ قال به معظم علماء الأمة مع أنه لا يعتقد الخلود إلا للمشركين.

أمّا اغتيال مخالفيهم فهذه فرية تكذبها مبادئ الإباضية التي لا تبيح قتل من نطق بالشهادتين وقد ذكرت ذلك في هذا الكتاب أكثر من مرّة، ويكذبها التاريخ، ولكني لا أستغربها فلها سلف من الافتراءات متواصل ومستمر منذ قرون، وإلاّ فأين حوادث الاغتيال التي وقعت من الإباضية في الماضي أو الحاضر سواء كان في عمان أو المغرب أو اليمن أو أيّ مكان آخر؟ وكيف لا تقول أن الحنابلة يجيزون قتل مخالفيهم مع أنهم نقلوا بعبارة صريحة عن الإمام أحمد استحلال دم من يقول بخلق القرآن[1]، وأنه لا يسمع ممن لم يكفرهم ولا يسلم عليه ولو كان من الأقارب ولا تشهد لهم جنائز ولا يعدون في مرضهم[2]، ولا أظنك أنك ترى هذا تعصب، فالوضع هنا كما يقول الشاعر:

فعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

والأسوأ اختلاق المساوئ لبثّ الفرقة والخصام بين الأمة الإسلامية وليس إبداءها. وحادثة الاغتيال التي ذكرها التاريخ عند غير الإباضية ذكرها ابن الأثير في حودث ٥٦٧هـ فإن شئت فارجع إليه.

أمّا الدعاء بالمغفرة الذي في كتاب الصف الخامس هو نفسه الموجود في تلقين الصبيان لنور الدين السالمي، ليس له علاقة بالمذهبية، وإنما هناك دعاء للولي المعروف بصلاحه واستقامته ودعاء عام لمن لا يعرف عنه الصلاح.

وأما قولك إن أدلة استقامة الإباضية التي ذكرتها في هذا الكتاب ليس لها دليل وكل المذاهب تستطيع أن تقول ذلك، فأنا في الحقيقة أقمت الدليل فأذكر على سبيل المثال:

- قلت أنهم أقاموا الخلافة الإسلامية فبايعوا في عمان وحدها حوالي ستين إماما، فأين أئمة المذاهب الأخرى الذين أقاموا الخلافة الإسلامية؟

---

[1] طبقات الحنابلة، (١٥٦/١)، نقلا من المرجع السابق ص١١٢.

[2] طبقات الحنابلة، (١/ ١٥٧)، نقلا من المرجع السابق ص١١٢.

۞ وقلت بوحدة أقوالهم في العقيدة، فهل من هم ستة أقوال في الرؤية وأكثر من عشرة أقوال في قدم القرآن يستطيعون القول بذلك؟

۞ وقلت أن الإباضية بعيدون عن الكذب، فهل المذهب الذي تورط أتباعه في وضع الأحاديث والكذب على الفرق الإسلامية يستطيعون القول ببعدهم عن الكذب؟

۞ ولكنك انظر إلى ما سميتموها خصائصكم فإما أن تجد مشاركة الآخرين لكم فيها أو أنها مخالفة للواقع، فخذ من النوع الأول: دعوتكم الاختصاص في الاقتصار في التلقي على الكتاب والسنة، ودعوتكم الاتباع وعدم الابتداع، وليس لكم إمام معظم تأخذون كلامه كاملا، فهذه كلها من مبادئ الإباضية جمعها نور الدين السالمي رحمه الله في بيت واحد فقال:

حسبك أن تتبع المختارا   وإن يقولوا خالف الآثارا

ومن النوع الثاني: دعوتكم الأمانة العلمية، والتثبت من الأخبار، وعدم التسرع في إطلاق الأحكام، وهذه واضحة في الأكاذيب التي سطرها كتاب الفرق مثل الأشعري وغيره.

وادعاؤكم سعة الأفق، وهذه واضحة في امتناعكم عن عد كتاب الجامع الصحيح للإمام الربيع بن حبيب من كتب الحديث فضلا عن الأخذ من رواياته وذلك لسبب واحد وهو أنّ مؤلفه إباضي، وعن نقل قول أي عالم من الإباضية.

وأما الدعوة التي وجهتها في نتائج البحث لترك الألقاب التي قيلت في ساعة العسرة، فما فائدة هذه الدعوة وأنت أصررت كل الإصرار وحاولت بكل ما أوتيت أن تلصق الإباضية بالخوارج فلم خالف قولك فعلك والله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الصف: ٢-٣).

ولكني أدعوك وأدعو أمثالك الذين يشنون هجماتهم المتواصلة على الفرق الإسلامية ومن بينهم الإباضية ويستخدموا الفتنة التي كانت زمن الصحابة، ويحاولون البحث عن أقوال الماضين المتطرفة لإثارة العداوات بين فرق الأمة الإسلامية أن يكفوا عن ذلك حفاظا على وحدة المسلمين، ولئلا يضطروا الآخرين للحديث عن أمة قد خلت، أو نقل أقوال بعض العلماء المتطرفة، فليس من شأننا التشهير بالمسلمين وخاصة العلماء، فلا تجد من ألّف من

الإباضية في فرقة للتشهير بها أو نقل قول عالم للتشهير به، فهذا نور الدين السالمي – رحمه الله – يقول:

نحن الألى نسكت عما قد مضى ... ولا نعد الشتم دينا يرتضى
وما ذكرته بهذا النظم ... لم يك بالسب ولا بالشتم
لكنه كشف لأصل الأمر ... ليظهر المخطئ من ذي العذر
نقول تلك أمة وقد خلت ... وكل فرقة لها ما كسبت
ودينا لم يتوقفنا ... لشتم من ضل فنشتمنا
وفي صنوف طاعة الرحمن ... شغل عن الفضول باللسان
يلزمنا أن ننكرن المنكرا ... وما يزيد لم يكن ليذكرا
لو كان الاعتقاد موقوفا على ... ذكر المضلين إذن تطوّلا
وامتلأت مجلدات العلم ... بالسب والشتم لأهل الظلم
هيهات ليس ذاك عندنا بشي ... بل فعله يعرف عندنا بغيّ[1]

ولم أنقل ما نقلته إلاّ اضطرارا لرد الشبه اقتصرت على أقل ما يكفي.

﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (إبراهيم: ١٢).

مع المنصفين

نود من إخواننا المسلمين الذين يريدون الكتابة أو التكلم عن المذهب نقل الحقيقة كما هي وهذا بحد ذاته عمل يستحق الشكر والعرفان، ومن لا يتضح له صحة أي مبدأ من مبادئ الإباضية فأبواب علمائنا مفتوحة وصدورهم رحبة لكل استفسار أو حوار أو نقد بناء لكل من أراد أن يعرف الحقيقة.

[1] كشف الحقيقة، مرجع سابق، ص: ٦.

والحمد لله تطالعنا بين حين وآخر أقلام نظيفة لم تستغ الكذب والإفتراء ولم يستهوها التعصب المقيت تحرت الصدق فيما تكتب فنقلت الحقائق وسجلت ثناءها، وأنا لا أستطيع استقصاء تلك الأقلام والأصوات الصادقة فلهم جميعا الشكر والتقدير على ثنائهم وعلى نقلهم الحقيقة.

ولكني أذكر بعض المنصفين، فمنهم: العلامة الجليل عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي بدمشق سابقا، والعلامة الكبير السيد عبد ربه من علماء الأزهر الشريف، والشيخ الفاضل محمد شحاتة أبوالحسن، وقد ذكر أقوالهم وثناءهم سماحة الشيخ أحمد في الحق الدامغ، وأنا أسجل هنا ما خطه صاحب أحد تلك الأقلام الصادقة وهو الدكتور: محمد نعيم محمد هاني ساعي، أستاذ الفقه وأصوله (الجامعة الأمريكية المفتوحة – الولايات المتحدة الأمريكية) في كتابه " القانون في عقائد الفرق والمذاهب الإسلامية " الذي حاول فيه جاهدا قول الحق والدفاع عنه لتوحيد الأمة الإسلامية والقضاء على زبد الباطل الذي أثارته تلك الأصوات الصاخبة، فأنقل هنا ما كتبه عن الإباضية مكررا شكرنا وتقديرنا له ولكل من كانت له نية صادقة في تحري الصواب .

يقول الدكتور تحت عنوان (**الإباضية وتهمة الخارجية**): " قد ذكرنا في أول كلامنا عن هذه الطائفة أن الأصح عندنا أن تنسب إلى جابر بن زيد؛ لأن المذهب الاعتقادي لا يمكن أن يحويه أو يعبر عنه أو ينطق بلسانه رأي سياسي أو حركة سياسية في عصر معين مضى وغبر، وإنما يحويه ويعبر عنه جملة اعتقاداته وأصوله الفكرية ومدرسته الفقهية، ولا بأس أن تكون أراؤه السياسية جزءا من تلك المسائل التي حملتها مدرسته الفقية ...، فإذا تمهد هذا، فاعلم أيها الموفق أن الخوارج إذا ذُكروا في التأريخ وكتب الفرق ومصادر الملل والنحل فإنما تجمعهم جملة من الاعتقادات تكون أصول فكرهم الخارجي، ولا بأس لمن حمل فكرهم هذا أن ينحل بنحلتهم وأن يرمى بتهمتهم، لا فرق في ذلك بين أن يكون معاصرا فيما مضى من الزمان قريبا من دارهم، أو أن يكون بينه وبينهم بعد ما بين المشرقين زمانا ومكانا.

ولا غرابة كذلك في أن يبرأ من مقالتهم من لا يحملها ولا يعتقدها لا فرق في ذلك أيضا أن يكون من الغابرين أو الحاضرين، ولكن البأس كل البأس والغرابة والعجب أن يتهم قوما بنحلتهم وأن يرغموا على التدثر بدثارهم، والتظاهر بشعارهم لأنه مشتركا معهم في قول

لا يقولونه وحدهم وإنما يشاركهم فيه أئمة وفقهاء وأعلام من مدارس ومذاهب مختلفة ...، وإذا كان الغلو والشدة مع المخالفين من أهل القبلة هو جوهر الفكر الخارجي فإن هذا الفكر قد وجد في غير من سموا بالخوارج، ومن قرأ التاريخ القديم والحديث عرف صحة ما قلناه ".

وواصل قوله قائلا: " لما استعرضنا مقالات الإباضية والمعاصرة خاصة لم نجد فيها أصول الفكر الخارجي، فالأباضية لا تقول بتكفير المخالفين ولا استحلال الدماء والأموال، ولا تجعل دار السلطان الفاجر دار كفر، ولا تقول بتكفير من قعد عن الخروج على سلاطين الجور، وإذا سمى بعضهم من وقع في الكبائر كافرا فهو عندهم كفر نعمة لا كفر اعتقاد بدليل أنهم يعتبرونه مسلما في الدنيا تجري عليه أحكام المسلمين [1].

وقال في الرد على من يفتي بعدم الصلاة خلف الإباضية: " ... هذه إحدى طامات هذا الزمان بل هي إحدى البلايا الكبار التي ابتلى الله تعالى بها هذه الأمة، نعم جماعة من المشايخ والمفتين من حملة الفكرالسلفي " المستحدث " يفتون بعدم الصلاة خلف الإباضية وغيرهم ممن يقولون بخلق القرآن على المعنى الذي بيناه، وقد شاعت هذه الفتوى بين صفوف المسلمين في ديار الإغتراب، فزادهم فرقة على فرقتهم، وشتاتا على شتاتهم، ولو أن هذه الفتوى خرجت عن أصل مكين أو اعتبار متين وحجج ناصعات وبراهين ساطعات لكنها تجاهلت أحوال الأمة وظروفها، فكيف إذا كانت (الفتوى) ليست إلا قال فلان وقال علان من أن فلانا قال بتكفيرهم، وفلانا نهى عن الصلاة خلفهم. فكيف يستوي عند القارئ الحصيف، والمثقف النزيه، النهي عن الصلاة خلف الإباضية والإمام البخاري يأتمن هؤلاء وغيرهم على حديث رسول الله ﷺ فقد روى البخاري في صحيحه عن الإباضية ...

فإن كان النهي عن الصلاة خلفهم لمخالفتهم في مسألة خلق القرآن فقد بينا ما في هذه المسألة من أشواك وخلصنا على أن الاختلاف بين جماعة العقلاء لا يعدو أن يكون شكليا لا حقيقيا، وأما غير العقلاء فعلى قول الإمام فخر الدين الرازي هم أقل من أن يلتفت إليهم.

وإن كان النهي عن الصلاة خلفهم لقولهم بامتناع رؤية الله بالأبصار فلم ينفردوا بهذا القول وقد بينا هذا من قبل.

---

[1] محمد نعيم محمد هاني ساعي، القانون في عقائد الفرق والمذاهب الاسلامية، ص: ٣٧٢، دار السلام، القاهرة.

وإن كان النهي عن الصلاة خلفهم لقولهم بتخليد أصحاب الكبائر فكذلك لم ينفردوا بهذا القول، بل هم أقوى الناس حجة ودليلا في هذه المسألة لما معهم من ظواهر الكتاب والسنة وقد بينا هذا من قبل، مع العلم أنهم لم يكفّروا مسلما بذنب، وإنما الكفر عندهم لصاحب الكبيرة هو كفر النعمة وهذا في حال حياته حتى يتوب، إلا أنهم لا يستحلون دما، ولا مالا، ولا عرضا.[١]

وقال عن مذهب الإباضية في الصحابة - رضوان الله عليهم -: " مذهبهم في الصحابة - رضي الله تعالى - عنهم أنهم أهل السابقة والفضل، وأنه لا يدانيهم أحد في فضلهم ومنازلهم، وأنهم المصطفون لنصرة الدين وحمل الرسالة، وأن التأدب معهم واحترامهم أصل من الأصول، وأن الترضي عنهم والترحم هو مقتضى معرفة أقدارهم وأحوالهم وشهادة الله تعالى لهم، وأن الأمة مدينة للخلفاء الأربعة وعلى الخصوص أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -، وكذلك عثمان وعلي، وأن ما جرى بين الصحابة تؤخذ منه العبرة والعظة ولا يجوز أن يتخذ ذريعة للسبب، والشتم، وانتهاك الذمم والأعراض، وأن الكف عن ذكر ما جرى هو الأولى مع جواز تخطئة المخطي من غير خوض في ذمة أو دين.

وأما علي رضي الله عنه عندهم فلا تحتاج سابقته في الإسلام إلى شهادة، ولا مترلته من رسول الله ﷺ إلى دعاية، فهو أحد وأول فوارس الإسلام لا ينكر فضله إلى جاهل أو دخيل ".

وقال: قولهم في السنة والأخبار النبوية: " مذهبهم في السنة أنها المصدر الثاني بعد القرآن الكريم وأنها تشتمل على أقواله وأفعاله وهيئاته وتقريراته صلوات الله وسلامه عليه.

وأما الأخبار النبوية فما صح سنده وسلم من العلة والشذوذ فموضوع على العين والرأس، لا فرق في ذلك عندهم بين ما جاء في مصادرهم أو مصادر مخالفيهم فمصادر الحديث المعروفة عند المنتسبين لأهل السنة معتبرة عندهم بالشرط المذكور. وأخبار الآحاد عندهم توجه العمل في ما مدخله التشريع، وأما ما مدخله الاعتقاد فإن كان موافقا لمقطوع به من مسائل الإعتقاد عندهم أُخذ به على ظاهره وإن كان مخالفا أو معارضا حمل على المقطوع به إذا احتمله

[١] كتاب القانون، مرجع سابق، ص: ٤٥٦.

التأويل المستساغ وإلا رد. وأخبار الآحاد عندهم لا تفيد العلم وإنما تفيد الظن لكنها توجب العمل بالقيد الذي ذكرنا أنفا. والعقائد عندهم لا تثبت إلا بالخبر المقطوع به ثبوتا ودلالة.[1]

قوله في **الفقه الإباضي**: " فقه الإباضية منسوب للإمام جابر بن زيد التابعي الجليل وأحد تلامذة عبدالله بن عباس – رضي الله تعالى عنهما –، وجابر بن زيد أحد كبار فقهاء التابعين وأحد الرؤوس الذين يرجع إليهم في تفسير القرآن الكريم، ويندر أن يطالع الباحث كتابا في الفقه المقارن أو التفسير بالمأثور ولا يجد اسم هذا الجهبذ فيه.

والفقه الإباضي في جملته لا يبتعد عن فقه المذاهب الأربعة...، والفقه الإباضي فقه منفتح على غيره من المذاهب الفقهية، وهو في موسوعاته وكتبه الكبار يناقش ويرجح ويستعرض أقوال فقهاء الإسلام وأئمته وقد اطلعنا واقتنينا كتاب شرح النيل وشفاء العليل للعلامة أطفيش فوجدناه كتابا حافلا.

والفقه الإباضي يعتمد في مصادر استدلاله على الكتاب، ثم السنة، ثم الإجماع المعتبر، ثم القياس الصحيح، وهم يقولون بالاستصحاب، والمصالح المرسلة، والعرف.[2]

نبذة عن الحشوية

قد بين الشيخ الكوثري أسباب انتحال الحشوية لعقيدة التشبيه وسبب تسميتهم بهذا الاسم في قوله: " وكان عدة من أحبار اليهود ورهبان النصارى ومرازبة المجوس أظهروا الإسلام في عهد الراشدين، ثم أخذوا بعدهم في بث ما عندهم من الأساطير بين من تروح عليهم ممن لم يتهذب بالعلم من أعراب الرواة وبسطاء مواالهم فتلقوا منهم ورووها للآخرين بسلامة باطن، معتقدين ما في أخبارهم في جانب الله من التجسيم والتشبيه، ومستأنسين بما كانوا عليه من الاعتقاد في جاهليتهم، وقد يرفعونها إفتراء إلى رسول الله ﷺ أو خطأ، فأخذ التشبيه يتسرب إلى معتقد الطوائف، ويشيع شيوع الفاحشة، وكان الحسن البصري من جلة التابعين، وممن استمر سنين ينشر العلم في البصرة، ويلازم مجلسه نبلاء أهل العلم، وقد حضر

[1] القانون، مرجع سابق، ص: ٣٧١.

[2] القانون، مرجع سابق، ص: ٣٧١.

مجلسه يوما من رعاع الرواة، ولما تكلموا بالسقط عنده، قال: ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة – أي جانبها –، فسموا بالحشوية، ومنهم أصناف المجسمة والمشبهة ".[1]

ومشكلة الحشوية عدم مقدرتهم على الجمع بين النصوص المتشابهة وعقيدة التتريه، يقول سماحة الشيخ أحمد الخليلي: " ونجد العلامة السيد محمد رشيد رضا الذي عصفت به العواصف فألقته في قاع العقيدة الحشوية، وذلك واضح في تفسيره المنار عندما يأتي إلى الآيات المتشابهات، فإنه عندما يتحدث عن أي آية من هذه الآيات يحاول جهده أن يحملها على ظاهرها.

يقول في كتابه " الوحي المحمدي " ص ١٤٦ : " إن الركن الأول والأعظم من هذه الأركان، وهو الإيمان بالله تعالى قد ضل فيه جميع الأقوام والأمم، حتى أقربهم عهدا بهداية الرسل، فاليهود على حفظهم لأصل عقيدة التوحيد، قد غلب عليهم التشبيه، وغاب عنهم أن يجمعوا بين النصوص المتشابهة في صفات الله وبين عقيدة التتريه، وقد جعلوا الله كالإنسان يتعب ويندم ".

فترون أنه يثبت بأن منشأ ظلال اليهود هو كونهم عجزوا عن الجمع بين النصوص المتشابهة وبين عقيدة التتريه، وهذا الأمر عينه هو الذي وقعت فيه المجسمة الحشوية، فإنهم عجزوا عن ذلك، بل أخلدوا إلى الأخذ بالآيات المتشابهة وتركوا الأخذ بالآيات المحكمة ".[2]

من مبادئ الحشوية

أولا: يجرون الألفاظ التي وردت في الآيات أو في الأحاديث التي توهم التشبيه على ظاهرها، يقول صالح الفوزان: " الإيمان بصفاته التي وصف نفسه بها في كتابه، أو وصفه بها رسوله في

---

[2] زاهد الكوثري، مقدمة لكتاب تبيين كذب المفتري لابن عساكر الدمشقي، ص: ١٠-١١.

[1] نقلا من (وسقط القناع)، سماحة الشيخ أحمد الخليلي، ص: ٣٠-٤٠.

سنته، وذلك بأن نثبتها له كما جاءت في الكتاب والسنة بألفاظها ومعانيها من غير تحريف لألفاظها ولا تعطيل لمعانيها ".[1]

ويقول الشيخ ابن تيمية: " فمذهب السلف – رضوان الله عليهم – إثبات الصفات وإجراؤها على ظاهرها "[2]، وقد غالى بعضهم في التمسك بهذه العقيدة حتى أنهم وصفوا (المفوضة) – وهم الذين يتوقفون عن تأويل الآيات والأحاديث التي توهم التشبيه ويفوضون أمرها إلى الله – بشر المذاهب وأخبثها ".[3]

وبسبب إجراء هذه الصفات على ظاهرها يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى يتصور في الأذهان ومن لا يجريها على ظاهرها فهو معطل، يقول العلامة ابن القيم في قصيدته النونية:

قل للمعطل هل تقول إلهنا الـ ـمعبود حقا خارج الأذهان
فإذا نفى هذا فذاك معطل للرب حقا بالغ الكفران

ولم يكتف بوصفه بالتعطيل بل حكم عليه بالشرك حيث قال:

فكل معطل هو مشرك حتما وهذا واضح التبيان

وفي الحقيقة إن الإنسان لم يستطع أن يتصور شيئا في ذهنه ما لم يقع عليه شيء من حواسه، يقول العلامة عبد الرحمن الميداني بما معناه: لو سبح الإنسان بخياله إلى أبعد الحدود وركّب في ذهنه أشياء غريبة فسيجد أن كل ما ركّبه وقعت عليه حواسه"، وساق مثالا لذلك: لو تصور إنسان بقرة تطير وبها أجنحة من ذهب وبها وبها ... فسيجد أن كل الأشياء التي ركّبها في خياله سبق أن أدركها بحواسه، فهل الإنسان أدرك الله بحواسه حتى يتصوره في ذهنه؟! نود أننا لم نر مثل هذا الكلام وهذا الحكم من هذا العالم – ابن القيم – الذي استفاد الكثير من تآليفه.

---

[2] صالح الفوزان، شرح العقيدة الوسطية، ص: ١٥.

[3] ابن تيمية، مجموع الفتاوي، ٦/٤، نقلا من البلسم الشافي.

[4] نقله محقق كتاب لمعة الاعتقاد، ابن قدامة الحنبلي، ص: ٣١.

من عقائدهم

نتيجة لإجراء الكلمات التي توهم التشبيه على ظاهرها وقعوا في التشبيه فمن العقائد التي جاءت في كتب بعضهم:

١- وصفوه بأنه يتنفس حيث رروا أن النبي ﷺ قال: " لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن" (النسائي: السنن الكبرى ٢٣٢/٦).

٢ - وجاء في كتاب السنة المنسوب لعبد الله بن أحمد: قال في ص٥: (فهل يكون الاستواء إلا بالجلوس)، وقال ص٦٧: (كتب الله التوراة لموسى بيده وهو مسند ظهره إلى الصخرة في الألواح من در، يسمع صرير القلم ليس بينه وبينه إلا الحجاب)، و قد وصفوا الله سبحانه بجميع صفات البدن قال ابن الجوزي: " وا عجبا لقد كملوا هيئة البدن بإثبات فخذ، وساق، وقدم، ووجه، ويدين، وأصابع، وخنصر، وإبهام، وجنب، وحقو، وصعود ونزول، ويقولون تحمل على ظاهرها وليست جوارح، وهل يجوز لعاقل أن يثبت لله تعالى خلفا وأماما وفخذا...؟ ما ينبغي أن يحدث هؤلاء.

ولأنا عرفنا الفخذ فيقال ليس بفخذ، والخلف ليس بخلف، ومثل هؤلاء لا يحدثون، فإنهم يكابرون العقول، وكأنهم يحدثون الأطفال".[1]

ثانيا: يأخذون بخبر الآحاد في الاعتقاد؛ لأن الأحاديث الذي يتمسكون بها في عقائدهم وخاصة في التشبيه أحاديث آحادية، فقد نقل ابن الجوزي عن ابن حامد قوله: " من رد ما يتعلق به بالأخبار الثابتة فهل يكفر؟ على وجهين، وقال أغلب أصحابنا على تكفير من خالف الأخبار في الساق والقدم والأصابع والكف ونظائر ذلك، وإن كانت أخبار آحاد لأنها عندنا توجب العلم"[2]، ويقول إبراهيم بن أحمد بن شاقلا (ت٢٦٩هـ): " ولما كانت أخبار الآحاد لا توجب عملا دل ذلك على أنها موجبة للعلم".[3]

---

[1] أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي، دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، دار الإمام النووي، ص: ١٧٧.

[2] أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي الحنبلي، دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، دار الإمام النووي، ص: ١٠٤.

[3] ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ١١٩/٢.

ثالثا: يقول بعضهم بالعلو الحسي: يقولون إن الله في الجهة العليا مستقر على العرش، قال الشيخ القنوبي: " فقد قال بذلك: الدارمي وابن تيمية وابن القيم، بل قال بعضهم إنه يقعد بجنبه يوم القيامة نبيه محمد ﷺ، وقد وضعوا للتدليل على ذلك بعض الأحاديث"[١]، وقالوا هذا هو المقام المحمود، قال أبو بكر النجاد: " إن المقام المحمود هو قعوده ﷺ على العرش ...، فهذا هو مذهبنا وديننا واعتقادنا وعليه نشأنا ونحن عليه إلى أن نموت إن شاء الله، فلزم الإنكار على من رد هذه الفضيلة التي قالها العلماء وتلقوها بالقبول، فمن ردها فهو من الفرق الهالكة"[٢].

وذهب بعضهم إلى نفي ذلك مع قولهم بالعلو الحسي قال الشيخ ناصر الألباني: " ... فإنه يتضمن نسبة القعود إلى الله – عز وجل – وهذا يستلزم نسبة الاستقرار عليه تعالى وهذا مما لم يرد فلا يجوز اعتقاده ونسبته لله – عز وجل –. وقال: " فاعلم أن إقعاده ﷺ على العرش ليس فيه إلا هذا الحديث الباطل، وأما قعوده تعالى على العرش فليس فيه حديث يصح ...".[٣]

مواقف أهل السنة من مبادئ الحشوية

وبما أن الحشوية يلصقون أنفسهم بأهل السنة ويدعون أنهم يمثلون أهل السنة وأن عقائدهم هي عقائد أهل السنة أنقل: موقف أهل السنة في الأخذ بحديث الآحاد في الاعتقاد، وموقفهم من التشبيه، وموقفهم من وصف الله بالعلو الحسي، لنرى هل صدق الحشوية في ذلك.

أولا: موقف أهل السنة من حديث الآحاد: يقول النووي في مقدمة شرح مسلم: " وأما خبر الواحد فهو ما لم يوجد فيه شروط المتواتر، سواء كان الراوي له واحدا أو أكثر، واختلف في حكمه، فالذي عليه جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المحدثين والفقهاء

---

[٤] سعيد بن مبروك القنوبي، السيف الحاد في الرد على من أخذ بحديث الآحاد، ص: ٢٤.

[٥] ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ٢/١٠.

[١] نقلا من السيف الحاد للشيخ سعيد القنوبي ص: ٢٤.

وأصحاب الأصول أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع، يلزم العمل به ويفيد الظن ولا يفيد العلم، وأن وجوب العمل به عرفناه بالشرع لا بالعقل ".[1]

ويقول الشيخ سعيد القنوبي: " عدم الأخذ بحديث الآحاد في المسائل العقدية هو مذهب جمهور الأمة كما حكاه النووي في مقدمة شرح " صحيح مسلم"، وفي " الإرشاد " وفي " التقريب "، وهو مذهب إمام الحرمين في " البرهان "، والسعد في " التلويح "، والغزالي في "المستصفى"، وابن عبد البر في " التمهيد "، وابن الأثير في " مقدمة جامع الأصول "، وصفي الدين البغدادي الحنبلي في " قواعد الأصول "، وابن قدامة الحنبلي في " روضة الناظر"، وعبد العزيز البخاري في " كشف الأسرار "، وابن السبكي في " جمع الجوامع "، والمهدي في " شرح المعيار "، والصنعاني في " إجابة السائل "، وابن عبد الشكور في " مسلم الثبوت "، والشنقيطي في " مراقي الصعود "، وآخرون ".[2]

ثانيا: موقف أهل السنة من العلو الحسي:

١- قال الإمام أبو حنيفة النعمان: " ونقر بأن الله – سبحانه وتعالى – على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه، وهو حافظ العرش وغير العرش، من غير احتياج، فلو كان محتاجا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوقين، ولو كان محتاجا للجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ".[3]

وأما ما نسبوه إليه أنه قال: " من قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر لأن الله يقول: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ (طـه:٥)، وعرشه فوق سبع سماوات ". فهذا كلام باطل لأن راوي هذا أبو مطيع البلخي قال عنه ابن معين: ليس بشيء، وقال مرة أنه ضعيف، وقال البخاري: ضعيف صاحب رأي، وقال النسائي: ضعيف، وقال أبو حاتم: كان مرجئا كذابا "[4]، ومما يدل على بطلانه أيضا مخالفة هذا الكلام لما ثبت عن الإمام أبي حنيفة الذي ذكرناه.

---

[2] النووي، شرح صحيح مسلم، ج١، ص: ١١.

[1] سعيد بن مبروك القنوبي، السيف الحاد، ص: ٧.

[2] كتاب الوصية ضمن مجموعة رسائل الإمام أبي حنيفة، ص: ٢، وشرح الفقه الأكبر، ص: ٦١، نقلته من البلسم الشافي لزكريا المحرمي.

[3] راجع كتاب السيف الحاد للقنوبي، ص: ٢٥.

٢- قال الإمام أبو إدريس الشافعي كما في إتحاف السادة المتقين (٢/٢٤): " أنه تعالى كان ولا مكان، فخلق المكان وهو على صفته الأزلية كما كان قبل خلقه المكان، لا يجوز عليه التغيير في ذاته ولا التبديل في صفاته ".[١]

وأما ما رووه عن الإمام مالك بأنه قال: " الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة "، فإنه لم يثبت بهذا اللفظ، يقول الشيخ سعيد القنوبي: " لم يثبت عن مالك من رواية صحيحة ولا حسنة ولا ضعيفة خفيفة الضعف، ومن يدعي ذلك فعليه أن يوضح لنا ذلك ونحن بحمد الله على أتم الاستعداد لنجيب عليه وندحضه بالحجة، وإنما جاء عنه بلفظ: " الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة "[٢]، قال ابن اللبان في تفسير قول مالك هذا كما في "إتحاف السادة المتقين" (ج٢ ص٨٢) قوله: " كيف غير معقول: أي كيف من صفات الحوادث وكل ما كان من صفات الحوادث فإثباته في صفات الله تعالى ينافي ما يقتضيه العقل فيجزم بنفيه عن الله تعالى.

وقوله الاستواء غير مجهول: أي أنه معلوم المعنى عند أهل اللغة، والإيمان به على الوجه اللائق به تعالى واجب؛ لأنه من الإيمان بالله وبكتبه.

والسؤال عنه بدعة: أي حادث لأن الصحابة عالمين بمعناه اللائق بحسب وضع اللغة فلم يحتاجوا للسؤال عنه، فلما جاء من لم يحط بأوضاع لغتهم ولا له نور كنورهم يهديه لصفات ربه شرع يسأل عن ذلك، فكان سؤاله سببا لاشتباهه على الناس وزيغهم عن المراد ".

٣- قال الإمام أبو الحسن الأشعري: " كان الله ولا مكان، فخلق العرش والكرسي ولم يحتج إلى مكان، وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه ".[٣]

٤- قال الإمام أبو منصور الماتريدي في كتاب التوحيد (ص٦٩): " إن الله سبحانه كان ولا مكان، وجائز ارتفاع الأمكنة وبقائه على ما كان، فهو على ما كان، وكان على ما هو عليه الآن، جل عن التغير والزوال والاستحالة ".

---

[٤] مجموعة من الباحثين، غاية البيان، ص: ٧١.

[١] سعيد بن مبروك القنوبي، السيف الحاد، ص: ٢٦.

[٢] المرجع السابق.

٥- وقال أبو المظفر الإسفراييني في التبصير في الدين (ص١٦١): " الباب الخامس عشر في اعتقاد أهل السنة والجماعة: وأن تعلم أن كل ما دل على حدوث شيء من الحد، والنهاية، والمكان، والجهة، والسكون، والحركة، فهو مستحيل على الله - سبحانه وتعالى - لأن ما لا يكون محدثا لا يجوز عليه ما هو دليل على الحدوث ".

٦- وقال أبو بكر الباقلاني المالكي في الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به (ص٦٥) ما نصه: " ولا نقول إن العرش له قرار ومكان؛ لأن الله تعالى كان ولا مكان، فلما خلق المكان لم يتغير عما كان ".

٧- قال إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني في الإرشاد إلى قواطع الأدلة (ص٥٣) ما نصه: " الباري سبحانه قائم بنفسه، متعال عن الافتقار إلى محل يحله، أو مكان يقله ". وقال أيضا في الإرشاد (ص٥٨): " مذهب أهل الحق قاطبة أن الله - سبحانه وتعالى - يتعالى عن التحيز والتخصص بالجهات ".

٨- قال عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي الحنبلي في دفع شبه التشبيه (ص٨٥) ما نصه: " الواجب علينا أن تعتقد أن ذات الله تعالى لا يحويه مكان ولا يوصف بالتغير والانتقال".

٩- قال أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين (ص١/١٢٨) ما نصه: " الأصل السابع العلم بأن الله تعالى متره الذات عن الاختصاص بالجهات فإن الجهة إما فوق وإما أسفل وإما يمين وإما شمال أو قدام أوخلف، وهذه الجهات هو الذي خلقها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان ...، فأما رفع الأيدي عند السؤال إلى جهة السماء فهو لأنها قبلة الدعاء، وفيه أيضا إشارة إلى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء، فإنه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء ".

١٠- قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (ج٣ ص٢٧٨) ما نصه: " والعلي يراد بها علو القدر والمترلة لا علو المكان لأن الله متره عن التحيز ".

١١- وقال النووي في شرح صحيح مسلم (١٩/٣) ما نصه: " إن الله تعالى ليس كمثله شيء، وأنه متره عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق ".

١٢- قال محمد بن إبراهيم المعروف بابن جماعة الشافعي في إيضاح الدليل (ص١٠٤-١٠٥) ما نصه: " فإن قيل نفي الجهة عن الموجود يوجب نفيه لاستحالة موجود في غير جهة، قلنا:

الموجود قسمان: قسم لا يتصرف فيه الوهم والحس والخيال والانفصال، وموجود يتصرف فيه ذلك ويقبله. فالأول ممنوع لاستحالته، والرب لا يتصرف فيه ذلك، إذ ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر، فصح وجوده عقلا من غير جهة ولا حيز، كما دل الدليل العقلي فيه، فوجب تصديقه عقلا، وكما دل الدليل العقلي على وجوده مع نفي الجسمية والعرضية مع بعد الفهم الحسي له، فكذلك دل على نفي الجهة والحيز مع بعد فهم الحس له ".

١٣- وقال أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي في فتح الباري (٦١٣٦) ما نصه: " ولا يلزم من كون جهتي العلو والسفل محالا على الله أن لا يوصف بالعلو؛ لأن وصفه بالعلو من جهة المعنى، والمستحيل كون ذلك من جهة الحس، ولذلك ورد في صفته العالي والعلي والمتعالي، ولم يرد ضد ذلك وإن كان أحاط بكل شيء علما جل وعز ". وقال أيضا في فتح الباري (١٢٤/٧) ما نصه: " فمعتقد سلف الأمة وعلماء السنة من الخلف أن الله منزه عن الحركة والتحول والحلول ".

١٤- قال ابن حجر الهيثمي في الفتاوى الحديثة (ص١٤٤) ما نصه: " عقيدة إمام السنة أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - موافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة من المبالغة التامة في تنزيه الله تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواكبيرا من الجهة والجسمية وغيرهما من صفات النقص، بل وعن كل وصف ليس فيه كمال مطلق، وما اشتهر بين المنسوبين إلى الإمام الأعظم المجتهد بأنه قائل بشيء من الجهة أو نحوها فكذب وبهتان وافتراء عليه ".

١٥- وقال الشيخ ملا علي القاري في "شرح الفقه الأكبر " ما نصه: " وأما علوه تعالى على خلقه المستفاد من نحو قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ (الأنعام:١٨)، فعلو مكانة ومرتبة لا علو مكان، كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة، بل وسائر طوائف الإسلام من المعتزلة والخوارج ...، إلا طائفة من المجسمة وجهلة من الحنابلة القائلين بالجهة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ".

١٦- قال محمود بن محمد خطاب السبكي في " إتحاف الكائنات " ما نصه: " وأما مذهب السلف والخلف بالنسبة للأحاديث والآيات المتشابهة فقد اتفق الكل على أن الله تعالى منزه عن صفات الحوادث، فليس له جل جلاله مكان في العرش، ولا في السماء، ولا في غيرهما، ولا

يوصف بالحلول في شيء من الحودث، ولا بالاتصال بشيء منها، ولا التحول والانتقال ونحوهما من صفات الحوادث ".

١٧- قال محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره " التحرير والتنوير" ما نصه: " قوله تعالى (من في السماء) في الموضعين من قبل المتشابه الذي يعطي ظاهره معنى الحلول في مكان، وذلك لا يليق بالله ".

ثالثا: موقف أهل السنة من التشبيه:

يقول سماحة الشيخ أحمد الخليلي: " ولقد رد على الحشوية كثير من المحققين من أهل السنة من المذاهب الأربعة بمن فيهم المذهب الحنبلي الذي ألصق الحشوية أنفسهم به واعتبروا هذه العقيدة يهودية المنبت واعتبروهم كفارا.

⇐ ومن أئمة المذاهب الأربعة الذين قالوا ذلك العلامة تقي الدين الحصني الشافعي في كتابه الذي سماه: " دفع شبه من شبه وتمرد "، ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد، فقد جاء في مقدمة هذا الكتاب: " وبعد فإن سبب وضعي لهذه الأحرف اليسيرة ما دهمني من الحيرة من أقوام أخباث السريرة يُظهرون الانتماء إلى مذهب السيد الجليل الإمام أحمد، وهم على خلاف ذلك والفرد الصمد، والعجب أنهم يعظمونه في الملأ، ويتكاتمون إضلاله مع بقية الأئمة، وهم أكفر ممن تمرد وجحد ويضلون عقول العوام وضعفاء الطلبة ".

ثم استمر على ذلك إلى أن قال بعد ما وصف كلام كل من ابن حامد والقاضي وابن الزاغوني من أئمة هؤلاء الحشوية المشبهة، وما جاء في كلامهم من التشبيه لله - تبارك وتعالى - بخلقه، قال في هؤلاء: " هي نزعة سامرية في التجسيم ونزعة يهودية في التشبيه، وكذا نزعة نصرانية ".

⇐ ونجد أن العلامة الكبير الزبيدي الحسيني الشافعي قال في كتابه القيم " إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين "[1]: " قال ابن القشيري: وقد نبغت نابغة من الرعاع لولا استنزلا لهم العوام بما يقرب من أفهامهم ويتصور في أوهامهم لأجللت هذا

[1] إتحاف السادة المتقين، الشيخ محمد بن محمد الحسيني، ج٢، ص: ١٠٩.

المكتوب عن تلطيخه بذكرهم، يقولون: نحن نأخذ بالظاهر ونتحرى الآيات الموهمة تشبيها والأخبار المقتضية حدا وعضوا على الظاهر، ولا يجوز أن نطرق التأويل إلى شيء من ذلك، ويتمسكون بقول الله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران:٧)، وهؤلاء - والذي أرواحنا بيده - أضر على الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان لأن ضلالات الكفار ظاهرة يتجنبها المسلمون، وهؤلاء أتوا الدين والعوام من طريق يغتر به المستضعفون، فأوحوا إلى أوليائهم بهذه البدع وأحلوا في قلوبهم وصف المعبود سبحانه بالأعضاء والجوارح والركوب والنزول والاتكاء والاستلقاء والاستواء بالذات والتردد في الجهات، فمن أصغى إلى ظاهرهم يبادر بوهمه إلى تخيل المحسوسات، فاعتقد الفضائح فسال به السيل وهو لا يدري ".

⇐ **ولنترك ما يقوله علماء المذاهب الثلاثة الحنفية والشافعية والمالكية ولنأت إلى ما يقوله أحد علماء الحنابلة**، مع أن هؤلاء الحشوية يلتصقون بالمذهب الحنبلي، **فهذا العلامة الكبير أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي** يقول في مقدمة كتابه " دفع شبه التشبيه بأكف التتريه ": " ورأيت من أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصلح وانتدب للتصنيف ثلاثة: أبو عبد الله بن حامد وصاحبه القاضي وابن الزاغوني، فصنفوا كتبا شانوا بها المذهب ورأيتهم نزلوا إلى مرتبة العوام، فحملوا الصفات على مقتضى الحس، فسمعوا أن الله خلق آدم على صورته، فأثبتوا له صورة ووجها زائدا على الذات وعينين ولهوات، وأضراسا وأضواء لوجهه هي السبحات، ويدين وأصابع وكفا، وخنصرا وإبهاما، وصدرا وفخذا، وساقين ورجلين، وقالوا: ما سمعنا بذكر الرأس، وقالوا: يجوز أن يمس، ويدني العبد من ذاته، وقال بعضهم: ويتنفس، ثم يرضون العوام بقولهم: لا كما يعقل، وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات فسموها بالصفات تسمية مبتدعة، لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى، ولا إلى إلغاء ما يوجبه الظاهر من صفات الحدوث، ولم يقتنعوا بأن يقولوا صفة فعل، حتى قالوا صفة ذات، ثم لما أثبتوا أنها صفات ذات قالوا: لا نحملها على توجيه اللغة، مثل يد على نعمة وقدرة، ومجيء وإتيان على بر ولطف، وساق على

شدة بل قالوا: نحملها على ظواهرها المتعارفة، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين، والشيء إنما يحمل على حقيقته إذا أمكن، ثم يتحرجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم ويقولون: نحن أصحاب السنة، وكلامهم صريح في التشبيه، وقد تبعهم خلق من العوام ".

⇐ وقال في نفس الكتاب (ص٢٧٤): " وقال ابن حامد المجسم: رأيت بعض أصحابنا يثبتون لله وصوفا في ذاته بأنه يتنفس، قال: وقالوا الرياح الهابة مثل الرياح العاصفة والعقيم، والجنوب والشمال، والصبا والدبور، مخلوقة إلا ريحا من صفاته هي ذات نسيم حياتي وهي من نفس الرحمن، قلت – أي ابن الجوزي –: على من يعتقد هذه اللعنة؛ لأنه يثبت جسدا مخلوقا، وما هؤلاء بمسلمين ".

⇐ فترون أن ابن الجوزي نفى عنهم الإسلام، ولئن لم يكونوا مسلمين فما هم إلا كفار، فهذا نص أحد أئمة الحنابلة بل هو من أكبر علمائهم.

كلمة العلامة الزرقاني

وهذه كلمة قيمة أنقلها عن العلامة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني من كتابه النفيس "مناهل العرفان في علوم القرآن "؛ وذلك بعدما فصّل وأطنب في موضوع المحكم والمتشابه ومسألة متشابه الصفات ومذاهب السلف والخلف على نحو ما ذكرناه في كتابنا، قال رحمه الله تعالى: " لقد أسرف بعض الناس في هذا العصر، فخاضوا في متشابه الصفات بغير حق، وأتوا في حديثهم عنها وتعليقهم عليها بما لم يأذن به الله، ولهم فيها كلمات غامضة تحتمل التشبيه والتنزيه، وتحتمل الكفر والإيمان، حتى باتت هذه الكلمات نفسها من المتشابهات، ومن المؤسف أنهم يواجهون العامة وأشباههم بهذا، ومن المحزن أنهم ينسبون ما يقولون إلى سلفنا الصالح، ويخيلون إلى الناس أنهم سلفيون، ومن ذلك قولهم: إن الله تعالى يشار إليه بالإشارة الحسية، وله من الجهات الست جهة (الفوق)، ويقولون: إنه استوى على عرشه بذاته استواء حقيقيا، بمعنى أنه استقر فوقه استقرارا حقيقيا، غير أنهم يعودون ويقولون: ليس كاستقرارنا وليس كما

نعرف، وهكذا يتناولون أمثال هذه الآية، وليس لهم مستند فيما نعلم إلا التشبث بالظواهر، ولقد تجلى لك مذهب السلف والخلف، فلا نطيل بإعادته.

ولقد علمت أن حمل المتشابهات في الصفات على ظواهرها مع القول بأنها باقية على حقيقتها، ليس رأيا لأحد من المسلمين، وإنما هو رأي لبعض الأديان الأخرى كاليهود والنصارى، وأهل النحل الضالة كالمشبهة والمجسمة، أما نحن معاشر المسلمين فالعمدة عندنا في أمور العقائد هي الأدلة القاطعة التي توافرت على أنه تعالى ليس جسما، ولا متحيزا، ولا متجزئا، ولا مرتبا، ولا محتاجا لأحد، ولا إلى مكان، ولا إلى زمان، ولا نحو ذلك، ولقد جاء القرآن بذلك في محكماته؛ إذ يقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (الشورى:١١)، ويقول: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ (الإخلاص:١-٤)، ويقول: ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ (الزمر:٧)، ويقول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝١٥ ﴾ (فاطر:١٥)، وغير هذا كثير في الكتاب والسنة. فكل ما جاء مخالفا بظاهره لتلك القطعيات والمحكمات فهو من المتشابهات التي لا يجوز اتباعها، كما تبين لك فيما سلف.

ثم قال رحمه الله: " ثم إن هؤلاء المتحمسين في السلف متناقضون؛ لأنهم يثبتون تلك المتشابهات على حقائقها، ولا ريب أن حقائقها تستلزم الحدوث وأعراض الحدوث كالجسمية، والتجزؤ، والحركة، والانتقال، لكنهم بعد أن يثبتوا تلك المتشابهات على حقائقها ينفون تلك اللوازم، مع أن القول بثبوت الملزومات ونفي لوازمها تناقض لا يرضاه لنفسه عاقل فضلا عن طالب أو عالم، فقولهم في مسألة الاستواء الآنفة: إن الاستواء باق على حقيقته، يفيد أنه الجلوس المعروف المستلزم للجسمية والتحيز، وقولهم بعد ذلك: ليس الاستواء على ما نعرف، يفيد أنه ليس الجلوس المعروف المستلزم للجسمية والتحيز فكأنهم يقولون: إنه مستو غير مستو، ومستقر فوق العرش غير مستقر، أو متحيز غير متحيز، وجسم غير جسم، أو أن الاستواء على العرش ليس هو الاستواء على العرش، والاستقرار فوقه ليس هو الاستقرار فوقه، إلى غير ذلك من الإسفاف والتهافت! فإن أرادوا بقولهم الاستواء على حقيقته التي يعلمها الله ولا نعلمها نحن فقد اتفقنا ، لكن بقي أن تعبيرهم هذا موهم، لا يجوز أن يصدر عن مؤمن،

خصوصا في مقام التعليم والإرشاد، وفي موقف النقاش والحجاج؛ لأن القول بأن للفظ حقيقة أو مجاز، لا ينظر فيه إلى علم الله وما هو عنده، ولكن ينظر فيه إلى المعنى الذي وضع له اللفظ في عرف اللغة، والاستواء في اللغة العربية (يعني في أصل الوضع اللغوي) يدل على ما هـــو مستحيل (يعني عقلا) على الله في ظاهره فلا بد من صرفه عن هذا الظاهر.[1]

والآن بعدما رأينا:

- الرد العنيف من علماء أهل السنة على الحشوية في التشبيه.
- ورأينا الجم الغفير من أكابر علماء أهل السنة يقولون بعـــدم الأخـــذ بحـديث الآحـــاد في الإعتقاد.
- ورأينا أئمة أهل السنة وجمع من كبار علمائهم ينفون الجهة والحركة والانتقال.

- فهل بقيت مصداقية لأقوالهم في هذه الأشياء أنهم يمثلون بأقوالهم هذه أهل السنة والجماعة؟

[1] نقلا من كتاب القانون للدكتور محمد نعيم محمد هاني ساعي، ص: ٤١١-٤١٣.

٣

الفصل الثالث

مفاهيم يجب أن تختفي

الباب الأول
مسألة أن الحق عند الكثرة

❂ يستدل البعض على أنهم على حق وأن غيرهم على باطل بكثرهم وقلة غيرهم ويقولون لا يمكن أن يكون هذا السواد الأعظم على باطل وفرقة صغيرة على حق.

❖ نقل الشيخ العلامة الميداني عن ابن تيمية قوله: " ولهذا توصف الفرقة الناجية بأنهم أهل السنة والجماعة وهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم، أما الفرق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء، ولا تبلغ الفرقة من هؤلاء قريبا من مبلغ الفرقة الناجية فضلا أن تكون بقدرها بل قد تكون الفرقة منها غاية في القلة وشعار هذه الفرق مفارقة الكتاب والسنة والإجماع " انتهى.[1]

❖ ويقول عبد العزيز بن محمد عن الإباضية: " وهي فرقة ذات أقلية مبعثرة في بعض بلاد المسلمين "، ويقول: " لا شك أن الإباضية شرذمة قليلون "[2]، هذا في كتابه وأما ضميره فيقول بما يتبع هذه الآية بدليل هجمه على المذهب بالباطل كما أوردت ذلك.

❖ وبسبب هذا الاغترار بالكثرة جعلهم يعتقدون أن أقوالهم على حق بل من البديهيات التي لا تناقش بدليل أنهم يرفضون الحوار مع المذاهب الأخرى ومن بينهم الإباضية ويدعون أن غيرهم على ضلال.

⇐ فهل ما يقولونه له أساس من الصحة أم أوقعتهم فيه أسباب الخطأ من غرور وسوابق الأفكار والتعصب للمذهب وغيرها؟ فلنناقش هذه المسألة.

⇐ **لو عقدنا مقارنة لوجدنا:**

إن المسلمين أقل من المشركين – أعاذنا الله جميعا منهم –.

والمؤمنين أقل من الفاجرين، إلى غير ذلك.

---

[1] بصائر للمسلم المعاصر، مرجع سابق، ص: ١٩٨.

[2] الإباضية، عبد العزيز بن محمد، مرجع سابق، ص: ٥.

⇐ ولكن نترك هذا جانبا ولنحتكم إلى القرآن استجابة لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (النساء:٥٩).

⇐ فلنستمع إلى ما يقوله القرآن عن الكثرة:

(١) قوله تعالى: ﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٞ مُّقْتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (المائدة:٦٦).

(٢) ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنْهُمْۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ (المائدة:٧١).

(٣) ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (المائدة:٣٢).

(٤) ﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (المائدة:٤٩).

(٥) ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (المائدة:٦٢).

(٦) ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنٗا وَكُفْرٗا ﴾ (المائدة:٦٤ – ٦٨).

(٧) ﴿ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (المائدة:٨٠).

(٨) ﴿ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ (المائدة:٨١).

(٩) ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٞ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٞ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٞ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (الأعراف:١٧٩).

(١٠) ﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (يونس:٩٢).

(١١) ﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (الروم:٨).

(١٢) ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الروم:٣٠) (سبأ:٢٨، ٣٦) (غافر:٥٧) (الجاثية:٢٦) (النحل:٣٨) (يوسف:٢١).

(١٣) ﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ (الصافات: ٧١).

(١٤) ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (غافر: ٥٩) (الرعد: ١).

(١٥) ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (غافر: ٦١).

(١٦) ﴿ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ ﴾ (الفرقان: ٥٠) (الإسراء: ٨٦).

(١٧) ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (يوسف: ١٠٣).

⇐ **ولنستمع إلى ما يقوله القرآن عن القلة:**

(١) قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ ﴾ (البقرة: ٢٤٦).

(٢) ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ (البقرة: ٢٤٩).

(٣) ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ ﴾ (النساء: ٦٦).

(٤) ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ (النساء: ٨٣).

(٥) ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (النساء: ٤٦).

(٦) ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (هود: ٤٠).

(٧) ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ (هود: ١١٦).

(٨) ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ (سبأ: ١٣).

(٩) ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ ﴾ (ص: ٢٤).

(١٠) ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (الواقعة: ١٤).

(١١) ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ (الإسراء: ٦٢).

(١٢) ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الشعراء: ٥٤).

(١٣) ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (المائدة: ١٣).

نحن الحماة لدين الله ما طلعت ... شمس وما غربت رجلا وفرسانا
نحن القليل وفي القرآن مشتهر ... مدح القليل فسل إن كنت حيرانا
نحن الجماعة والإجماع معترف ... للعادلين ولو قد كان إنسانا
نحن الشراة فهل من أعصر سلفت ... إلا نقيم بها لله سلطانا
لسنا نخيف سبيل العالمين ولا ... أيضا ننبه غير الضد يغشانا
لسنا نسائل خلق الله مالهم ... حرصا ولسنا نولي الأمر خوانا
لسنا نرد لأهل الذنب معذرة ... من تاب من كفره أو فعله كانا
لسنا نقاتل من يبغي مفاوضة ... قبل الدعاء ولا من قبل يبدانا
لسنا نحرم ما قد حل من دمه ... حتى يفيء إلى ذي العرش إذعانا
لا نستحل له مالا ولا ولدا ... كالمشركين ولا نكسوه إيمانا
من شاء يعلم ما كانت أوائلنا ... فيه فسيرتنا تكفيه برهانا[1]

[1] السيف النقاد، مرجع سابق، ص: ١٣٥.

الباب الثاني
مسألة اتهام الإباضية بكراهية الصحابة

لقد كثر التشنيع على الإباضية في قضية الصحابة ممن يقتفون نهج المفسدين وممن ضلوا بضلالهم، فمنهم القائل: إن الإباضية يكرهون الصحابة، ومنهم القائل: يكفّرون الصحابة، إلى غير ذلك.

ويتخذون من فتنة الصحابة ذريعة للتشنيع، ونشروا هذه الإشاعات في المحاضرات والكتب التي ألّفوها والتي تبع فيها الآخر ما قاله الأول في هذه القضية، وفي كثير من القضايا من غير بحث عن الحقيقة أو تحرّ لها.

⇐ وهم لا شك مجانبون للحقيقة كما سيتضح ذلك إن شاء الله فيما يلي:

أولا: إن آراء الإباضية ومواقفهم في أي مسألة من مسائل الدين لا تبنى من قول فلان وفلان ولا تحركها الأهواء والأطماع، وإنما هي مواقف ثابتة مستمدة من أصول الدين الحنيف، وموقف الإباضية من الصحابة - رضوان الله عليهم - كغيره مستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية، فهم يحترمون الصحابة ويقدرونهم تبعا للقرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (سورة الفتح:٢٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (التوبة:١٠٠).

وفي رواية البخاري عن عمران بن حصين قال رسول الله ﷺ: " خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ".

ولو أن أحدا أنفق مثل أحد ذهبا لما ساوى مد أحدهم أو نصيفه كما أخبر بذلك الرسول ﷺ.

⇐ فلهم الفضل في السبق إلى الإسلام ولهم الفضل بصحبة الرسول ﷺ، ولهم الفضل في الدفاع عنه ﷺ، ولهم الفضل في بذل أرواحهم لنشر الإسلام.

⇐ فهم الحجّة والقدوة ونكنّ لهم الاحترام والتقدير، وندعو لهم بالرحمة والمغفرة وكتبنا شاهدة بذلك.

يقول نور الدين السالمي – رحمه الله – في أول قصيدة غاية المراد في الاعتقاد:

ثم الصلاة على المختار سيدنا ... ومن إلى قاب قوسين دنا فعلا
والآل والصحب ما كان الهدى علما ... يهدي به الله للخيرات من عقلا

ويقول في آخر القصيدة:

ثم الصلاة وتسليم يقارنها ... على الذي ختم المولى به الرسلا
والآل والصحب ما لاحت فضائلهم ... ومن هم في سبيل المكرمات تلا

ويقول الشيخ العلامة ناصر بن سالم الرواحي – رحمه الله –:

وآمنت برسول الله طائفة ... أعطاهم السبق فيه سابق القدر
زكى قلوبهم النور المبين كما ... يزكو النبات بما يلقى من المطر
لاقى صدورهم الإيمان فانشرحت ... له وقاموا به في عزم منتصر
نور بواطنهم نور ظواهرهم ... نور خلائقهم في الفعل والخبر
تضائق الملأ الأعلى مكانتهم ... في فطرة الله لا في فطرة البشر
خير القرون قرن المصطفى وكذا ... حكم القرينين لا ينفك من أثر
فمات عنهم رسول الله عدّهم ... كالأنبياء عدول الحكم والسير[1]

⇐ ولكن هنالك ثوابت جاء بها الإسلام يجب التقيّد بها وعدم الزيغ عنها لأن أي خروج عنها يعني التخبّط والتخليط في المواقف إذا لم تكن مبنية على قواعد متينة.

---

[1] ديوان ابي مسلم، العلامة ناصر بن سالم الرواحي، ص: ٣٣.

⇐ ومن هذه الثوابت أن لا عصمة إلا للأنبياء فقط، وأما الصحابة – رضوان الله عليهم – فهم كغيرهم من الناس معرّضون للخطأ وقد حدث ذلك عند بعضهم، فمنهم من أنزل الله فيه قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ (الحجرات:٦)، ومنهم صاحب الشملة التي أخذها قبل قسم الغنائم وأخبر الرسول ﷺ بأنها ستشتعل عليه نارا، وغير ذلك.

يقول العلامة ناصر بن عديّم الرواحي – رحمه الله –:

وهم وإن شرفوا من أجل صحبته ... فحكم تكليفهم كالحكم في البشر
ومدحه لهم فرع استقامتهم ... في طاعة الله لا مدحا على الغير
وللموفّين في الإيمان متجه ... ما جاء من مدحهم في محكم السور
والحب والبغض فرضان استحقهما ... خصمان في الله من بر ومن فجر

ويقول:

نادى العشيرة في رأس الصفا علنا ... وصاح فيهم رسول الله بالنذر
فانظر إلى حكمة التخصيص كيف أتت ... للأقربين من أهل البدو والحضر
ليعلموا أنه التكليف لا نسب ... يغني ولا فيه دون الله من وزر
لو كان بالشرف التكليف مرتفعا ... إذن تعطل عدل الله في الفطر[1]

ثانيا: موقف الإباضية من الخليفتين عثمان بن عفّان وعلي بن أبي طالب – كرم الله وجهه –:

من أقوال المشنعين في هذه القضية: أن الإباضية يقولون عن عثمان أنه صاحب بدع ويكفّرون علي بن أبي طالب.

⇐ ولقد ردّ عليهم سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي[2] بقوله: " وهل قال الإباضية عن عثمان أكثر مما قاله ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة في ص٣٥ و٣٦ حيث قال: " وذكروا أنه اجتمع أناس من أصحاب النبي ﷺ فكتبوا كتابا ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان

---

[1] ديوان أبي مسلم، مرجع سابق، ص٣٤.

[2] شريط: موقف الإباضية من الخليفتين عثمان وعلي، سماحة الشيخ الخليلي.

من سنة رسول الله ﷺ وسنة صاحبيه، وما كان من هبته خُمس أفريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله، ومنهم ذوي القربى واليتامى والمساكين، وما كان من تطاوله في البنيان حتى عدّوا سبعة دور بناها في المدينة، دار لنائلة ودار عائشة وغيرهما من بنات أهله، وبنيان مروان القصور بذي خشب، وعمارته للأموال من الخمس الواجب لله ورسوله، وما كان من إفشائه العمل والولايات في أهله وبني عمه من بني أمية أحداث غلمة، لا صحبة لهم للرسول ﷺ ولا تجربة لهم بالأمور، وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة - وهو أميرٌ عليها - إذ صلى بهم الصبح وهو سكران أربع ركعات، ثم قال: إن شئتم زدتكم ثلاثا، وتعطيله إقامة الحد وتأخيره ذلك عنه، وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شيء، ولا يستشيرهم واستغنى برأيه عن رأيهم، وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة، وما كان من إدارة القصائع والأرزاق والأعطيات على أقوام بالمدينة ليس لهم صحبة بالنبي، ثم لا يغدون ولا يذبون، وما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط، وأنه أول من ضرب بالسياط ظهور الناس، وإنما كان ضرب الخليفتين بالدرة والخيزران.

ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب في يد عثمان، وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الأسود وكانوا عشرة، فلما خرجوا والكتاب بيد عمار جعلوا يتسللون عن عمار حتى بقي وحده، فمضى حتى جاء دار عثمان، فاستأذن عليه فأذن له في يوم شات، فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم وأهله من بني أمية، فدفع إليه الكتاب فقرأه فقال له: أنت كتبت هذا الكتاب؟ فقال: نعم، قال: ومن كان معك؟ فقال: كان معي نفر تفرقوا فرقا منك، قال: من هم؟ قال: لا أخبرك بهم، قال: فلِمَ اجترأت عليّ من بينهم؟ قال مروان: يا أمير المؤمنين إن هذا العبد الأسود - يعني عمارا - قد جرّأ الناس عليك، وإنك إن قتلته نكلت به من وراءه، فقال عثمان: اضربوه فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه، فأغشي عليه، فجرّوه حتى تركوه على باب الدار، فأمرت به أم سلمة - زوج النبي ﷺ - فأُدخل منزلها، وغضبت فيه بنو المغيرة - وكان حليفهم -، فلما خرج عثمان لصلاة الظهر عرض له هشام بن الوليد فقال له: أما والله لو مات عمار من ضربه لأقتلن به رجلا عظيما من بني أمية، فقال عثمان: لست هناك ... إلخ ".

⇐ **وليس أكثر مما قاله الداعية سيد قطب** في كتابه العدالة الاجتماعية في الإسلام ص ١٥٩ حيث قال: " وهذا التصور لحقيقة الحكم تغير شيئا ما دون شك على عهد عثمان، وإن بقي في سياج الإسلام، لقد أدركت الخلافة عثمان وهو شيخ كبير، ومن وراءه مروان بن الحكم يصرف الأمر بكثير من الانحراف عن الإسلام، كما أن طبيعة عثمان الرخية، وحدبه الشديد على أهله، قد ساهم كلاهما في صدور تصرفات أنكرها الكثيرون من الصحابة من حوله، وكانت لها معاقبات كثيرة، وأثار في الفتنة التي عانى الإسلام منها كثيرا.

⇐ منح عثمان من بيت المال زوج ابنته الحارث بن الحكم يوم عرسه مائتي ألف درهم، فلما أصبح الصباح جاءه زيد بن أرقم خازن بيت مال المسلمين، وقد بدأ في وجهه الحزن، وترقرقت في عينه الدموع، فسأله أن يعفيه من عمله، ولما علم منه السبب وعرف أنه عطيته لصهره من مال المسلمين، فقال مستغربا: أتبكي يا ابن أرقم أن وصلت رحمي؟! فرد الرجل الذي يستشعر روح الإسلام المرهف: لا يا أمير المؤمنين ولكن أبكي لأني أظنك أخذت هذا المال عوضا عما أنفقته في سبيل الله في حياة الرسول ﷺ، والله لو أعطيته مائة درهم لكان كثيرا، فغضب عثمان على الرجل الذي لا يطيق صدره هذه التوسعة من مال المسلمين على أقارب خليفة المسلمين، وقال له: ألق يا ابن أرقم فإنا سنجد غيرك.

⇐ والأمثلة كثيرة في سيرة عثمان على هذه التوسعات، فقد منح الزبير ذات يوم تسعمائة ألف، ومنح طلحة مائتي ألف، ونفل مروان بن الحكم ثلث خراج أفريقية، ولقد عاتبه في ذلك ناس من الصحابة على رأسهم علي بن أبي طالب فأجاب: إن لي قرابة ورحما، فأنكروا عليه وسألوه: فما كان لأبي بكر وعمر قرابة ورحم؟ فقال: إن أبا بكر وعمر يحتسبان في منع قرابتهما وأنا أحتسب في إعطاء قرابتي، فقاموا عنه غاضبين يقولون: فهديهما والله أحب إلينا من هذا.

⇐ وغير المال كانت الولايات تغدق على الولاة من قرابة عثمان، وفيهم معاوية الذي وسّع عليه في الملك فضم إليه فلسطين وحمص، وجمع له قيادة الأجناد الأربعة، ومهد له بعد ذلك أن يطلب الملك في خلافة علي، وقد جمع المال والأجناد، وفيهم الحكم بن

العاص طريد رسول الله ﷺ الذي آواه عثمان، وجعل ابنه مروان بن الحكم وزيره المتصرف، وفيهم عبد الله بن سعد بن أبي السرح أخوه من الرضاعة.

⇐ ولقد كان الصحابة يرون هذه التصرفات خطيرة العواقب فيتداعون إلى المدينة لإنقاذ تقاليد الإسلام، وإنقاذ الخليفة من المحنة، والخليفة في كبرته لا يملك أمره من مروان، وإنه لمن الصعب أن تتهم روح الإسلام في عثمان، ولكن من الصعب أيضا أن نعفيه من الخطأ الذي نلتمس أسبابه في ولاية مروان الوزارة في كبرة عثمان.

⇐ ولقد اجتمع الناس فكلفوا علي بن أبي طالب أن يدخل فيكلمه، فدخل إليه، فقال: الناس ورائي وقد كلموني فيك، والله ما أدري ما أقول لك، وما أعرف شيئا تجهله، ولا أدلك على شيء لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ولا خلونا بشيء فنبلغكه، ولا خصصنا بأمر دونك، وقد رأيت وسمعت وصحبت رسول الله ﷺ ونلت صهره، وما ابن قحافة بأولى بعمل الحق منك، ولا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك، وإنك أقرب إلى رسول الله ﷺ منهما ونلت ما لم ينالا، ولا سبقاك إلى شيء، فالله الله في نفسك، فإنك والله ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهل، وإن الطريق لواضح بيّن، وإن أعلام الدين لقائمة.

تعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هدي وهدى، فأقام سُنَّةً معلومة، وأمات بدعة متروكة، فوالله إن كليهما لبين، وإن السنن لقائمة لها أعلام، وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضل وضل به، فأمات سنة معلومة وأحيا بدعة متروكة، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: " يُؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم ".

فقال عثمان: " قد والله علمت ليقولن الذي قلت، أما والله لو كنت مكاني ما عنفتك ولا أسلمتك ولا عبت عليك، وما جئت منكرا أن وصلت رحما وسددت خلة، وآويت ضائعا، ووليت شبيها بمن كان عمر يولي، أنشدك الله يا علي، هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك؟ قال: نعم، قال: فلم تلومونني إن وليت ابن عامر في رحمه وقرابته؟ فقال علي: سأخبرك، إن عمر كان كل من ولى فإنما يطأ على صماخه إن بلغه عنه حرف جلبه، ثم بلغ به أقصى الغاية، وأنت لا تفعل، ضعفت ورققت على أقاربك، قال عثمان: وأقرباؤك أيضا، قال علي: لعمري إن رحمهم مني لقريبة ولكن الفضل في غيرهم، قال عثمان: هل تعلم أن عمر ولى معاوية خلافته

كلها؟ فقد وليته، قال علي: أنشدك الله هل تعلم أن معاوية كان أخوف من عمر من يرف غلام عمر منه؟ قال: نعم، قال علي: فإن معاوية يقطع الأمر دونك، وأنت لا تعلمها فيقول للناس هذا أمر عثمان فيبلغك ولا تغير على معاوية.

⇐ ثم يقول الأستاذ شهيد الإسلام سيد قطب بعد ذلك: " وأخيرا ثارت الثائرة على عثمان واختلط فيها الحق بالباطل والخير بالشر، ولكن لا بد لمن ينظر في الأمور بعين الإسلام ويستشعر الأمور بروح الإسلام أن يقرر أن تلك الثورة في عمومها كانت ثورة من روح الإسلام، وذلك دون إغفال لما كان وراءها من كيد اليهودي عبد الله بن سبأ ".

⇐ ولننقل هنا أيضا ما قاله ابن قتيبة في كتاب " الإمامة والسياسة " ص ٤٦ في دفن عثمان لنستجلي الحقيقة، يقول: " وذكروا أن عبد الرحمن بن أزهر قال: " لم أكن دخلت في أمر عثمان لا عليه ولا له، فإني لجالس بفناء داري ليلا بعدما قتل عثمان بليلة إذ جاءني المنذر بن الزبير فقال: إن أخي يدعوك، فقمت إليه، فقال: إنا أردنا أن ندفن عثمان فهل لك؟ فقلت: والله ما دخلت في شيء من شأنه وما أريد من ذلك ثم انصرف فاتبعته، فإذا هم في نفر فيهم جبير بن مطعم، وأبو الجهم بن حذيفة، والمسور بن مخرمة، وعبد الله بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، فاحتملوه على الباب، وإن رأسه ليقول طق طق، فوضعوه في موضع الجنائز، فقام إليهم رجال من الأنصار فقالوا لهم: لا والله لا تصلون عليه، فقال أبو جهم: ألا تدعونا نصلي عليه فقد صلى عليه الله تعالى وملائكته، فقال له رجل: إن كنت فأدخلك الله مدخله، فقال: حشرني الله معه، فقال: إن الله حاشرك مع الشياطين، والله إن تركناكم به لعجز منا، فقال القوم لأبي الجهم: أسكت عنهم وكف، فكف واحتملوه، ثم انطلقوا مسرعين، وإني أسمع وقع رأسه على اللوح حتى وضعوه في أدنى البقيع، فأتاه جبلة بن عامر الساعدي من الأنصار، فقال: لا والله لا تدفنوه في بقيع رسول الله ﷺ، ولا نترككم تصلون عليه، فقال أبو الجهم: انطلقوا بنا فإن لم نصل عليه فإن الله قد صلى عليه، فخرجوا ومعهم عائشة بنت عثمان معها مصباح في "حق" حتى إذا أتوا " حش كوكب " حفروا له حفرة ثم قاموا يصلون عليه، وأمهم جبير بن مطعم، ثم أدلوه في حفرته، فلما رأته ابنته صاحت، فقال: والله لئن لم تسكتي لأضربن الذي في عينيك، فدفنوه ولم يلحدوه باللبن، وحثوا عليه التراب ".

⇐ فلما كان ما قاله الإباضية لم يزد حرفا واحدا عما قاله منتقدوهم في كتبهم فلماذا يُخصّ الإباضية بأنهم قالوا إن عثمان صاحب بدع إلا للتشنيع؟!

وأما موقف الإباضية من علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه –:

⇐ فهم يعترفون بخلافته وأنه على حقّ في قتاله معاوية بن أبي سفيان، وأما تخطئتهم له في قبول التحكيم فليست نابعة من هوى نفس أو محاباة لأحد وإنما من الأدلة القاطعة التي تثبت أن معاوية كان باغيا والتي سأذكرها فيما بعد، والله سبحانه حكم على الفئة الباغية بأن تقاتل حتى تفيء إلى أمر الله بقوله: ﴿ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ (الحجرات: ٩).

⇐ وأما قضية التكفير: الإباضية لا يكفّرون أحدا من المسلمين طالما أنه متأولا لكن قد يطلقون على العاصي بأنه كافر كفر نعمة بمعنى أنه لم يشكر النعمة واستخدمها في معصية الله، وهذا ما يسمى كفر دون كفر.

⇐ وهم يلتزمون الاحترام الكامل عند ذكر ما أخطأ فيه من قبول التحكيم، فهذا الشاعر الفقيه ناصر بن سالم الرواحي – رحمه الله – يقول:

أبا حسن ذرها حكومة فاسق ... جراحات بدر في حشاه تفور
أبا حسن أقدم فأنت على الهدى ... وأنت بغايات الغوي بصير
أبا حسن لا تعطين دنية ... وأنت بسلطان القدير قدير
أبا حسن لا تنس أحدا وخندقا ... وما جر عير قبله ونفير
أبا حسن أين السوابق غودرت ... وأنت أخوه والغدير غدير
أبا حسن إن تعطها اليوم لم تزل ... يحل عراها فاجر ومبير
أبا حسن طلقتها لطليقها ... وأنت بقيد الأشعري أسير[1]

ثالثا: النظر في مواقف أهل السنة:

عندما نتتبع مواقف أهل السنة نجد من مواقفهم:

---

[1] ديوان أبي مسلم، مرجع سابق، ص: ٣٤٤.

(١) قولهم أن عثمان قُتل ظلما وعدوانا.

(٢) إن فتنة الصحابة اجتهادية، المصيب مأجور والمخطئ معذور.

(٣) يقولون إنهم يدافعون عن الصحابة.

⇐ فإذا أمعنا النظر في هذه الأقوال وجدنا فيها نظر:

أولا: إن قولهم: أن عثمان قُتل ظلما وعدوانا هو مخالف لما ذكر عن الصحابة بل فيه تهجم عليهم لعدة أسباب:

(١) إن الصحابة أنفسهم أنكروا على عثمان أشياء كثيرة ذكرها غير الإباضية مثل ما في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة وابن الأثير والطبري وسيد قطب كما ذكر سابقا.

(٢) نصيحة علي بن أبي طالب له دليل على أنهم نصحوه عن شيء أنكروه عليه.

(٣) إن الذين جاؤوا لحصار عثمان جاؤوا بمكاتبة من أهل المدينة لهم وقادتهم من الصحابة، فالذين جاؤوا من مصر على رأسهم عبد الرحمن بن عديس وهو صحابي أُحدي بايع تحت الشجرة، والذين جاؤوا من الكوفة على رأسهم زيد بن صوحان العبدي والأشتر النخعي[1]، وزيد صحابي جليل، والذين جاؤوا من البصرة على رأسهم حرقوص بن زهير وهو صحابي جليل شهد الرسول له بالجنة ثلاث مرات.

⇐ فعلى زعمهم يكون هؤلاء الصحابة أول الظالمين لعثمان.

(٤) إن عثمان لم يُقتل غيلة وإنما حُوصر أكثر من أربعين يوما، والصحابة لا يدافعون عنه مع أن عددهم يبلغ حوالي مائة ألف، فلو قلنا أنهم غير راضين مع أنهم لم يدافعوا عنه وصفناهم بالجبن وبترك الواجب وهو الدفاع عن خليفة المسلمين، فالله تعالى يقول: ﴿ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ ﴾ (آل عمران:١٦٧)، فحاشاهم عن الجبن وترك الواجب عليهم، فكيف وقد دكّوا حصون كسرى وقيصر.

⇐ وأما قولهم إن عثمان منع أهل المدينة عن الدفاع عنه فيتعارض مع ما ذكره الطبري: أن عثمان كتب إلى معاوية يستنجد به حيث أرسل له رسالة قال فيها: " بسم الله الرحمن

[1] الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج٣، ص:٥٠-٥١.

الرحيم، أما بعد فإن أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة ونكثوا البيعة فابعث إليّ من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول"[1].

والرسالة تدل دلالة واضحة على وجود الخلاف بين عثمان والصحابة حيث وصف أهل المدينة بالكفر وخلف الطاعة ونكث البيعة.

⇐ هذا ما ذكرته كتب التاريخ والله أعلم.

⇐ وأما قولهم أن فتنة الصحابة اجتهادية وأن المصيب فيها مأجور والمخطئ معذور وأن معاوية وعمرو بن العاص وأشياعهم مجتهدون فهم معذورون.

فربما صدر عنهم بحسن نية لكي لا يتجرأ الناس لسب الصحابة ولكن هذه الأمور لا تعالج بهذه الطريقة لأن هناك قاعدة لا يصح أن تغفل وهي أن المصيب لا يجوز أن يخطأ والمخطئ لا يجوز أن يصوّب لأنه يترتب على ذلك ولاية وبراءة، فالولاية والبراءة فرض واجب، قال الله تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (المجادلة:٢٢). ولو كان كل مجتهد مصيب لما حكم رسول الله ﷺ بالنار لكل الفرق ما عدا واحدة.

⇐ مع أن كل الدلائل تدل أن معاوية باغ وليس مجتهدا ومن ذلك:

(١) ما ذكره الطبري: يقول عمرو لمعاوية وهو يحثه للقتال: " أما والله إن قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة إن في النفس من ذلك ما فيها حيث نقاتل من نعلم سابقته وفضله وقرابته ولكن إنما أردنا هذه الدنيا فصالحه معاوية وعطف عليه"[2].

(٢) أن معاوية رأى جيشه قتل عمار بن ياسر ورسول الله ﷺ قال لعمار: " تقتلك الفئة الباغية "، فلم يرتدع.

(٣) أنه يعلم أنه يقاتل من ارتضاه المسلمون خليفة لهم ويعلم فضله عليه، فهل هو مجتهد في انتزاع إمامة المسلمين من يدهم وتولي الأمر قهرا؟!

---

[1] تأريخ الطبري، ج٣، ص: ٣٦٨.

[2] تأريخ الطبري، مرجع سابق، ص: ٥٦١.

(٤) أنه عندما ولي الأمر لم يسلك مسلك الخلفاء وإنما سلك مسلك الملـوك وقـد أرغـم الصحابة على اتباعه.

(٥) هل هو مجتهد في إلزامه الناس لعن علي بن أبي طالب على المنابر؟!

(٦) هل يعد اجتهادا قتل من يمتنع عن لعن علي بن أبي طالب مثلما قتل حجر بـن عـدي وأصحابه، المشهور بالزهد والورع، وقد قال معاوية عند موته: " يومي بك طويل يا حجر بن عدي "[1]، قال العلامة نور الدين السالمي –رحمه الله–:

وظهرت مـن بعـد ذا أناس ... عمهم فـي الديـن الالـتباس
فجعلوا الجـميع في الولاية ... فأخـطأوا بـذلـك الهـداية
ولم يكن لهـم عـليه سلف ... من صحب أحمد الذين اختلفوا
وذاك أن المتـقـاتلـينـا ... مـع الـقـتـال يـتلاعـنـونا
وجعلهم جميعهم في مـنزله ... خلاف حكم مـا الإلـه أنزله
لأنمـا ولايـة الـمـحـقّ ... غيـر البـراءة لأهـل الفسق
والكل فرض وعلينا نجـعل ... أصناف هذا الخلق حيث نزلوا
وقولهم إن الجميع اجتهـدوا ... فأخطأ البعض وبعض أرشدوا
وكل من في دينه قد اجتـهد ... يعذر إن أخـطـأ إذ لم يعتمد
ليس بشيء والحديـث وردا ... في حاكم اخطأ حين اجـتهدا
وذاك في الفـروع لا سواها ... فمخطئ الدين صلا لـظـاها
إلا إذا مـا تاب مـن قريب ... وقام للمحـق بالـتـصـويب
فمخطئ الدين يسمى مستحلّ ... في ديـنه وهـو بـذلكم مضل
لو كان كـل مـستحل يُعذر ... نجا أولو الضلال ممـن غيروا
والخبر الصحيح في افتراق ... أمـتـه مـخالـف الإطـلاق
لأنـه قد جعـل السـلامة ... لفرقـة كانـوا أولـي استقامة
وباهلاك للبواقـي حـكما ... كذلك الإجماع أيضـا فاعـلما[1]

---

[1] البداية والنهاية، ابن كثير، ج٨، ص: ١٥٣.

⇐ وأما قولهم إنهم يدافعون عن الصحابة فذلك غير واضح لأننا نراهم يدافعون عن بني أمية ويلتمسون لهم الأعذار ويتخطون كل الدلائل التي تدل على خطئهم، وأما أهل النهروان فيكيلون لهم السب كيلا مع أنهم من الصحابة وفيهم من شهد له الرسول ﷺ بالجنة مثل حرقوص بن زهير السعدي، ومنهم من سمّوهم بالسبئيين كعبد الرحمن بن عديس وغيره.

⇐ يقول حسن المالكي[٢]: (وتراهم يتناقضون في الصحابة ووجوب تقديرهم، فيذمون الشيعة لأنهم ينتقصون أصحاب النبي ﷺ بينما لا يذمون النواصب (من بني أمية) ولا يذكرونهم بسوء!! مع أنهم كانوا يلعنون علي ابن أبي طالب ويذمونه ويرمونه بكل طامة سواء كان ذلك من حكامهم بني أمية أو علمائهم كحريز بن عثمان وثور بن يزيد ونحوهم، بل يقومون بالفعل نفسه عندما يعدون عمارا وأبا ذر وابن عديس وابن الحمق وغيرهم في اتّباع عبد الله بن سبأ مع أنهم من كبار الصحابة، وابن سبأ أقرب للأسطورة منه للحقيقة فضلا عن الدور المكذوب الذي يزعمونه له حتى عدّوا في أصحابه بعض كبار البدريين!!).

ويقول العلامة نور الدين السالمي:

وقولهم نسكت عن حروبهم ... نحن ولا نخوض في عيوبهم
كذب فقد خاضوا وسبوا الصحبا ... إذ وجهوا للنهروان السبا
ولعنوهم وهم قد طلبوا ... حقا ومن خوف الضلال هربوا
وفيهم من شهد الرسول ... ثلاث مرات له يقول
أول من يدخل من ذا الباب ... فهو إلى الجنة والثواب
وفي الثلاث يدخلن حرقوص ... نجل زهير وهو المخصوص
وفيهم من شهد المشاهدا ... وكان خصمه بذاك شاهدا

---

[١] منظومة كشف الحقيقة، مرجع سابق، ص: ٣.

[٢] حسن فرحان المالكي، قراءة في كتب العقائد المذهب الحنبلي نموذجا، ص: ١٣٥.

قد أنكروا المنكر إذ رأوه ... وسلكوا الطريق إذ أتوه
عضوا على وصية المختار ... في سيرة الأئمة الأبرار
وعند هذا كله فالقوم ... يصدر منهم شتمهم واللوم
قد عولوا في عذر نجل صخر ... على أمور لم تكن بعذر
وكلها مع التزام الحق ... موجودة فيمن رموا بالفسق
فمن هناك تدر أن الأهوا ... تقودهم لا الحق حين يروى[1]

وقفة تأمل

⇐ إذا تأملنا موقف الإباضية من الصحابة وجدنا:

(١) أن الإباضية يكنّون للصحابة الاحترام والتقدير ويعتبرونهم الحجة والقدوة ويعترفون لهم بالفضل في أشياء عديدة.

(٢) أن القول بأن الإباضية يكرهون الصحابة قول لا دليل عليه إذ أن الإباضية يتولون الصحابة بدليل أنهم يترضون عنهم ويترحمون لهم والترضي والترحم هما عين الولاية وكتبهم مليئة بذلك.

(٣) أن الإباضية يرون الصحابة - رضوان الله عليهم - هم كغيرهم من البشر غير معصومين من الخطأ إذ لم يقم دليل على عصمتهم.

(٤) أن القول بأن الإباضية يقولون عن عثمان: بأنه صاحب بدع، يقصد به التشنيع على الإباضية وإلا فإن الإباضية لم يزيدوا حرفا واحدا عما ذكرته كتب المشنعين أنفسهم، فلماذا يجعل هذا القول من خصائص المذهب الإباضي؟!

(٥) أن الإباضية لم يكفّروا علي بن أبي طالب ولا أحدا من المسلمين ما دام متأولا ولكن يسمون العاصي كافر نعمة بمعنى أنه لم يستخدم هذه النعم في طاعة الله تعالى، وربما استوهم البعض من ذلك.

---

[1] منظومة كشف الحقيقة، نور الدين السالمي، ص: ٥.

(٦) أنهم يعتبرون تحكيم الحكمين خطأ ليس لهوى نفس أو مطمع سياسي أو دنيوي وإنما مستند على أدلة.

(٧) أن قول من قال بأن عثمان بن عفان قُتل ظلما وعدوانا هو بمثابة من يبني قصرا ويهدم مصرا لأنه برّأ واحدا ووجه التهمة إلى عشرات الآلاف من الصحابة؛ لأنّ عثمان ذكر في رسالته لمعاوية خلف طاعة أهل المدينة له، ونكث البيعة فلو فعلوا ذلك مع عدم خطئ عثمان لارتكبوا إثما، وطول الحصار وهم ساكتون، ولأنهم منعوا من دفنه في البقيع ولم يشيعوا جنازته، فالقول بقتله ظلما يعني رضا الصحابة بذلك الظلم.

(٨) أمّا ابن سبأ التي عولوا على فتنته: **العلماء في القرون الثلاثة الأولى على اختلاف اهتماماتهم وأهوائهم لم يذكروا ابن سبأ بحرف واحد**، وأول من تحدث عن دوره المزعوم في الفتنة كان سيف بن عمر الإخباري الكذاب [1].

(٩) إن القول بأنهم كلهم مجتهدون خطأ فلو كان الأمر كذلك لكانت كل الفرق الإسلامية ناجية، مع ما ثبت أن معاوية لم يخرج لنصرة الدين.

تنبيه مهم

• إن قضية الصحابة ينبغي الكف عن ذكرها واتباع قول الله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ (البقرة: ١٣٤)، واتباع قوله ﷺ: " إذا وصلتم أصحابي فكفوا "، وما كنت لأكتب كلمة واحدة في هذا المختصر عن هذه القضية لولا أن زُجّ بنا في ذلك زجّا حيث جعلت قضية تشنيع على المذهب الإباضي وإظهاره بالانحراف ليظهر المشنعون أنهم على الحق وغيرهم على باطل.

⇐ فليس من ديننا الشتم ولا اللعن ولا التشهير، هذا إذا كان في غير الصحابة فكيف بصحابة رسول الله ﷺ.

وفي هذا الموضوع يقول العلامة نور الدين السالمي – رحمه الله –:

نحن الألى نسكت عما قد مضى ... ولا نعد الشتم دينا يرتضى
وما ذكرته بهذا النظم ... لم يك بالسب ولا بالشتم

[1] حسن فرحان المالكي، قراءة في كتب العقائد المذهب الحنبلي نموذجا، ص: ١٣٥.

لكنه كشف لأصل الأمر ليظهر المخطئ من ذي العذر
نقول تلك أمة وقد خلت وكل فرقة لها ما كسبت
ودينا لم يتوقفنا لشتم من ضل فنشتمنا
وفي صنوف طاعة الرحمن شغل عن الفضول باللسان
يلزمنا أن ننكرن المنكرا وما يزيد لم يكن ليذكرا
لو كان الاعتقاد موقوفا على ذكر المضلين إذن تطوّلا
وامتلأت مجلدات العلم بالسب والشتم لأهل الظلم
هيهات ليس ذاك عندنا بشي بل فعله يعرف عندنا بغيّ[1]

ويقول أيضا:

جاهلنا لا يعرف الخلافا بينهم حتى الممات وافا
وعالم بالاختلاف يمضي في السر ما يلزمه من فرض
خوفا من الجهال أن يقولوا ما لم يكن لهم به دخول
هم منعوا بأن يقول الجاهل ما لم يكن له بعلم حاصل
إن سمعوا من جاهل مقالا بغير علم أنكروه حالا
قالوا فإن العلما قد حكموا في ذاك بالذي قد علموا
وأنت إن علمت مثل علمهم جاز لك الحكم بمثل حكمهم
وذاك للقيام بالواجب من معنى البراءة الذي كان رُكن
وإن جهلت فرضك الوقوف وهو سبيل عندنا معروف
وكان من قولهم لا تبحثن عن حدث لأجل منه تبرأن
لأنه تجسس ممنوع لا يفعلنه عندنا المطيع
وقد تناسوا أمر ذاك الحدث من قولهم لا تبحثن لا تبحث
فما مضى قبلك لو بساعة فدعه ليس البحث عنه طاعة[2]

---

[1] كشف الحقيقة، مرجع سابق، ص: ٦.

[1] كشف الحقيقة، مرجع سابق، ص: ٧.

بيان موجز لقضية التحكيم

❁ مضى الخليفتان أبو بكر الصديق وعمر الفاروق والناس يكنّون لهما الشكر والتقدير لما قاما به من جهد في الحفاظ على الإسلام ونشره.

❁ ثم بايع المسلمون الخليفة الثالث عثمان بن عفان فقام بالعدل لفترة من الزمن، ولكنه ضعف فقام من حوله من بني أمية يقتطعون الأمر دونه، وأنكر عليه المسلمون كما أنكروا عليه بعض الأحداث الأخرى ولكنه لم يتخلى عن ذلك فحوصر في بيته وقُتل.

❁ فبايع المسلمون علي بن أبي طالب – كرّم الله وجهه – فخرج معاوية بن أبي سفيان باغيا على إمام المسلمين بجيش من الشام متذرعا بالمطالبة بدم عثمان بن عفان فكانت موقعة صفين بين علي بن أبي طالب ومعاوية فحمل جيش علي على جيش معاوية وقتل آلافا كثيرة منهم، ولما رأى معاوية الهزيمة قال لعمرو بن العاص: أخرج ما في خبأتك يا عمرو، فقال عمرو: من عنده مصحف فليرفعه على الرماح منادين بطلب حكم القرآن، فأثرت هذه المكيدة على جيش علي فانقسموا بعضهم موافق على وقف القتال واللجوء إلى التحكيم وبعضهم معارض.

❁ ولكن عليا مضى في أمر التحكيم فبعث حكما وهو أبو موسى الأشعري وبعث معاوية حكما هو عمرو بن العاص فاتفق الحكمان أولا على خلع الاثنين ثم يختار الناس من يريدون[1]، ولكن عند إعلان ذلك خلع أبو موسى عليا ومعاوية وصعد عمرو المنبر وقال: اثبت معاوية كما أثبت خاتمي هذا، فخرج عدد من أصحاب علي الذين لم يرضوا بالتحكيم أصلا وقالوا لا حكم إلا لله وسموهم المحكمة وهم أهل النهروان الذين قتلهم علي.

---

[1] انظر الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ج ٣، ص: ٢٠٧.

الباب الثالث
مسألة إلصاق الإباضية بالخوارج

كثيرا ما نقرأ ونسمع ما يبذله بعض المذاهب في إلصاق الإباضية بالخوارج وذلك لا لشيء إلا لقصد التشنيع عليهم وإظهارهم بالفساد والمروق من الدين بل إنهم عندما يذكرون الخوارج يقولون: " الإباضية حاليا ".

ولكن ما الذي يدل على أنه لا ينبغي وصف الإباضية بأنهم خوارج؟

⇐ الجواب: أشياء كثيرة.

أولا: إذا نظرنا إلى التعريفات التي أوردها أصحاب المقالات للخوارج مثل الشهرستاني والأشعري نجدها عامة تنطبق على الكثيرين من أصحاب الفتنة وغيرهم.

- فتعريف الشهرستاني للخوارج: هو كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، يسمى خارجيا سواء كان الخروج أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم من التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان.
- وتعريف الأشعري: " والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب "[١].

⇐ فإذا فكرنا في التعريفين وجدناهما يؤكدان أن سبب التسمية هو الخروج على الإمام سواء من خصه بالإمام علي أو من عمم.

⇐ فما الذي جعل الإباضية من الخوارج ومعاوية وأتباعه ليسوا من الخوارج؟!

ثانيا: إذا كانوا يصفون الإباضية بأنهم خوارج لتأييدهم المحكمة ويعتبرون خروج المحكمة مروق من الدين فكيف يكون خروج المحكمة عن علي – كرم الله وجهه – مروق من الدين وخروج معاوية وأتباعه ولعن علي على المنابر ليس مروقا من الدين؟!

---

[٢] غالب بن علي عواجي، فرق معاصرة تنتسب الى الإسلام، ج١، ص: ١٦.

⇐ مع أن خروج المحكّمة ليس لطلب الدنيا مثلما هو الحال عند معاوية وعمرو بن العاص، ولم ينسب إليهم أي قول أو فعل يدل على مروقهم من الدين، والخوارج الذين نسبت إليهم أعمال وأقوال تدل على المروق من الدين بدؤوا من نافع بن الأزرق بعد أكثر من ثلاثين سنة، وإنما أنكر المحكمة على علي توقفه عن قتال البغاة وتحكيم الحكمين في شيء حكم الله فيه بقوله تعالى: ﴿ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ (الحجرات:٩). فقد قالوا لابن عباس: " إن البغي جريمة مثل جريمة السرقة، قد حكم الله فيها بقتال الباغي حتى يرجع عن بغيه مثلما حكم على السارق بقطع يده، فهل السارق إذا وجب عليه الحد يبعث إليه حكم؟ وعندما حجهم ابن عباس بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ ﴾ (المائدة:٩٥)، قالوا له: أخبرنا عن من قتل الصيد وهو محرم هل يسعه أن يحكّم في الصيد من دينه استحلال قتل الصيد وهو محرم ويستحل قتل الصيد في الحرم؟ قال: لا، قالوا: كيف يسع عليا أن يحكم في دين الله من يدين باستحلال ما حرم الله من دماء المسلمين ويحرم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية؟!

ثم قالوا: نذكرك بالله يا ابن عباس: هل تعلم أن أبا موسى كان شاكا في قتال الفئة الباغية، يحرّم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية ويخذل الناس عن القتال، وعمرو بن العاص استحل ما حرّم الله من دماء المسلمين؟ فقال: اللهم نعم[1].

ثالثا: إن اسم الخوارج يطلق على الفرق التي مرقت من الدين لحكمهم على المسلمين بأحكام المشركين مثل جواز قتل المسلمين وسبي نسائهم وذرياتهم وغنم أموالهم، ويدل على ذلك ما نراه من تفسير أحاديث المروق من الدين فيهم، وإن كان علماء الإباضية يقولون ليس بالضرورة أن تكون هذه الأحاديث خاصة بهم إذ يمكن أن تشمل علماء السوء في كل زمان فإنهم يتفقون مع من يقول إن هذه الفرق مثل الأزارقة والصفرية وغيرهم مرقت من الدين، يقول العلامة نور الدين السالمي في جوهر النظام:

وما لأهل البغي لا يحل ... وإن يكن قوم له استحلوا

---

[1] الكشف والبيان، الشيخ محمد بن سعيد القلهاتي، ج٢، ص: ٢٤٣-٢٤٤.

ثم ذكر الذين استحلوا أموال المسلمين ووصفهم بالمروق حيث قال:

خوارج ضلت فصارت مارقة　　　من دينها صـــفرية أزارقة
فعرضوا للناس بالسيـــف كما　　　قد استحلوا المال منهم مغنما
وأمـــة المـــختـــار فارقتـــهم　　　وضـــلـــلــتـهـــم وفســـقتـــهم
ووردت فيـــهم عـــن المختار　　　جمـــلة أخبـــار مـــع الآثار
وفيـــهـــم المـــروق يعـــرفنا　　　ومنـــهم لا شـــك نـــبـــرأنا

⇐ ونستنتج من هذا:

(١) إن هذه التسمية ذم مطلق.

(٢) إن الإباضية ليسوا منهم لأنهم لا يشاركوهم في السبب الذي سموا من أجله بهذا الاسم.

(٣) إن الإباضية يبرؤون من هذه الفرق وهذا دليل أنهم ليسوا منهم.

(٤) إن تسمية الإباضية بالخوارج هو من باب التنابز بالألقاب الذي نهى الله تعالى عنه، خاصة أن المعنى المعول عليه في عصرنا الحاضر هو المروق من الدين لأنه لا يكاد يـــذكر أحـــد الخوارج إلا ويربطه بأحاديث المروق من الدين.

⇐ حتى على فرض إن المحكمة الذين يؤيدهم الإباضية يسمون بالخوارج فلا ينطبق علـــى الإباضية فالفرقة الإسلامية تسمى بإمامها الذي اقتنعت بآرائه والإباضية لهم اسم مســـتقل ولهم أئمة.

⇐ فإطلاق أي لقب على إنسان يكره ذلك اللقب هو تنابز بالألقاب حتى ولو كان لـــه علاقة بذلك اللقب، فكيف والإباضية لا تنطبق عليهم هذه التسمية ويكرهونها لما تحمل من معنى الانحراف عن الدين.

رابعا: إن الحجة التي يحتجون بها على إن الإباضية من الخوارج هي كون الإباضية يتفقـــون مع الخوارج في بعض النقاط القليلة، ولكن هذه حجة واهية لأن الفرق الإســـلامية لا بـــد أن تلتقي مع بعضها في بعض النقاط.

⇐ والاختلاف بين الإباضية والخوارج في العقيدة وغيرها كثير سأذكره إن شاء الله.

❖ وبالرغم من هذا كله أخذوا يتبعون شتى الأساليب في إثبات هذه التهمة لمحاولة التلاعب بعقول الناس بإظهار الأسلوب العقلي في بعض الأحيان.

سؤال مردود على صاحبه

❁ يقول عبد العزيز بن محمد عبد اللطيف في كتيبه " الإباضية " ص ١٣-١٤: " هل الإباضية من الخوارج؟ والآن أسرد أخي القارئ القواسم المشتركة والأمور المتفق عليها بين الخوارج والإباضية وسيظهر لك تلقائيا الجواب عن هذا السؤال هل الإباضية من الخوارج أم لا؟ " فقام يعدد ما هو صحيح وما هو غير صحيح: " الإباضية امتداد للمحكمة، ويقولون بخلق القرآن، ويعطّلون صفات الله، ويقولون بتخليد أهل الكبائر في النار، وينكرون الشفاعة للعاصي، ويجيزون الخروج على أئمة الجور، ويتهجمون على معاوية ابن أبي سفيان وعمرو بن العاص.

⇐ وأنا لا أريد هنا مناقشة النقاط التي ذكرها إنما أريد أن أبين خطأ ما يريد أن يثبته من أن التشابه في هذه الصفات يدل على أن الإباضية من الخوارج، فأقول: إن هذا تعميم فاسد، السقطات الشنيعة تأتي من التعميمات الفاسدة.

⇐ إن تشابه الأسد مع القرد في بعض الأشياء لا يعني أن الأسد قرد، وكذلك تشابه بعض الفرق في بعض العقائد والآراء.

⇐ وإلا فإننا نرى اليهود يقولون بالرؤية، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (البقرة:٥٥).

⇐ وقالوا بالخروج من النار، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (آل عمران:٢٤).

⇐ ووصفوا الله بصفات خلقه عندما أشكلت عليهم الآيات المتشابهة.

⇐ ويقولون بالشفاعة لأهل الكبائر وقالوا بأن أحبارنا ستشفع لنا، ويقولون إن الذنوب تغفر من غير توبة، يقول تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ (الأعراف:١٦٩).

⇐ فهل القائلين من المسلمين بهذه المسائل نعدهم من اليهود؟!

بعض أوجه الاختلاف بين الإباضية والخوارج[1]

نرى الذين يلصقون الإباضية بالخوارج ذكروا بأنفسهم عقائد للخوارج مخالفة لعقائد الإباضية وأنا لا أقطع بصحتها ولكن أوردتها لأبين مخالفتها لعقائد الإباضية وأثبت التناقض الذي وقع فيه من ألصق الإباضية بالخوارج.

فقد نسبوا للخوارج:

(١) أنهم اعتبروا أنفسهم المسلمين المؤمنين المستخلفين في الأرض واعتبروا أعدائهم مشركين.

(٢) أنهم أباحوا دماء المسلمين في السر والعلانية.

⇐ **الإباضية:** قد تقدم قول أبي حمزة الشاري: " الناس منا ونحن منهم ... "، وقول الإمام السالمي: ونحن لا نطالب العبادا فوق شهادتيهم اعتقادا

فأين مقال الإباضية من مقالهم.

(٣) نسبوا للخوارج قول: ما كف أحد عن القتال منذ أنزل الله البسط إلا وهو كافر، يعني يكفّرون القاعد عن القتال.

⇐ الإباضية:

يعتمدون على الدعوة والإقناع ولا يلجئون إلى العنف، وأدل شيء على ذلك طريقة الكتمان والدعوة السرية مثل ما فعل أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وجابر بن زيد الأزدي رغم إنكارهم الشديد على حكام الدولة الأموية لسلوكها المنحرف عن الكتاب والسنة.

---

[1] آراء الخوارج مأخوذة من " مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري"، ص: ٨٩ – ١٠٣، ومن كتاب: " الملل والنحل "، للشهرستاني، ص: ١٢٩ – ١٣٧، وكتاب: " المدخل الى دراسة الأديان والمذاهب "، عبد الرزاق محمد أسود، ص: ٢٣٣، وكتاب: " الكشف والبيان "، محمد بن سعيد القلهاتي، ج٢، ص: ٤٢٣ – ٤٣٥.

وطريقة الكتمان باللجوء إلى الدعوة السرية ليست مخصصة بوقت بل هي طريقة يتبعها الإباضية عندما يظهر أعداء الإسلام ولم يكن لهم القدرة لمقاومتهم حتى يستطيعوا ذلك وذلك عندما يكونوا نصف عدوهم.

(٤) نسبوا للخوارج قولهم: إن صاحب الكبيرة مشرك، ويقول بعضهم إن الإصرار على الصغيرة شرك وعدم الإصرار ولو على كبيرة ليس بشرك.

والإباضية لا يقولون بذلك كما يدل على ذلك قول أبي حمزة المتقدم: " الناس منا ونحن منهم ... إلخ "، وقول السالمي المتقدم: " ونحن لا نطالب العبادا ... إلخ "، لكنهم يسمون العاصي كافر نعمة بمعنى أنه استخدم شيئا من نعم الله في معصية الله وهذا ما يسمى كفر دون كفر وله أدلة كثيرة.

(٥) نسبوا للخوارج: أنهم أوجدوا مبدأ امتحان لكل من يلتحق بهم ليتأكدوا من مطابقة آرائه لآرائهم وعقائدهم.

⇐ والإباضية لا يوجد لديهم مثل هذا المبدأ ويعتبرون جميع المسلمين متساوين في الحقوق فلا يمتحنوا أحدا لهذا الغرض ولا يتجسسوا عليه لأن التجسس عندهم حرام حتى على الكافر إلا في حالات شرعها الإسلام.

(٦) أنهم يعتقدون أنه يجوز أن يبعث الله نبيا يعلم أنه يكفر بعد نبوته وأنه كان كافرا قبل بعثته.

⇐ والإباضية يقولون بعصمة الأنبياء يقول نور الدين السالمي – رحمه الله –:

وواجب عليك أن تعرف ما   يجوز للرسل وما قد لزما
وما استحال عنهم فاللازم   في حقهم نعتا هي المكارم
كالصدق والتبليغ والأمانة   والعقل والضبط وكالفطانة
والمستحيل ضدها كالكذب   وكالجنون وارتكاب الريب[1]

(٧) ونسبوا إليهم أنهم يستحلون دماء أهل العهد والذمة وأموالهم ويستحلون دماء من يعيشون في كنفهم من المسلمين.

---

[1] بهجة الأنوار، نور الدين السالمي، ص: ١٠.

⇐ الإباضية: يقول الإمام السالمي – رحمه الله –:

ويرفع الحرب لجزية أتت   منهم وفي المجوس حكمهم ثبت[1]

(٨) ونسبوا إليهم أنهم: تولوا أصحاب الحدود والجنايات منهم.

⇐ الإباضية: يقول الإمام السالمي – رحمه الله –:

ولاية المؤمن فرض حققا   وهكذا براءة الذي فسقا[2]

(٩) ونسبوا للخوارج أنهم قالوا: لعل الله يعذب المؤمنين بذنوبهم بغير النار ثم يدخلهم الجنة.

⇐ الإباضية: يقول الشيخ أبي طاهر الجيطالي: مما يجب اعتقاده على كل مكلف أن يعلم إن لله ثوابا لا يشبهه ثواب وثوابه الجنة وهي ثواب الله لأوليائه في الآخرة.[3]

(١٠) وقالوا: أجمعت النجدات من الخوارج أن لا حاجة للناس إلى إمام وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم.

⇐ والإباضية: يقول نور الدين السالمي في غاية المراد:

إن الإمامة فرض حينما وجبت   شروطها لا تكن عن شرطها غفلا

(١١) وقالوا عنهم: يقول بعض الخوارج: الفعل من العبد خلق وإبداع لأن الله تعالى فوضها للعباد.

⇐ والإباضية يقولون:

ومن يقل إلهنا لم يخلق   أفعالنا بُعدا له من أحمق
لقوله لكل شيء خالق   سبحانه الرب المليك الرازق
لو كان خالق سواه لزما   تعدد الإله قطعا حتما
ولو تعدد الإله لظهر   فساد هذا العالم الذي بهر
لكن لنا في فعلنا اكتساب   به الثواب وبه العقاب
من ثم قد نيل به على الرتب   إلا النبوات فليس تكتسب

ويقول الشيخ ابن النظر:

---

[2] بهجة الأنوار، مرجع سابق، ص: ١٥٣.

[3] بهجة الأنوار، مرجع سابق، ص: ١٢٦.

[4] قواعد الإسلام ، الشيخ أبي طاهر الجيطالي، ص: ١٩.

خلق العالم ذو العـز ومـا أحدث العالم من خير وشـر
فالأفاعيـل اكتساب للورى ومن الرحمن خلـق وفطر[1]

(١٢) ونسبوا القول لبعض الخوارج: القدر خيره وشره من العبد.

⇐ الإباضية: يقول الإمام السالمي: " وما يجب الإيمان به قضاء الله وقدره لأنهما أصلان من أصول الدين وركنان من الإيمان ".

(١٣) ونسبوا إليهم القول التالي: من أقام في دار كفر فهو كافر لا يسعه إلا الخروج.

⇐ والإباضية يقولون على لسان نور الدين السالمي:

وبعدما فتحت أم القرى نسخا ما كان من هجرة مفروضها اتصلا[2]

فلا تجب الهجرة حتى من دار الكفر إلا إذا منع عليه إقامة الدين وتعذر عليه ذلك.

(١٤) ونسبوا لبعض الخوارج: تجب البراءة من الطفل حتى يُدعى إلى الإسلام ويجب دعاؤه إذا بلغ.

⇐ الإباضية: قال القطب: " تجب ولاية غير البالغ لأنه تعـالى يمـن بالرحمـة ولا يظلـم بالعذاب، ولأن كل مولود يولد على الفطرة."[3]

(١٥) ونسب إليهم أنهم: أباحوا أموال المسلمين واعتبروها حلالا في السر والعلانية.

⇐ أما الإباضية فقد أطبقت كتبهم على أنه لا يحل شيء من أموال المسلمين وإن كـانوا بغاة ولو في حالة قتال.

وهذا ما يقوله نور الدين السالمي – رحمه الله – في جوهر النظام ج٣ ص٥١٢ –٥١٣:

ومال أهـل البغـي لا يحـل وإن يكن قوم لـه استحـلوا

ثم ذكر الذين استحلوا أموال المسلمين بقوله:

خوارج ضلت فصارت مارقة من دينها صفريـة أزارقة
فحكـموا بحـكم المشـركينا جهلا على بغاة المسـلمينا

---

[1] الدعائم، الشيخ أحمد بن النظر، ص: ٢٤.

[2] غاية المراد في الاعتقاد، الإمام نور الدين السالمي، ص: ٥٢.

[3] الذهب الخالص، محمد بن يوسف اطفيش، ص: ٣٩.

واحتج بفعل أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك فقال:

ولم يكن غنم بيــوم الجمــل ويوم صفين وسبي من علي
كذاك يوم الدار أيضا لم يكن سبي ولا غنــم فكيف يقبلن
فعلهم الحجــة فيــما فعلــوا ونقلهم فيما له قد نــقلــوا
ولم يكــن للعمــرين فيهــم سبي ولا غنم كما قد زعموا
لأن خصــمهــم بالارتــداد يدعون لا بالبغــي والفســاد

(١٦) الخوارج: منهم من قال إن التقية جائزة ولو في قتل نفس.

⇐ والإباضية يقولون:

ولم تجــز تقيــة بالفعــل كالحرق والغرق ومثل القتل
لكن جواز ما أبيح للضرر كالأكل للميتة والدم اشتــهر

(١٧) ونسبوا للخوارج أن بعضهم ينكر سورة يوسف من القرآن ويزعمون أنها قصــة مــن القصص.

⇐ أما الإباضية فيعرفون القرآن أنه كلام الله ووحيه وتنزيله نزل به الروح الأمين علــى سيدنا محمد ﷺ المبدوء بسورة الفاتحة والمنتهي بسورة الناس.

(١٨) ونسب للخوارج: قالت الشيبانية من الثعالبة: أن الله لم يعلم حتى خلق لنفسه علمــا، والأشياء تصير معلومة له عند حدوثها ووجودها.

⇐ الإباضية: يقول الإمام نور الدين السالمي – رحمه الله –:

فهو عليم لا بعلم جلبا وهو سميع لا بسمع ركبا[١]

(١٩) وقالوا عنهم: أن بعض الخوارج يجيز نكاح بنات البنت وبنات أولاد الإخوة والأخوات بدعوى أن القرآن الكريم لم يذكرهم في المحرمات.

⇐ ويقول الإباضية في جامع البسيوي: " فحرام تزويج الأمهات وما ولدت وبنات الابن وبنات البنات والأخوات وما ولدن وأمهات الأمهات وإن علون والأخوات وبنــاهن وإن سفلن والعمات والخالات وبنات الأخوة وما ولدن وبني الأخوة وما ولدوا "[٢].

[١] بهجة الأنوار، نور الدين السالمي، ص: ٨.

[٢] جامع ابي الحسن البسيوي، الشيخ علي بن محمد بن علي البسيوي، ج٣، ص: ٣٧.

(٢٠) نسب لبعض الخوارج القول: تؤدي الحائض جميع الشعائر الدينية أثناء فترة الحيض.

⇐ ويقول الإمام السالمي في شرح الجامع الصحيح: " والحيض في اللغة: مصدر حاض إذا سال، وفي الشرع: دم ينفضه رحم امرأة سليمة من الداء أو الصغر، وحكمه: أن يمنع الصوم والصلاة والجماع وتلاوة القرآن ومس المصحف ودخول المسجد، ويجب عليها قضاء الصوم دون الصلاة "[١].

(٢١) وقالوا: أنّ بعض الخوارج أسقط الحدود التي لم ترد في القرآن مثل رجم الزاني وحد قذف المحصنين من الرجال مع وجوبه على المحصنات من النساء.

⇐ ويقول الشيخ نور الدين السالمي في شرح الجامع الصحيح عن الرجم: وهو سنة مجمع عليها وحكي عن الخوارج والنظام وأصحابه من المعتزلة إنكاره، ولا مستند لهم إلا أنه لم يذكر في القرآن وهذا باطل فقد ثبت بالسنة المتواترة[٢].

(٢٢) ونسب لبعض الخوارج: إن الله علي عزيز عظيم جليل كبير لا لعزة وعظمة وجلال وكبرياء، وكذلك سائر الصفات التي ليست له ولم يوصف بها لمعان.

⇐ الإباضية: يقول نور الدين السالمي:

نعبده جل امتثال أمره سبحانه ونهيه وزجره

فإن يشا يرحمنا بفضله وإن يشا عذبنا بعدله

فالملك والعزة والسلطان له كذا القدرة والبرهان

(٢٣) نسبوا للخوارج أنهم: أباحوا قتل الأطفال ممن لم يكونوا في معسكرهم واعتبروهم خالدين في النار.

⇐ الإباضية: يقول الإمام الشاري إبراهيم بن قيس الحضرمي مخاطبا جيشه:

ولا تقتلوا طفلا وشيخا وغادة ومن كان مجروحا من البتر جاثما

(٢٤) نسب للخوارج: قال البدعية نقطع أن من اعتقد اعتقادنا فهو في الجنة ولا نقول إن شاء الله فإن ذلك شك في الاعتقاد فنحن من أهل الجنة قطعا من غير شك.

---

[٣] شرح الجامع الصحيح ، الإمام نور الدين السالمي ، ص ١٢٦.

[٤] شرح الجامع الصحيح، العلامة نور الدين السالمي، ج٣، ص: ٢٨٣.

⇐ الإباضية: يقول نور الدين السالمي:

فإن يشا يرحمنا بفضله   وإن يشا عذبنا بعدله

(٢٥) نسبوا للخوارج: الإيمان بالعلم والقلب دون القول والعمل.

⇐ الإباضية: يقول نور الدين السالمي:

إيماننا القول والتصديق مع عمل   فالقول مر فصدقه وكن عملا [1]

الباب الرابع
اتهام الإباضية بالبدعة والتقليد

يورد البعض اتهامات وهمية على المذهب الإباضي منبعثة من كراهية هذا المذهب أو جريا وراء التقليد الأعمى والتعصب واتباع الهوى من غير دليل واحد يثبت شيئا من هذه الاتهامات، وهذه الاتهامات هي:

(١) الإباضية أهل بدعة.

(٢) الإباضية يقلدون أشياخهم ولا يقبلون الدليل.

(٣) الإباضية متعصبون.

إلى غير ذلك من الاتهامات الباطلة التي تتكرر في الكتب والمحاضرات.

⇐ وأنا أتساءل لماذا يصرّون على إلصاق هذه الاتهامات بالإباضية؟

⇐ هل توجد عند الإباضية شيئا من العبادات التي لم يأذن بها الشرع؟

⇐ هل الإباضية يعبدون القبور؟ هل يقدسون الأشخاص كما يفعل غيرهم؟

⇐ هل هناك أي مسألة عند الإباضية لا تستند إلى دليل من القران أو السنة؟

⇐ أدعو أي باحث عن الحقيقية أن يأتي ولو بمسألة واحدة عند الإباضية لا تستند إلى دليل، أو تقرب إلى الله بما لم يأذن به الشرع.

---

[1] غاية المراد، مرجع سابق، ص: ٥٠.

⇐ ومن أجل توضيح الحق في هذا الجانب وبيان من الأولى بهذه الاتهامات الإباضية أم الحشوية الذين يلصقون أنفسهم بأهل السنة نناقش شيئين:

⇐ **أولا:** أقوال الطرفين في هذا الجانب، ثم نناقش المسائل الخلافية بين الإباضية وأهل السنة لأنه إذا كان هناك ابتعاد للإباضية عن الدليل من القرآن والسنة فلا يكون في المسائل المتفق عليها وإنما في المسائل الخلافية.

⇐ وأريد أن أنبه أن المسائل الخلافية بين الإباضية وأهل السنة ليس كما يظن من وقعوا ضحية للمشنعين أنها لا تعد ولا تحصى وإنما في عدد قليل، ولكن أبدأ أولا بما يقوله كل من الإباضية والحشوية في الدعوة إلى اتباع الدليل أو إلى اتباع التقليد.

أولا: أقوال الحشوية الملصقين أنفسهم بأهل السنة في الدعوة إلى التقليد:

❁ يقول الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين في تفسير سورة الكهف: " يجب على الناس جميعا أن يتبعوا المذاهب الأربعة ويجب على الناس أن يقلدوا الأئمة الأربعة ومن لم يقلدهم فهو ضال مضل، ولا يبعد أن يقع في الكفر ولو أنه وافق ظاهر القرآن والأحاديث الصحيحة وأقوال الصحابة ".

❁ ويقول الطحان في شريط مسجل: " لا خير في قرآن بلا سنة ولا خير في سنة بلا فهم لسلفنا الكرام "، وقال: " فكل من يدعو إلى قرآن بلا سنة فهو ضال وكل من يدعو إلى كتاب وسنة بلا فهم لسلفنا الأبرار فهو ضال "[1].

لم تقتصر تشتم الأخيار قاطبة حتى تجهمت أمرا يجلب الخطرا
تقول لا خير في القرآن قط ولا في سنة سنها من أنقذ البشرا
في أي شيء يكون الخير بعدهما أفي الخزعبلة العمياء أنت ترى

⇐ فهل أحد من الإباضية يدعو إلى تقليد الإباضية ولو خالف القرآن والسنة؟!

---

[1] سقط القناع، سماحة الشيخ الخليلي، ص: ٧٨.

⇐ وهل يوجد في الإباضية من ينفي الخير عن القرآن والسنة ويثبته في سلفه؟!! مع أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ (سورة البقرة:٢)، ويقول: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ (النمل:١-٢).

أليس منطق هذا الحشوي يتفق مع منطق الكافرين كما وصفهم الله بقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (المائدة:١٠٤).

ثانيا: أعمال الحشوية التعصبية:

- سب الإباضية في الكتب والمحاضرات.
- الكذب على الإباضية المدون في الكتب من غير استحياء والذي لا يعد ولا يحصى متجاهلين نهي الله ورسوله عن الكذب والظلم.
- حرق كتب الإباضية علنا وإن كان ليس فيها أمور خلافية.
- عدم ذكر أي قول من أقوال الإباضية وكأنها لم تكن من أقوال علماء المسلمين.
- لا يعدّون الجامع الصحيح من كتب الحديث لأن مؤلفه إباضي.

ثالثا: ما يقوله الإباضية عن التقليد:

- قال العلامة قطب الأئمة – رحمه الله – في الشامل، ج١، ص١٥: " بل لا يجوز – أي الاجتهاد – إلاّ إن مارس كتب الحديث وأحاط بالحديث فهما وعلما إلاّ ما شذ ".
- قال الإمام العلاّمة محمد بن عبد الله الخليلي – رحمه الله – في فتح الجليل ص١٩٣: " وقول بخلاف الحديث يضرب به عرض الحائط ".
- قال الشيخ العلامة أبو مسلم البهلاني – رحمه الله تعالى – في نثار الجوهر، ج١، ص٢٢: " وليس من دين الله أن تجعل لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ نظيرا تقتدي به وتدين بحقه ولو بلغ أقصى الدرجات من العلم ".
- يقول الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي:

لن نرتضي التقليد دون تحقق إلا لرسل الله يتلوا مصحفه

- ويقول نور الدين السالمي – رحمه الله –:

والأصل للفقه كتاب الباري إجماع بعد سنة المختار

والاجتهاد عند هذي منعا وهالك من كان فيها مبدعا[1]

- ويقول:

نقدم الحديث مهما جاء على قياسنا ولا مراء

- ويقول:

حسبك أن تتبع المختارا وإن يقولوا خالف الآثارا

- ويقول:

ونحن حيث أمر القرآن لا حيث ما قال لنا فلان

- ويقول:

فنأخذ الحق متى نراه لو مبغض لنا به أتاه

والباطل المردود عندنا ولو أتى به الخل الذي له اصطفوا

- ويقول:

لأنني أقفو الدليل فاعلما لم أعتمد على مقال العلما

فالعلماء استخرجوا ما استخرجوا من الدليل وعليه عرجوا

فهم رجال وسواهم رجل والحق ممن جاء حتما يقبل

⇐ إن قول الإباضية إنهم يتبعون الدليل ولا يرضون التقليد ليست كلمات رنانة وإنما هو مبدأ ملزم هالك من خالفه هذا ما يقوله نور الدين السالمي:

والاجتهاد عند هذي منعا وهالك من كان فيها مبدعا

⇐ كما إن الإباضية لم يقتصروا في أخذ الدليل من مسند الإمام الربيع وحده كما يقول المظللون وإنما كتب الحديث جميعها هي مصدر لتلقي الحديث مثل البخاري ومسلم والموطأ

---

[1] بهجة الأنوار، مرجع سابق، ص: ٤.

والنسائي وغيره، وكتب الإباضية مليئة بالاستدلال بهذه الأحاديث الموجودة في تلك الكتب.

⇐ وأيضا فإن قول الإباضية إنهم يأخذون الحق متى يرونه ليس ادعاء باطلا وإنما هي حقيقة ثابتة فالمكتبة الإباضية مليئة بكتب المخالفين من تفاسير وكتب السنة وشرحها وكتب عديدة في جميع الفنون، كما أن أقوال الأئمة الأربعة وغيرهم من العلماء مليئة بها كتب الإباضية والعالم يرجح القول الذي يرى الدليل معه بغض النظر عن قائل هذا القول، وإن شئت أن تتأكد إن هذه هي طريقة المذهب فخذ معارج الآمال للإمام نور الدين السالمي العماني، وخذ البعد المكاني فانظر الذهب الخالص وشامل الأصل والفرع للشيخ محمد بن يوسف إطفيش وهو من المغرب.

وهنا يرى الباحث المنصف الفرق الكبير بين من يقتني كتب المخالفين وينقل منها ويحترم آراءها وبين من يحرقها علنا ويسب أصحابها.

الباب الخامس
اتهام الإباضية بالتعطيل

الإباضية والحمد لله يثبتون جميع صفات الله الذاتية والفعلية، فماذا يقصد هؤلاء الحشوية بأن الإباضية معطلة؟

⇐ هل يريدون منا أن نشبه الله بخلقه كما قال المشبهة (أن الله خلق أدم بيده مسيسا، وأنه يقعد على الكرسي فما يفضل منه إلا قدر أربعة أصابع، وله قدم وساق، وأنه جالس على كرسي من ذهب يحمله أربعة: ملك في صورة رجل وملك في صورة أسد وملك في صورة ثور وملك في صورة نسر، وأنه يترل لذاته)، ومن أراد المزيد والمزيد فليرجع إلى كتاب السنة المنسوب لعبد الله بن أحمد وكتاب عثمان بن سعيد الدارمي الذي رد به على بشر المريسى.

⇐ أم يقصدون قول الإباضية إن صفات الله هي ذاته وينفون الزيادة، فهذا القول يتناسب مع كمال الله سبحانه، حيث أنه يقتضي أن ذات الله كاملة سميعة وبصيرة وعليمة وغير ذلك من الصفات يعني أنها غير مفتقرة إلى جهاز سمعي وجهاز بصري إلى غير ذلك.

⇐ ولكن القول بأن صفات الله شيء زائد على الذات يقتضي أن الذات ليست سميعة بنفسها وليست بصيرة بنفسها بل هي مفتقرة إلى أجهزة سمعية وبصرية.

⇐ يقول ابن العربي الأندلسي المالكي: لا فرق بين قول القائل إن صفات الله غيره وبين قول اليهود إن الله فقير إلا تحسين العبارة "[1].

⇐ أم لأنهم قاموا بتأويل المتشابه من القرآن والأخبار تتريها لله تعالى، **فهذا التأويل لم ينفرد به الإباضية**، فهذا الفخر الرازي يقول: " إن جميع فرق الإسلام مقرّة بأنه لا بد من التأويل في بعض ظواهر القرآن والأخبار "، ويواصل الاستدلال بقوله: " أما في القرآن بعدة وجوه:

الأول: هو أنه ورد في القرآن ذكر الوجه وذكر العين وذكر الجنب الواحد وذكر الأيدي وذكر الساق الواحدة، فلو أخذنا بالظاهر يلزمنا إثبات شخص له وجه واحد وعلى ذلك الوجه أعين كثيرة وله جنب واحد وعليه أيد كثيرة وله ساق واحدة ولا نرى في الدنيا شخصا أقبح صورة من هذه الصورة القبيحة المتخيلة، ولا أعتقد أن عاقلا يرضى بأن يصف ربه بهذه الصفة.

الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ (طه:٣٩)، لو فسر على ظاهره لاقتضى أن يكون موسى – عليه السلام – مستقرا على تلك العين ملتصقا بها، وذلك لا يقوله عاقل.

الثالث: قال الله تعالى: ﴿ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾ (المجادلة:١٢)، وقال: ﴿ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ ﴾ (الأعراف:٥٧)، فالنجوى والرحمة ليس لهما عضوان مسميان باليدين[2].

---

[1] دراسات في المذاهب القديمة والمعاصرة، عبدالله الأمين، ص: ٣٤٧.

[2] أساس التقديس في علم الكلام، الإمام فخر الدين الرازي، ص: ٦٩.

الرابع: إن قولهم في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ (ص:٧٥)، بأن الله أمر الملائكة تسجد لآدم لأنه خلقه بيده، ولو كانت اليد عبارة عن القدرة لكانت علة هذه المسجودية حاصلة في كل المخلوقات.

⇐ الجواب: لو كان خلق آدم باليدين هو سبب اصطفائه لاستحقت البهائم أيضا هذا الاصطفاء لقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ (يس:٧١).

الخامس: إن الله قال: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ (التوبة:٦٧)، وقال: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ (مريم:٦٤)، ولو كان النسيان في الآيتين بمعنى واحد فكيف يثبته الله ثم ينفيه؟!

وهذا الدكتور محمد عمارة يؤيد التأويل فيقول: " ولا يحسبن أحدا أن هذا الأفق الذي اتسع أمام العقل المسلم بالتأويل الذي قام على قواعد البلاغة العربية إنما كان أثرا من آثار ترجمة الفلسفة اليونانية إلى العربية، والتأثيرات التي أحدثتها في فلسفة المسلمين، فتلك قسمة أصيلة في تراثنا الفلسفي، نمت وتبلورت في مباحثنا الكلامية قبل ترجمة فلسفة اليونان واستيعابها، كما أنها قد صيغت في لغة لا أثر فيها للطابع الذي تميزت به صياغتنا الفلسفية المتأثرة بمقولات فلاسفة اليونان.

فالإمام – المعتزلي في الأصول والمذهب الكلامي – الزيدي في نظرية الإمامة – القاسم الرسي (١٦٩-٢٤٦هـ /٧٨٥-٨٦٠م) يستقصي في كتبه ورسائله تقريبا جميع المواطن التي توهم تشبيه الذات الإلهية بالمخلوقات والمحدثات، ثم يسلك سبيل البلاغة العربية، فيؤول جميع الآيات المتشابهات لتلحق معانيها وتتآزر بالأخرى المحكمات.

فإذا وقفت مدارك المشبهة عند ظاهر نص الآية القرآنية ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة:٢٢-٢٣)، فقالوا برؤية الله جهرة بالأبصار يوم القيامة رفض أهل التنزيه ذلك – بلسان القاسم الرسي – منبهين على أن قوانين التأويل العربية تؤول هذه الآية مع ما يتفق مع الآية المحكمة التي تتحدث عن ذات الله سبحانه فتقول: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الأنعام:١٠٣)، فالوجوه الناضرة هي المشرقة الحسنة، ومعنى أنها إلى ربها ناظر: منتظرة ثوابه وكرامته ورحمته، هكذا في لغات العرب وبلغاتها ولسانها نزل

القرآن، يقولون: إذا جاء الخصب بعد الجدب، يقولون: نظر الله إلى خلقه، يريدون أنه أتــاهم بالفرج والرخاء، ليس يعنون أنه كان لا يراهم ثم صار يراهم، ومثل ذلك قوله سبحانه عن أهل النار: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ ﴾ (آل عمران:٧٧)، أي أنهم لا يرجون من الله ثوابا"[1].

[1] الدكتور محمد عمارة، الحضارة الإسلامية، ص: ٦٧.

٤

الفصل الرابع

المسائل الخلافية

والآن نستعرض المسائل الخلافية بين الإباضية وأهل السنة لنرى إن كان الإباضية مبتدعين ولا يقبلون بالدليل ويتبعون أقوال شيوخهم ويتركون السنة كما يقول بذلك المشنعون على الإباضية متبعا مبدأ الدليل والمقارنة.

الباب الأول
مسائل الخلاف في العقيدة

أولا: مسألة خلق القرآن

إن مسألة قدم القرآن وخلقه فتنة أثارها اليهودي أبو شاكر الديصاني وكثر الكلام فيها بين القائلين بقدم القرآن والقائلين بخلقه، وقد قال بخلق القرآن الإباضية والمعتزلة وصرّح بعض الأشعرية بخلقه.

وممن صرّح بخلقه من الأشعرية الفخر الرازي، وحكا غير مرة اتفاق العقلاء عليه، ومن ذلك قوله في مقدمة تفسيره الكبير: " الكلام الذي هو مركب من الحروف والأصوات، فإنه يمتنع في بديهة العقل كونه قديما "[1]. وقال في تفسيره سورة الأعراف: " الناس مختلفون في كلام الله تعالى، فمنهم من قال: كلامه عبارة عن الحروف المؤلفة المنتظمة، ومنهم من قال: كلامه صفة حقيقة مغايرة للحروف والأصوات، أما القائلون بالقول الأول فالعقلاء المخلصون اتفقوا على أنه يجب كونه حادثا كائنا بعد أن لم يكن، وزعمت الحنابلة والحشوية أن الكلام المركب من الحروف والأصوات قديم، وهذا القول أخس من أن يلتفت العاقل إليه"[2].

ونجد الإمام ابن عاشور في تفسيره لسورة النساء يقول – بعد حديثه عن كلام الله المنزل بواسطة الملك على الرسل المسمى بالقرآن وبالتوراة وبالإنجيل وبالزبور –: " وهذا لا

[1] التفسير الكبير، ج١، ص:٣٠، ط٢، دار الكتب العلمية بطهران.

[2] المرجع السابق، ج١٤، ص: ٢٢٨.

يمتري في حدوثه من له نصيب من العلم في الدين، ولكن أمسك بعض أئمة الإسلام عن التصريح بحدوثه أو بكونه مخلوقا في مجالس المناظرة التي غشيتها العامة أو ظلمة المكابرة، والتحفز إلى النبز والأذى دفعا للإيهام وإبقاء على النسبة إلى الإسلام، وتنصلا من غوغاء الطغام".

ومن العلماء المعاصرين العلامة أبو زهرة في كتابه تأريخ المذاهب الاسلامية؛ متسائلا عن القرآن أهو قديم؟ وللإجابة على هذا السؤال نقول: إن القرآن له ناحيتان:

- إحداهما: معانيه وهي متعلقة بعلم الله الأزلي فهي من علمه تعالى وعلمه قديم؛ لأن صفات الله تعالى قديمة.

- والثانية: ما يتعلق بألفاظه وحروفه التي أوحى بها إلى النبي ﷺ عن طريق روحه الأمين جبريل وقد قرأها للنبي ﷺ وأقرأها النبي ﷺ للصحابة، وهؤلاء أقرؤوها للتابعين وتواترت القراءة والإقراء بها، وهذه نرى أنها مخلوقة لله تعالى؛ وذلك لا ينافي أن القرآن من عند الله "[1].

أما القائلون بقدم القرآن فقد اختلفوا اختلافا كثيرا، فلو أخذنا ما تقوله فرقة واحدة مثل الحنابلة وجدناهم قد اختلفوا في:

(أ) صوت قارئ القرآن وتلاوته.

(ب) الحروف الهجائية التي تتركب منها كلمات القرآن وغيره.

(ج) تكلم الله هل بمشيئته أو بدونها.

أولا: اختلافهم في الصوت: ذهب فريق منهم إلى قدم صوت القارئ واعتقاد أنه قائم بذات الله تعالى، ومن هؤلاء محمد بن داود البصيصي وابن حامد وأبو نصر السجزي والقاضي أبو يعلى، وأنكر عليهم ذلك أبو بكر وآخرون، وحكوا عن الإمام أحمد قوله: " من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع "[2].

⇐ ويقول الشيخ أحمد الخليلي: " وفي هذا النص الذي رووه من التناقض ما لا يخفى على عاقل، فإنه لا توسط بين الخلق وعدمه، فالشيء إما أن يكون مخلوقا أو غير مخلوق، فإن

---

[1] نقله عنه الدكتور محمد نعيم في كتابه القانون ص: ٤٤٩ ونقلته من هناك.

[2] الصواعق المرسلة، ص: ٤٤٠، نقلا من الحق الدامغ لسماحة الشيخ أحمد الخليلي، ص: ١٢٧.

كان مخلوقا فلماذا يضلل القائل بخلقه؟! وإن كان غير مخلوق فلماذا يبدّع من قال بعدم خلقه؟!

⇐ ومن جهةٍ أخرى كيف يكون صوت المخلوقين قديما وقائما بذات الله؟!

ثانيا: اختلافهم في الحروف: قال ابن تيمية: " لما تكلموا – أي الحنابلة – في حروف المعجم صاروا بين قولين طائفة فرّقت بين المتماثلين فقالت الحرف حرفان هذا قديم وهذا مخلوق، فأنكر عليهم كثيرون وقالوا هذا مخالف للحس والعقل[1].

وذكر ابن تيمية أنه رأى بخط القاضي أبي يعلى قال: " نقلت من آخر كتاب الرسالة للبخاري في أن القراءة غير المقروء، وقال: وقع عندي عن أحمد بن حنبل على اثنين وعشرين وجها كلها يخالف بعضها بعضا، والصحيح عندي أنه قال: ما سمعت عالما يقول لفظي بالقرآن غير مخلوق، قال: وافترق أصحاب أحمد بن حنبل على نحو من خمسين "[2].

⇐ يقول سماحة الشيخ أحمد الخليلي – حفظه الله – في الحق الدامغ: " وهم في هذا التنازع لا يرجعون إلى أصلٍ من كتاب أو سنة وإنما كل مستندهم ما يروونه عن الإمام أحمد ويتأولون من كلامه فكأنهم جعلوا كلامه أصلا من أصول الدين المستند إليها فأين هم من قول الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾ (النساء:٥٩)، وأغمضوا أعينهم عن كل ما جاء عن الله ورسوله مما يجلوا وجه الحق ويكشف سدول الجهل عن حقيقة هذه المسألة ".

ثالثا: اختلافهم في كلام الله بمشيئته أو بغيرها:

قال بعضهم: إن الله لم يتكلم بمشيئته، وهم اتباع ابن كلاب القاضي وغيره، وبنوا قولهم هذا على أن كلام الله الحرفي صفة قديمة قائمة بذات الله عز وجل، فإن القديم بقدمه لا تسبقه مشيئة كالعلم والقدرة والحياة وأمثالها من صفات الله تعالى.

وقال بعضهم: إن الله متكلم بمشيئته يتكلم متى شاء.

---

[1] فتاوى ابن تيمية، المجلد الثاني عشر، ص: ٨٣، نقلا من الحق الدامغ، ص: ١٢٨.

[2] المرجع السابق، ص: ٣٦٦، نقلا من الحق الدامغ، ص: ١٤١.

⇐ وإذا رجعنا إلى كلام الشيخ ابن تيمية وجدناه يقول: " ولا قال أحد منهم – أي السلف – إن نفس الكلام المعين كالقرآن أو ندائه لموسى أو غير ذلك من كلامه المعين أنه قديم أزلي لم يزل ولا يزال، وأن الله قامت به حروف معينة قديمة أزلية لم تزل ولا تزال، فإن هذا لم يقله ولا دل عليه قول أحمد ولا غيره من أئمة المسلمين، بل كلام أحمد وغيره من الأئمة صريح في نقيض هذا "[1].

⇐ فما دام ابن تيمية ينكر أزلية القرآن فلماذا يقال القرآن غير مخلوق؟!

⇐ فإن قيل إنكار القول بخلق القرآن هو إنكار كونه ناشئا عن غيره تعالى كما يفيده قول ابن تيمية: " مع قولهم إن كلام الله غير مخلوق وأنه منه بدأ، ليس بمخلوق ابتدأ من غيره ".

⇐ يعني أنهم لا يستطيعون إطلاق كلمة مخلوق على القرآن حتى لا يفهم أن القرآن ابتدأ من غير الله.

⇐ وفي الحقيقة إن وصف الشيء بأنه مخلوق لا يعني أنه ابتدأ من غير الله سبحانه، فإن مبدأ الكون منه تعالى، قال تعالى: ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (النمل: ٦٤).

⇐ ومن التناقض في قول ابن تيمية قوله: " إنه منه بدأ ليس بمخلوق "، حيث نفى الخلق وأثبت البداية وهل البداية إلا خلق؟![2]

⇐ فهل هذه الأقوال المتضاربة متبعة للسنة والإباضية الذين اعتمدوا على أدلة من القرآن والسنة هم مبتدعة؟!!

ما تعلقوا به في قولهم بقدم القرآن:

أولا: قالوا: قد وصف الله القرآن بأنه من كلامه حيث قال: ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة: ٦)، والكلام صفة أزلية لله تعالى يراد بها نفي الخرس فإذا لم يتصف بها اتصف بضدها.

قلنا للكلام معنيان:

- **أحدهما:** القدرة على القول كما أن ضده الذي هو الخرس عجز عنه.

---

[1] فتاوي بن تيمية، المجلد الثاني عشر، ص: ٨٦، نقلا من الحق الدامغ، ص: ١٤٨.

[2] الحق الدامغ، سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، ص: ١٤٨.

- وثانيهما: أثر هذه الصفة وهو ما يحدث مما يعد قولا.

وصفة الكلام الأزلية هي القدرة على القول، أما القول الذي يصدر عن الله هو أثر تلك الصفة، والتخليط بينهما كالتخليط بين القدرة والمقدور عليه، والعلم والمعلوم[1].

وأمّا القرآن وسائر الكتب السماوية فليست من صفاته وإنما هي من آثار صفاته لعدة أسباب:

أ- الصفة لا تنفصل عمن يتصف بها، والقرآن حال في الصدور، وفي اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (البروج: ٢١-٢٢).

ب- الصفة لا تنقل من مكان للآخر والله وصف القرآن بأنه منزل قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ (ص: ٢٩)، والإنزال نقل من مكان إلى مكان. قال القرطبي: " ولا خلاف أن القرآن أُنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر جملة واحدة فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا ثم كان جبريل يترل به نجما نجما في الأوامر والنواهي والأسباب "[2].

ج - إنها من آثار صفاته، لأنها لم تحدث إلاّ بقدرته تعالى وعلمه مثل جميع المخلوقات التي أبدعها الله بقدرته وعلمه.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ (الأعراف: ٥٤)، قالوا عطف الأمر على الخلق وهذا يعني أنّ الخلق هو المخلوق والأمر كلامه تعالى الذي هو غير مخلوق وهو قوله: ﴿ كن ﴾.

الجواب: هذا استدلال بما لا دليل فيه من عدة أوجه:

١- الآية تعني أن الله أوجد الكائنات وهو المتصرف فيها.

٢- العطف ليس بالضرورة يعني المغايرة قال تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ (البقرة: ٢٣٨).

---

[1] سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، شرح منظومة غاية المراد في الاعتقاد، ص: ٧٤.

[2] محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء الثاني، ص: ٢٩٧.

٣- أمر الله مخلوق من قبل الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (الأحزاب:٣٧)، وقال: ﴿ لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ (الأنفال:٤٢)، والمفعول والمقضي لا يكونان إلاّ حادثين.

ثالثا: الاستعاذة بكلمات الله التامات كما في الحديث: " أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق "، قالوا: لو لم تكن قديمة لما جاز الاستعاذة بها.

وأجيب: إن هذه الاستعاذة في الحقيقة استعاذة بالله ولكن أدرجت الكلمات لما فيها من البركة، وقد وردت الاستعاذة بأفعال الله كما جاء في الحديث: " وبمعافاتك من عقوبتك "، والمعافاة فعل لله وهي حادثة.

رابعا: كونه منزل قالوا: امتن الله علينا بإنزاله في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ (الدخان:٢)، وهذا دليل على عدم خلقه.

قلنا:

١- إنّ الإنزال لا يتنافى مع خلقه، بل هو دليل على خلقه؛ لأن الإنزال نقل من مكان إلى مكان وهي حالة لا تكون إلاّ في المخلوق.

٢- الذين استدلوا بإنزاله على عدم خلقه – حتى قالوا بكفر من قال بخلقه – لذلك يلزمهم القول بعدم خلق الماء والحديد وبهيمة الأنعام؛ لأن الله وصف كلا من ذلك بأنه منزل حيث قال: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ ﴾ (الفرقان:٤٨)، وقال: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ (الحديد:٢٥)، وقال: ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ (الزمر:٦)، فماذا عسى أن يقولوا في ذلك؟![1]

[1] سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، شرح منظومة غاية المراد، ص: ٧٦.

أدلة القائلين بخلق القرآن

قد استدل القائلون بخلق القرآن بأدلة كثيرة حيث استدلوا بحوالي أربعة عشر دليلا من القرآن وحده بالإضافة إلى الأدلة من السنة والأدلة العقلية، فمن أدلتهم:

١- التكلم لا يعني إلاّ إحداث الكلام.

٢- القرآن كائن بعد ألم يكن، فقبل أن يكون في اللوح المحفوظ ليس له وجود إلاّ في علم الله حاله حال المخلوقات الأخرى.

٣- آثار الصنعة بادية عليه، فكل حرف محتاج إلى آخر لتتكون الكلمة وكل كلمة محتاجة إلى أخرى لتتكون الجملة.

٤- حال في الصدور وفي اللوح المحفوظ، والحال في المخلوق مخلوق.

٥- مسبوق بغيره، والمسبوق بغيره مخلوق.

٦- مهيمن على الكتب السابقة، والمهيمن عليه حادث وما دامت الكتب السابقة حادثة فهو حادث.

٧- جواز تعليله، كما تعلل سائر أفعاله تعالى فيقال كلّم الله عباده بالقرآن ليقيم عليهم الحجة، فلو كان القرآن نفسه صفة ذاتية لما جاز تعليله، فلا يقال قدر الله على كذا من أجل كذا.

٨- اقترانه بزمان: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ (الأعراف:١١)، فقد قال لهم: ﴿ اسجدوا ﴾ بعد خلق آدم وتصويره.

٩- مقدّر، والمقدر مخلوق قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ (الفرقان:٢)، والقرآن مقدرة سوره وآياته وجمله وكلماته وحروفه وحركاته وتلاوته ومعانيه وأحكامه وأخباره وأمثاله.

١٠- كونه محدث، قال تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (الأنبياء:٢)، وقوله: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ ﴾ (الشعراء:٥)،

والإحداث هو الإيجاد من العدم، والمحدث هو الذي وقع عليه فعل المحدِث - بالكسر - ويشترط فيه أن يكون مسبوقا بالفاعل والفعل، وحمل الإحداث على الإنزال خروج عن الظاهر لغير داع سوى تأييد فكرة في نفس القائل جعلها هي الأصل التي ترد إليه الأدلة، وما أعظمها من مصيبة في الدين.

ولو كان الإحداث هو الإنزال فالإنزال نفسه دال على الحدوث؛ لأنه إحالة للمنزل من حال إلى حال، والقديم لا يتحول عن أصله ولا تعتريه العوارض، ولا يكون لأحد عليه سلطان.

١١- يقع النسخ على بعض آياته، قال تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ (البقرة:١٠٦)، والنسخ المحو والإزالة وهو مستحيل على القديم.

١٢- كونه محفوظا: قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحجر:٩)، ولا يكون المحفوظ إلاّ مخلوقا لأن القديم مستغن عن حفظ الحافظين.

١٣- وردت أحاديث كثيرة على أن بعض القرآن أعظم من بعض وأفضل، وأن بعضه سنام لسائره، وبعضه قلب، وهذا كله لا يجوز على القديم إذ لا تفضل صفة من صفات الله على بعض فلا يقال علمه أفضل من قدرته، والعكس، وإذا امتنع التفضل بين الصفات ففي الصفة الواحدة أولى بالمنع.

❁ الخلاصة: نقلت هذا الجزء البسيط من أقوال القائلين بقدم القرآن والتي تدور حول ما قاله أئمتهم ليظهر للباحث المنصف خطأ من قال: " إن الإباضية أهل بدعة".

⇐ وإلا فإننا لو أخذنا المفيد من أقوال أهل السنة وجدنا أن الخلاف بين الإباضية وأهل السنة في هذه المسألة لفظيّ لو لم يكفروا من يقول بالخلق، كما يقول أبو إسحاق: " ولعل أعدل ما في هذه المسألة القول بأن الخلاف فيها لفظي لأن القائلين بالخلق يعنون القرآن المتلو المكتوب وغيرهم يعني معانيه والله أعلم "[1].

---

[1] تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، الشيخ نور الدين السالمي، ص: ١٥٦.

⇐ ربما أن التحليلات التالية تدل على ما قاله أبو إسحاق:

(١) إن التكلم بالقرآن غير أزلي وهذا ما يقرّه الإباضية وأهل السنة، يقول ابن القيم في الصواعق المرسلة: " وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً ﴾ (الإسراء:١٦)، سواء كان الأمر هنا أمر تكوين أو أمر تشريع فهو موجود بعد أن لم يكن "[1].

(٢) إن معنى كلمة: " قديم " أي لم يسبق وجوده عدم، ومعنى " مخلوق " أي سبق وجوده عدم.

⇐ فلو جئنا إلى وجود القرآن المتلو المكتوب في المصاحف بهذه الصياغة، كل حرف محتاج إلى آخر لتتركب الكلمة وكل كلمة محتاجة إلى كلمة أخرى لتتركب الجملة.

⇐ سبق وجوده في المصاحف عدم؛ لأن المصاحف غير أزلية.

⇐ وسبق وجوده في الصدور عدم؛ لأنه قبل أن يترل لم يكن موجودا لا في مصحف ولا في صدر.

⇐ وكذلك ليس أزليا في اللوح المحفوظ؛ لأن اللوح المحفوظ مخلوق.

⇐ وليس قائما بذات الله.

⇐ ولكنه أزلي قديم في علم الله سبحانه، وهذا يتفق عليه الجميع.

⇐ إذن الكلام المترل المركب من الحروف الذي تتلوه الألسن وتسمعه الآذان وتعيه العقول التكلم به حادث في أوقات محددة (التكلم به غير قديم).

حادث في المصاحف (وجوده في المصاحف غير قديم).

حادث في الصدور (وجوده في الصدور غير قديم).

حادث في اللوح المحفوظ (وجوده في اللوح المحفوظ غير قديم).

غير قائم بذات الله سبحانه (لا توجد حروف ولا أصوات أزلية قائمة بذات الله)

قديم في علم الله.

إذن لم يبق وصف لهذا الكلام المعين بالقدم إلاّ وجوده في علم الله.

---

[1] نقلا من الحق الدامغ، مرجع سابق، ص: ١١٠.

ثانيا: نفي رؤية الباري جلّ وعلا

من المعلوم أن الإباضية ينفون رؤية الله في الدنيا والآخرة، وأهل السنة يثبتونها، وأنا لست هنا بصدد عرض الأدلة لأني ذكرتها في كتاب " العقيدة الإسلامية في ضوء العقل والنقل "، ولكن أنبه على بعض النقاط بناء على أدلة الطرفين التي ذكرتها هناك.

أقوال المثبتين للرؤية:

(١) بعضهم يقول أنها يمكن أن تقع في الدنيا والآخرة.

(٢) وبعضهم يقول لا تقع إلا في الآخرة ولا يراه إلا المؤمنون.

(٣) وقال آخرون إنه يرى الله جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم.

(٤) وقال آخرون يراه المؤمنون والمنافقون دون الكافرين.

❖ والأقوال الثلاثة الأخيرة في مذهب الإمام أحمد وهي لأصحابه[1].

⇐ ونحن لا نستغرب هذا التضارب في الأقوال لأنها مبنية على أدلة متضاربة، فحديث أبي هريرة يثبت حسب زعمهم الرؤية في الموقف، وحديث صهيب يثبتها في الجنة وسياقه دال على أنها أول مرة لو أخذ بظاهره، وحديث أبي هريرة يثبتها للمؤمنين والمنافقين، وحديث صهيب يثبتها للمؤمنين فقط.

⇐ فنقول أولا:

(١) الحق واحد فأين الحق من هذه الأقوال؟!

(٢) لو قلتم أن الرؤية للمؤمنين فقط فماذا تعملون بحديث أبي هريرة الذي يثبتها للمنافقين أيضا؟!

(٣) لو قلتم الحق أن الرؤية للمؤمنين والمنافقين حسب حديث أبي هريرة مع قولكم أن الرؤية أكبر نعيم من الجنة فلماذا يحرم الله المنافقين من النعيم الأصغر؟!

---

[1] حادي الأرواح، ابن القيم، ص: ٣٢٦.

(٤) وإذا قلتم أن الله يريهم نفسه ثم يحجبون ليتحسروا - كما قال بعضكم - فلماذا لا يدخلهم الجنة ويخرجهم ليتحسروا؟!

(٥) لماذا لم يذكر الله نعيم الرؤية بالتفصيل كما ذكر نعيم الجنة بالتفصيل؟!

ثانيا: عندما احتج النافون للرؤية بآية محكمة تدل دلالة صريحة على نفي الرؤية وهي قوله تعالى: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الأنعام:١٠٣)، رددتم هذا الاحتجاج بشبهات من الخيال لا أساس لها فكيف يطمئن أحد أن يبني عقيدته على تفسير آية محكمة بشبهة من الخيال تغير معنى الآية ولا يجد لها أي تأييد في الكتب حيث قلتم.

(١) إن الإدراك معناه الإحاطة، ولم نجد في كتب اللغة ومنها الصحاح من يفسّر الإدراك بالإحاطة، بل وجدنا حسبما فسرناه فكيف يكون الرد حقيقة؟!

(٢) وقلتم إن الآية جاءت لسلب العموم لا لعموم السلب فهل تستطيعون أن تطبقوا هذا التعليل على الآيات الأخرى التي سيقت للمدح وتضمنت النفي مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (البقرة:١٩٠)؟!

(٣) وقلتم إن عدم رؤيته لا يعد مدحا بسبب مشاركته غيره في ذلك كالرياح والأرواح، فهل تستطيعون تطبيق هذا التعليل على قوله تعالى: ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ (البقرة:٢٥٥)؛ لأن الأجرام السماوية لا تنام؟!

(٤) احتج النافون للرؤية بحديث أبي موسى الأشعري الذي رواه الشيخان: "جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ".

⇐ فهل رداء الكبرياء يزول عنه تعالى حتى تحصل الرؤية؟! تعالى الله عن ذلك.

⇐ وأخيرا هل المذهب الذي قال بأربعة أقوال متضاربة مبنية على أدلة متضاربة لم يستطع المستدلين بها الجمع بينها هي الحق واتباعا للقرآن والسنة؟ والمذهب الذي قال بقول واحد تدعمه أدلة استطاع أهله أن يردوا على جميع اعتراضات استدلاله يقال أنه مجانب للحق وأنه مبتدع ؟!

ثالثا: مسألة الشفاعة وعدم غفران الذنوب من غير توبة

لقد أتبع الحشوية أنفسهم هواها وأتوا لها بالمبررات لتفعل ما تشاء من المنكرات من غير أن تخاف من عقوبة الملك الجبار متبعين التأويل التعسفي لآيات القرآن الكريم والسنة النبوية وفوق ذلك يشنون حملة من الانتقادات والسب على من أول تلك الآيات تأويلا صحيحا.

- فقالوا: إن الإنسان بمجرد انتمائه إلى الدين الإسلامي بالنطق بالشهادتين صار له جواز سفر دبلوماسي لدخول الجنة، محتجين بقوله ﷺ: " من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة "، وعندما قال الشيخ سالم بن حمود السمائلي هذا إذا لم يقترف إثما آخر، قالوا: هذا تأويل فاسد.

- وقالوا: لو عمل الإنسان ما عمل ما دام قد قال لا إله إلا الله فذنوبه مغفورة من غير توبة[1]، محتجين بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النساء:٤٨)، وقالوا: لو جاء وذنوبه مثل الجبال فسيخرج له بطاقة مكتوب فيها لا إله إلا الله فترجح على كل الذنوب وتلغيها ويدخل الجنة.

- وقالوا: إن الرسول سيشفع لأهل الكبائر ولو كانت هذه الكبيرة قتل النفس[2] مع أن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ (النساء:٩٣).

- وقالوا: إن من دخل النار من أهل الكبائر فسيخرج منها.

⇐ فإذا كان من مات لا يشرك بالله دخل الجنة بغض النظر عن الكبائر الأخرى، وإن الذنوب مغفورة من غير توبة، فما الذي يدخلهم النار إلا الشرك؟! والمشركون مخلدون في النار فمن الذين قالوا عنهم يخرجون من النار؟! فلا شك إن هذه تأويلات فاسدة تجرّئ الناس على معصية الله.

---

[1] الإباضية، عبد العزيز بن محمد، ص: ١٠.

[2] التوحيد، لابن خزيمة، ص: ٢٧٣.

⇐ فإذا كان الله – سبحانه وتعالى – وصف القول بالخروج من النار يسبب الغرور في الدين حيث قال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (آل عمران: ٢٤)، فكيف الأقوال الأخرى؟!

⇐ فلو كان القول بالخروج من النار حقا لما سبب الغرور فالحق لا يسبب الباطل.

⇐ ليس الأمر كما يعتقد هؤلاء أن مجرد الانتماء إلى هذا الدين يجعل الإنسان يفلت من الجزاء فلقد نص القرآن الكريم في آيات كثيرة على أن كل من عمل صالحا جوزي بما عمل، ومن عمل سيئا جوزي بما عمل، وقد حذر الله – سبحانه وتعالى – هذه الأمة من الاغترار بالأماني، فقد قال عز من قائل: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ (النساء: ١٢٣).

⇐ يقول سماحة الشيخ أحمد الخليلي: " وفي ذكر أماني أهل الكتاب مع أماني هذه الأمة إشارة إلى أن بعض أفراد هذه الأمة سوف يغترون كما اغتر أهل الكتاب، وسوف يتعلقون بالأماني راجين من الله – سبحانه وتعالى – أن يغفر لهم ذنوبهم بمجرد انتمائهم إلى هذا الدين الحنيف وتصديقهم بالنبي – عليه أفضل الصلاة والسلام –، وقد ذكر أماني هذه الأمة تحذيرا لهذه الأمة عن مسلك أهل الكتاب ليأخذ كل حذره وليعمل جهده في طاعة الله سبحانه وتعالى.

⇐ وقد جاءت آيات كثيرة تؤيد ما جاءت به الآية من أن كل أحد سوف يجازى بعمله، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (النمل: ٩٠)، وقوله سبحانه: ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (القصص: ٨٤)، وهذه نصوص صريحة لا تقبل الجدل أن الله – سبحانه وتعالى – يجازي كل أحد بعمله خيرا كان أو شرا.

⇐ وقد بين – سبحانه وتعالى – أنه يغفر ذنوب التائبين لا ذنوب المصرين، فقد قال عز من قائل: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ (طـه: ٨٢)، وبين – سبحانه وتعالى – أنه يغفر سيئات الذين يجتنبون الكبائر، أي يغفر صغائرهم دون كبائرهم، ولا يغفر الصغيرة إلا مع اجتناب الكبيرة وشريطة عدم الإصرار عليها لقوله – سبحانه وتعالى

-: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ (النساء:٣١).

⇐ وإذا أدرك الإنسان ذلك فهم معنى قوله – سبحانه وتعالى –: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النساء:٤٨)، فيغفر لمن يشاء إما بالتوبة والإقلاع عن الكبائر والرجوع إلى الله – سبحانه وتعالى –، وإما باجتناب الكبائر مع صدور بعض الصغائر من غير قصد الإصرار عليها ومن غير الاستمرار على ارتكابها، هذا هو المقصود بقوله: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾، فقد بين سبحانه في آيات أخرى من يشاء لهم المغفرة وهم الذين يجتنبون الكبائر ولا يصرون على الصغائر، وقد جاء الحديث عن رسول الله ﷺ: " لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار".

⇐ وكما أنه – سبحانه وتعالى – حذّر من أماني الغفران، وبين أن كل أحد سوف يجزى بما كسب، حذّر أيضا من أماني الشفاعة، وقد وجه هذا التحذير إلى هذه الأمة، فقد قال مخاطبا المؤمنين: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ (البقرة:٢٥٤)، وقال سبحانه مخاطبا بني إسرائيل: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (البقرة:٤٨)، وفي هذا أيضا تحذير لهذه الأمة ولغيرها من التعلق بأماني الشفاعات.

⇐ وبين تعالى أن الشفاعة لا تكون للظالمين بقوله: ﴿ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ (غافر:١٨)، وهل من قائل أن أكل مال اليتيم بالباطل أو غصب أموالهم أو أعراضهم أو كان قاتلا أو غير ذلك بأنه غير ظالم؟!

وأما ما قيل من أن الإنسان يشفع له النبيون يوم القيامة، وسوف يتخلص من العقاب، فقد بين – سبحانه وتعالى – الذين يستحقون شفاعة النبيين وغيرهم في قوله: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ (الأنبياء:٢٨)، فالشفاعة تحق للرضي دون غيره، وإن كان الرضي يستحق دخول الجنة قد تكون الشفاعة أيضا من ضمن الأسباب التي تؤدي إلى دخول الجنة فقد يتوب التائب

من معصيته، ويجعل الله – سبحانه وتعالى – للشفاعة نصيبا في قبول توبته، وأما المصرّون على الكبائر فلا شفاعة لهم بهذه النصوص القاطعة "[1].

رابعا: مسألة الخلود في النار

اختلف المسلمون في خلود أهل الكبائر في النار، فالبعض يقول: يعذبون بقدر أعمالهم ثم يخرجون من النار، والبعض الآخر يقول: إن من دخل النار لا يخرج منها، وقد احتج القائلون بخروج أهل الكبائر من النار بقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ (مريم:٧١-٧٢)، مستدلين على الخروج من النار بقوله: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾ لكن الآية ليس فيها دليل على خروج أهل الكبائر من النار من عدة وجوه:

١-: إن أهل الكبائر ليسوا من الذين اتقوا والآية نصت على نجاة المتقين دون غيرهم.

٢-: لا يمكن أن يكون الخطاب في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم لأن الله – سبحانه وتعالى – قضى بنجاة عباده المؤمنين من النار وببعدهم عنها قال تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الأنبياء:١٠١-١٠٣).

٣ – إنّ الورود المذكور في الآية الكريمة يقصد به الكفار فالخطاب للذين وصفهم الله بقوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ ﴾ (مريم:٦٨-٧٠).

يقول العلاّمة ابن عاشور: " لما ذكر انتزاع الذين هم أولى بالنار من بقية طوائف الكفر عطف عليه أن جميع طوائف الشرك يدخلون النار، دفعا لتوهم أنّ انتزاع من هو أشد على الرحمن عتيا هو قصارى ما ينال تلك الطوائف من العذاب بأن يحسبوا أن كبراءهم

[1] موقف الإباضية من الخليفتين عثمان وعلي " شريط "، الشيخ أحمد الخليلي.

يكونون فداء لهم من النار أو نحو ذلك، أي وذلك الانتزاع لا يصرف بقية الشيع عن النار فإن الله أوجب على جميعهم النار...، فالخطاب في ﴿ وإن منكم ﴾ التفات من الغيبة في قوله ﴿ لنحشرنهم ﴾ و ﴿ لنحضرنهم ﴾ عدل عن الغيبة إلى الخطاب ارتقاء في المواجهة في التهديد ".

وأضاف قائلا: " فليس الخطاب في قوله ﴿ وإن منكم ﴾ لجمع الناس مؤمنهم وكافرهم بمعنى ابتداء كلام، بحيث يقتضي أن المؤمنين يردون النار مع الكافرين ثم ينجون من عذابها؛ لأن هذا معنى ثقيل ينبوا عنه السياق إذ لا مناسبة بينه وبين سياق الآيات السابقة، ولأنّ فضل الله على المؤمنين بالجنة وتشريفهم بالمنازل الرفيعة ينافي أن يسوقهم مع المشركين مساقا واحدا، كيف وقد صدر الكلام بقوله ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ﴾ ... "[1].

كل ما تعلق به القائلون بالخروج من النار بعض الأحاديث النبوية الآحادية، مع أن أحاديث أخرى أكثر عددا تثبت الخلود ومتفقة مع القرآن. فهل نأخذ الأحاديث المتفقة مع آيات القرآن أم المختلفة معها؟!

يقول الحافظ البغدادي في كتابه الفقيه والمتفقه: " ذكر علماء الحديث أن الحديث إذا خالف صريح العقل أو النص القرآني أو الحديث المتواتر ولم يقبل تأويلا فهو باطل وذكره الفقهاء والأصوليون في كتب الفقه كتاج الدين السبكي في جمع الجوامع"[2].

⇐ ويقول السيد محمد رشيد رضا في تفسير المنار: " وإذا كان من علل الحديث المانعة من وصفه بالصحة مخالفته رواية لغيره من الثقات فمخالفة القطعي من القرآن أولى بسلب وصف الصحة عنه "[3].

⇐ بالإضافة إلى ذلك فإن عمر بن الخطاب رد حديث فاطمة بنت قيس لمخالفته القرآن، كذلك السيدة عائشة ردت حديث ابن عمر في تعذيب الميت ببكاء أهله لمخالفته القرآن،

[1] محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٦، ص: ٦٩-٧٠.

[2] الفقيه والمتفقه، ص: ١٣٢.

[3] تفسير المنار، السيد محمد رشيد رضا، ج١، ص: ٨٦، نقلا من شريط سمعي عن سماحة الشيخ أحمد الخليلي بعنوان موقف الإباضية من الخليفتين عثمان وعلي.

وإذا كانوا في ذلك الوقت يرجعون أحاديث الرسول ﷺ إلى القرآن حتى لا يقعوا في الخطأ فكيف بعدما اختلط الحابل بالنابل.

ولم تبق لهم إلاّ حجة عقلية، قالوا إن القول بخلود المصرّين على الكبائر في النار هو حكم جائر إذ لم يعتبر القائلون به أعمال الخير الذي عملوها من صلاة وصيام وحج وصلة رحم وغير ذلك.

وأجيب:

١- إنّ هذه الأعمال غير مقبولة عند الله بسبب إصرارهم على الكبائر لأن الله يقول: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (المائدة:٢٧)، فالله قد حصر قبول الأعمال في صنف المتقين.

٢- إنّ فعل الكبائر يحبط الأعمال الصالحة قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ (محمد:٣٣)، فالإحباط ليس خاص بأعمال المشركين؛ لأن الخطاب في هذه الآية للمؤمنين. وهناك أدلة كثيرة ذكرها كثير من العلماء منهم العلاّمة ابن القيم الجوزية حيث قال: " ومحبطات الأعمال ومفسداتها أكثر من أن تحصر، وليس الشأن في العمل، إنما الشأن في حفظ العمل مما يفسده ويحبطه:

- فالرياء وإن دق محبط للعمل وهو أبواب كثيرة لا تحصر.
- وكون العمل غير مقيد باتباع السنة أيضا موجب لكونه باطلا.
- والمن به على الله تعالى بقلبه مفسد له، وكذلك المن بالصدقة والمعروف والبر والإحسان والصلة مفسد لها كما قال جل جلاله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ (البقرة:٢٦٤)، وأكثر الناس ما عندهم خبر بأنّ السيئات تحبط الحسنات وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (الحجرات:٢)، فحذر المؤمنين من حبوط أعمالهم بالجهر لرسول الله ﷺ كما يجهر بعضهم لبعض، وليس هذا بردة بل

معصية تحبط العمل وصاحبها لا يشعر بها، فما الظن بمن قدّم على قول الرسول ﷺ وهديه وطريقه قول غيره وهديه وطريقه؟ أليس هذا قد حبط عمله وهو لا يشعر؟

- ومن هذا قوله ﷺ: " من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله ".
- ومن هذا قول عائشة - رضي الله عنها وعن أبيها - لزيد بن أرقم لما با ع بالعينة: " إنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب "، وليس التبايع بالعينة ردة، وإنما غايته أنه معصية "[1].

أدلة القائلين بخلود أهل الكبائر

الإباضية يقولون بالخلود، وقد بنوا قولهم بالخلود لكل من دخل النار على أدلة قطعية من القرآن والسنة لا يشك في صحتها عاقل وليس اتباعا للهوى.

أولا: إن قول الخروج جاء من عند اليهود كما صرّح القرآن الكريم بذلك حيث قال سبحانه: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ ۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ (البقرة: ٨٠-٨١).

ثانيا: إن في الآية استنكار لهذه العقيدة وإنها غير مستندة إلى عهد الله.

ثالثا: لقد صرّحت الآية أن من ارتكب سيئة وأحاطت به خطيئته - يعني أنه لم يتخلص منها بالتوبة - فهو مخلد في النار.

رابعا: قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (آل عمران: ٢٤)، فلو كان القول بالخروج من النار حقا لما جرأهم على المعاصي.

خامسا: قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٥﴾

[1] ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص: ١٥.

﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧٦ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۝٧٧﴾ (الزخرف: ٧٤-٧٧).

⇐ يقول سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي – حفظه الله –: " وهل من قائل يقول إن الزاني الذي مات وهو مصر على الزنا أو شارب الخمر أو قاتل النفس المحرمة بغير الحق أو آكل الربا أو المصر على ارتكاب الكبائر ليس من المجرمين؟! من الذي يقول إن هؤلاء ليسوا مجرمين؟! فهم خالدون في النار ولم تنلهم الشفاعة.

سادسا: قوله – سبحانه وتعالى –: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ۝١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦﴾ (الانفطار:١٣-١٦)، بيّن الله – سبحانه وتعالى – في هذه الآيات أن الناس ينقسمون إلى قسمين: أبرار وفجار، وبيّن أن الأبرار في النعيم وأن الفجار في الجحيم وأنهم لا يغيبون عن هذا الجحيم، فالآية دلت على خلود الفجار.

⇐ ومن يقل أن أهل الكبائر ليسوا فجارا يلزمه أن يقول إن الزنا من البر! وأن قتل النفس المحرمة من البر! وأن من فعل شيئا من ذلك من الأبرار! وهل يقول أحد أن هذه المعاصي ليست من الفجور وأن فاعلها ليس من الفجار؟!

سابعا: ويقول – سبحانه وتعالى –: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ۝٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٧٠﴾ (الفرقان: ٦٨-٧٠)، لقد نص الله – سبحانه وتعالى – في هذه الآيات أن من قتل النفس المحرمة بغير حق ومن زنى فلهما حكم المشرك في الخلود في النار.

- ولعل قائلا يقول: إن الوعيد منصب على من جمع هذه الصفات جميعا، أي من أشرك مع الله إلها آخر، وقتل النفس المحرمة بغير الحق، وزنى.

⇐ والجواب: إنه يلزم هذا القائل أن لا يخلد أحد في النار بسبب الشرك حتى يضم إلى الشرك قتل النفس المحرمة بغير الحق والزنا، أما إن أشرك ولم يقتل النفس المحرمة بغير الحق ولم يزن، يلزمهم على هذا القول أن لا يكون من الخالدين في النار.

ثامنا: ويقول - سبحانه وتعالى - في آكل الربا: ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾ (البقرة:٢٧٥)، فهذا نص صريح في أن آكل الربا من أصحاب النار الذين يخلدون فيها.

تاسعا: ويقول - تبارك وتعالى -: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ (النساء:٩٣)، فقد بيّن - سبحانه وتعالى - أن قاتل النفس المؤمنة بغير حق مأواه جهنم وسوف يخلد فيها.

⇐ ويقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ (النساء:١٤)، فالآية جاءت بعد تبيان أحكام المواريث وحكمت على المتعدي فيها بالخلود، فهل التعدي في الميراث شرك؟!

عاشرا: أليس هذا الغارق في المحرمات ممن يريدون العاجلة؟ والله يقول: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ (الإسراء:١٨-١٩)، فهل هذا الذي لا يكف نفسه عن المحرمات ممن يسعون سعي الآخرة.

الحادي عشر: ألا يدل انغماسه في المحرمات على أنه يريد حرث الدنيا وليس حرث الآخرة والله قضى بأن ليس له نصيب في الآخرة حيث قال: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الشورى:٢٠).

الثاني عشر: أليس ارتكابه المحرمات والإصرار عليها دليلا على إرادته الدنيا وزينتها والله حكم عليه بأن ليس له في الآخرة إلاّ النار في قوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (هود:١٥-١٦).

الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (الجن:٢٣)، أليس أهل الكبائر ممن يعصون الله ورسوله؟

الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (يونس: ٢٦-٢٧).

وفي الآيتين دليل على الخلود من عدة وجوه :

١- إن الله حصر أهل الجنة في الذين أحسنوا بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾.

٢- أخبر الله عن أهل الجنة بأنهم لا يصيبهم قتر ولا ذلة، ولا يعقل أن يصلى أحد النار ولو لمدة ثوان فلا يرهقه قتر ولا ذلة.

٣- إنه توعد الذين عملوا السيئات بالنار مخلدين فيها وهذا الحكم على من أتى أي سيئة ولم يتب منها ما عدا الصغائر التي استثناها الله تعالى بقوله: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ (النساء: ٣١).[1]

الخامس عشر: قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ (النساء: ١٢٣).

ووجه الاحتجاج بالآية من وجهين:

- الأول: أن الخروج من النار هو من أماني اليهود الذي نفت الآية تحقيقها.

- الثاني: أنها نفت النصير والقائلين بالخروج من النار يقولون يخرجون بشفاعة الرسول ﷺ ولا شك أن الشفيع نصير.

السادس عشر: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (النور: ٢٣). ووجه الاحتجاج بالآية أن رمي المحصنات ليس شركا والآية نصت على لعنه واللعن هو الطرد من رحمة الله فكيف يقال إنه سيتنعم في الجنان؟!

[1] راجع أثر الإيمان بالغيب في وعد الله ووعيده، شريط مسجل لسماحة الشخ أحمد الخليلي.

السابع عشر: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ (آل عمران:٧٧).

⇐ وما وراء ذلك من الآيات الكثيرة الناصة على الخلود في النار، وهذه الآيات كلها تدل على خطورة عقيدة من يعتقد الخروج من النار أو العفو عن أهل الكبائر لما تجره من التهاون بأوامر الله والجرأة على معاصيه ".

⇐ وهناك أدلة أخرى من القرآن ذكرها في كتاب " بصائر في بعض أحكام أهل الكبائر ".

أدلة القائلين بالخلود من السنة النبوية

أ- وردت أحاديث تنص على خلود أهل النار جميعا:

الثامن عشر: روى البخاري ومسلم وغيرهم من طريق ابن عمر أن النبي ﷺ قال: " يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم يا أهل النار لا موت ويا أهل الجنة لا موت كل خالد فيما هو فيه "، وروى مثله البخاري عن أبي هريرة والطبراني والحاكم وصححه من طريق معاذ – رضي الله عنه –. فالحديث دال دلالة لا غبار عليها على خلود أهل النار جميعا حيث قال: كل خالد فيما هو فيه.

التاسع عشر: أخرج الطبراني وأبو نعيم وابن مردويه عن ابن مسعود – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: " لو قيل لأهل النار إنكم ماكثون فيها عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا، ولو قيل لأهل الجنة إنكم ماكثون فيها عدد كل حصاة لحزنوا ولكن جعل لهم الأبد ". الحديث قال: جعل لهم الأبد، ولم يقل لبعضهم وقتا محددا.

العشرون: أخرج الشيخان وغيرهما من طريق أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: " من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا فيها أبدا، ومن نزل من جبل فقتل نفسه فهو يترل في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ". فرسول الله ﷺ قال: خالدا، فمالنا نقول خارجا؟!

ب: وردت أحاديث تحرّم الجنة على مرتكبي بعض الكبائر:

الحادي والعشرون: أخرج البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: " من استرعاه الله رعية ثم لم يحطها بنصحه إلا حرّم الله عليه الجنة ". رسول الله ﷺ يقول: حرّم الله عليه الجنة فما بالنا نقول حلّل؟!

الثاني والعشرون: روى الربيع في مسنده الصحيح عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك – رضي الله عنهم – عن رسول الله ﷺ أنه قال: " من اقتطع حق مسلم بيمينه حرّم الله عليه الجنة وأوجب له النار "، فقال رجل: وإن كان قليلاً يسيراً يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: " وإن كان قضيباً من أراك "، ورواه مالك في موطئه ومسلم والنسائي من حديث أبي أمامة – رضي الله عنه –.

الثالث والعشرون: روى أحمد والبزار والحاكم والنسائي عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال: " لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر "، وفي رواية: " ثلاثة قد حرّم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق لوالديه، والديوث، وهو الذي يقرّ السوء في أهله ".

الرابع والعشرون: روى الشيخان عن سعد وأبي بكرة – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال: " من ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام ".

الخامس والعشرون: روى الشيخان عن جندب بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: " كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع، فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقا الدم حتى مات، فقال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة ". فكيف يمكن القول بأن الجنة حلال لمرتكبي هذه الكبائر ورسول الله ﷺ يقول أنها عليهم حرام؟!

ج: وردت أحاديث تعبر بعدم دخول أهل الكبائر الجنة وبعضها بتعبير لا يجدون ريحها:

السادس والعشرون: روى مسلم في صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال: " صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وأن ريحها توجد من مسيرة كذا وكذا ". أخي المسلم فكّر في الهوة بين قول رسول الله ﷺ: " لا يجدن ريحها " والقول بدخول المصرين على الكبائر الجنة والتنعم فيها.

السابع والعشرون: روى البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: " لا يدخل الجنة نمام "، وفي رواية فتان.

الثامن والعشرون: قال رسول الله ﷺ: " من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن رائحتها لتوجد من مسيرة أربعين عاما " (رواه أحمد والبخاري عن ابن عمر رضي الله عنه).

التاسع والعشرون: قال ﷺ: " ألا من قتل نفسا معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر ذمة الله ولا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفا " (رواه الترمذي وابن ماجة وصححه الالباني).

الثلاثون: قال رسول الله ﷺ: " لا يدخل الجنة قاطع رحم " (متفق عليه).

الحادي والثلاثون: قال رسول الله ﷺ: " لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر " (صحيح روه أحمد والدارمي وصححه الشيخ في الصحيحة).

الثاني والثلاثون: قال رسول الله ﷺ: " صنفان من أمتي لن تناهم شفاعتي: سلطان ظلوم غشوش، وغال في الدين يشهد عليهم ويتبرأ منهم " (صحيح رواه الطبراني في الكبير، الصحيحة (٤٧٠)، وإذا لم تناهم الشفاعة فلا يدخلوا الجنة.

الثالث والثلاثون: عن النبي ﷺ قال: " لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال ذرة من كبر " (صحيح رواه مسلم وأبو داود والترمذي).

الرابع والثلاثون: قال رسول الله ﷺ: " لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم " (حسن روه أحمد وحسنه الالباني في الصحيحة).

الخامس والثلاثون: وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: " من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ".

السادس والثلاثون: روى الشيخان عن النبي ﷺ أنه قال: " من شرب الخمر في الدنيا يحرمها في الآخرة ". فعدم لبسه الحرير وشربه الخمر كناية عن عدم دخول الجنة لأن أهل الجنة لهم فيها ما تشتهيه أنفسهم وتلذ أعينهم فلا يحرمون من شيء فلا عقوبة فيها.

والروايات في ذلك كثيرة، تارة تعبّر بالخلود والتأبيد، وتارة تعبّر بالحرمان من الجنة، وكلها دالة على الخلود في النار لأهل الكبائر لأن الحرمان من الجنة ونفي دخولها لا يعني إلا الخلود في النار.

د: ورد لعن بعض مرتكبي الكبائر في القرآن والسنة، فمن ارتكب شيئا من الكبائر التي ورد فيها لعن ولم يتب خلد في النار، يقول سماحة الشيخ أحمد الخليلي: " اللعنة هي طرد من رحمة الله والمطرود من رحمة الله لا يعود إليها، ودخول الجنة لا يكون إلا برحمته تعالى، وكيف تجتمع الرحمة واللعنة في شخص بعينه؟! "[1].

السابع والثلاثون: قال رسول الله ﷺ: " لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط ، لعن الله من عمل عمل قوم لوط " (رواه أحمد).

الثامن والثلاثون: قال رسول الله ﷺ: " ومن أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدل " (صحيح رواه البخاري ومسلم وأبوداود).

التاسع والثلاثون: روى أبو داود إن رسول الله ﷺ قال: " لعنت الخمر بعينها، وشاربها، وساقيها، وبايعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها " (صحيح رواه أحمد وأبو دود وابن ماجة).

الأربعون: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم " (صحيح رواه أحمد والترمذي وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذيوصحيح ابن ماجة).

الحادي والأربعون: وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: " لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء " (رواه البخاري).

الثاني والأربعون: وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: " ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: هو المحلل، لعن الله المحلل والمحلل له " (رواه ابن ماجة والحاكم والبيهقي وصححه الشيخ في الأرواء).

أخي القارئ ألا يستوقفك هذا اللعن فتتفكر كيف توفق بين كونهم مطرودين من رحمة الله وبين القول بأنهم يحظون بشفاعة الرسول ﷺ ويسكنون الجنان؟

⇐ أليست هذه كبائر غير الشرك؟!

⇐ هل العقوبة على استحلالها دون فعلها؟!

---

[1] هذا جواب لسؤال وجهه لسماحته محمد بن سعيد المسقري نصه: هل في أحاديث اللعن دليل في مسألة خلود أهل الكبائر في النار؟

يقول العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار في الجزء الأول ص ١١٢:

" القاعدة السادسة: أن الجزاء على الإيمان والعمل معا لأن الدين إيمان وعمل ومن الغرور أن يظن من ينتمي إلى نبي من الأنبياء أن ينجوا من الخلود في النار بمجرد الانتماء، والشاهد عليه ما حكاه الله لنا عن بني إسرائيل من غرورهم في دينهم وما رد به عليهم حتى لا نتبع سنتهم: ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ "، وبعد ذلك يقول: " ولكننا قد اتبعنا سننهم شبرا بشبر وذراعا بذراع مصداقا لما ورد في الحديث الصحيح، وإنما نمتاز عليهم بأن المتبعين بعض الأمة لا كلها وبحفظ نص كتابنا كله وضبط سنة نبينا في بيانه وبيان حجة أهل العلم والهدى قائمة إلى يوم القيامة "[1].

⇐ وقد قال في تفسير آية الربا: " وقد أوّل المفسرون الخلود لتتفق مع المقرر في العقائد والفقه من كون المعاصي لا توجب الخلود في النار فقال أكثرهم: من عاد إلى أكل الربا واستباحته اعتقادا، ورده بعضهم بأن الكلام في أكل الربا، وما ذكر عند من جعله كالبيع هو بيان لرأيهم فيه قبل التحريم، فهو ليس بمعنى استباحة المحرم، فإذا كان الوعيد قاصرا على الاعتقاد فحسب فلا يكون هناك وعيد على الأكل بالفعل ".

⇐ ويتابع السيد محمد رشيد رضا: " والحق أن القرآن فوق ما كتب المتكلمون والفقهاء، يجب إرجاع كل قول في الدين إليه، ولا يجوز تأويل شيء منه ليوافق كلام الناس، وما الوعيد بالخلود هنا إلا كالوعيد بالخلود في قتل العمد، وليست هناك تسمية في اللفظ على إرادة الاستحلال ".

تنبيه

هذه الآيات والأحاديث تدل دلالة واضحة على عدم الشفاعة بالإضافة إلى دلالتها على الخلود، فنجد الآيات حكمت على المجرمين بالخلود في النار كما في آية الزخرف، وعلى العصاة كما في آية الجن، وعلى الفجار بعدم الغياب كما في آية الانفطار، وهذه الأوصاف

[1] تفسير المنار، ص: ١١٢، نقلا من موقف الإباضية من الخليفتين شريط مسجل لسماحة الشيخ أحمد الخليلي.

الثلاثة لاشك أنها أوصاف أهل الكبائر فبماذا يوصف أهل الكبائر إذا لم يوصفون بهذه الأوصاف؟! فهل يوصفون بالأبرار؟! والحكم عليهم بالخلود في النار يعني أنهم لم ينالوا شفاعة الرسول ﷺ.

⇐ بالإضافة إلى ما جاء من الحكم بالخلود على مرتكبي كبائر بعينها كالقاتل والزاني وتحريم الجنة على مدمن الخمر والديوث والعاق لوالديه ومن ورد عليهم اللعن وغيرهم، فهذا دال دلالة قاطعة على الخلود وعدم نيلهم شفاعة المصطفى ﷺ.

خامسا: مسألة الاستواء على العرش

تمسك الذين فسّروا الاستواء بالاستقرار بالآيات الست الواردة بلفظ الاستواء على العرش ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ (الأعراف: ٥٤).

واعترضوا: بأن الاستواء المذكور في الآيات لا يعني الاستقرار لعدة وجوه:

أولا: إنّ الله موجود قبل وجود العرش يعني أنه قبل وجود العرش غير مستقر عليه لأن العرش غير موجود، ومحال أن يقال أنه صار مستقرا على العرش بعد أن لم يكن كذلك لأن الله لا تغير في الحوادث شيئا سواء كان خلق العرش أو غيره.

ثانيا: إنّ العرش مكان والله منزه عن الافتقار للمكان.

ثالثا: لو كان مستقرا على العرش لكان العرش حاملا لله سبحانه والحامل أقوى من المحمول، تعالى الله عن ذلك.

رابعا: قد أخبر الله إن الملائكة تحمل العرش بقوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ (الحاقة:١٧)، فيكون الله محمولا من قبل الملائكة، تعالى الله عن ذلك.

وقد قال بعدم جواز تفسير الاستواء بالاستقرار كثير من العلماء ومن بينهم علماء أهل السنة كما نقلت ذلك في نفي العلوي الحسي، ومن العلماء الذين لم يفسروه بالاستقرار العلامة ابن عاشور حيث قال في تفسيره: " وأحسب أنّ استعارته تختلف بقرينة الحَرف الذي

يُعدّى به فعله، فإن عُدّي بحرف (على) كما في هذه الآية ونظائرها فهو مستعار من معنى الاعتلاء، مستعمل في اعتلاء مجازي يدلّ على معنى التّمكّن، فيحتمل أنّه أريد منه التّمثيل، وهو تمثيل شأن تصرّفه تعالى بتدبير العوالم، ولذلك نجده بهذا التّركيب في الآيات السّبع واقعاً عقب ذكر خلق السّماوات والأرض، فالمعنى حينئذ: خلقها ثمّ هو يدبّر أمورها تدبير المَلِك أمور مملكته مستوياً على عَرشه. وممّا يقرّب هذا المعنى قول النبي ﷺ: " يَقْبِض الله الأرضَ ويطوي السّماوات يومَ القيامة ثمّ يقول: أنا المَلِك أيْنَ ملوك الأرض ". ولذلكَ أيضاً عُقب هذا التّركيب في مواقعه كلّها بما فيه معنى التّصرف كقوله هنا (يغشى الليل النهار... إلخ)، وقوله في سورة يونس (٣): ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ﴾ ، وقوله في سورة الرّعد (٢): ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾، وقوله في سورة ألم السجدة (٤ ، ٥): ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾".

سادسا: مسألة المجيء والنزول المنسوب إلى الله

لا يمكن حمل المجيء والنزول على ظاهره لأن هذا من صفات الحوادث فلو كان يجيء ويذهب وينزل ويطلع كان مشابها للمخلوقات والله عز وجل يقول: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١ ﴾ (الشورى:١١).

فإن قيل إن الله وصف نفسه بالمجيء في سورة الفجر بقوله: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ (الفجر:٢٢)، والرسول ﷺ وصف الله بالنزول في الثلث الأخير من الليل.

قلنا إن العلماء فسّروا المجيء بمجيء أمر الله واستدلو بقوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ ﴾ (النحل:٣٣)، وهذا قول كثير من علماء المسلمين ومنهم الإمام أحمد.[١]

والنزول المذكور في الحديث لا يمكن تفسيره بالانتقال من علو إلى أسفل لعدة أسباب ذكرها بدر الدين بن جماعة الشافعي في كتاب إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ما نصه: " اعلم أن النزول الذي هو الانتقال من علو إلى أسفل لا يجوز حمل الحديث عليه لوجوه:

الأول: النزول من صفات الأجسام الحادثة ويحتاج إلى ثلاثة: منتقل ومنتقل عنه ومنتقل إليه وذلك على الله محال.

الثاني: لو كان النزول لذاته حقيقة لاحتاج إلى حركات عديدة تستوعب الليل كله وتنقلات كثيرة لأن ثلث الليل يتجدد على أهل الأرض مع اللحظات شيئا فشيئا فيلزم انتقاله في السماء الدنيا ليلا ونهارا من قوم إلى قوم وعودته إلى العرش في كل لحظة على قولهم ونزوله منها إلى السماء الدنيا ولا يقول ذلك ذو لب وتحصيل.

الثالث: أن القائل بأنه فوق العرش وأنه ملأه كيف تسعه السماء الدنيا وهي بالنسبة للعرش كحلقة في فلاة، فيلزم عليه أحد أمرين: أما اتساع السماء الدنيا كل ساعة حتى تسعه أو تضاؤل الذات المقدسة عن ذلك حتى تسعه، ونحن نقطع بانتفاء الأمرين".[٢]

فإذا امتنع تفسير النزول في حق الله تعالى بالانتقال من أعلى إلى أسفل تعين تفسيره بما يناسب تنزيه الله عز وجل، فيمكن أن يراد بالنزول نزول ملك ينزل بأمر الله فينادي كما تدل على ذلك رواية النسائي في السنن الكبرى (٦/١٢٤) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة أنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: " إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديا يقول هل من داع فيستجاب له؟ هل من مستغفر يغفر له؟ هل من سائل يعطى؟ ". والحديث الذي رواه أحمد والبزار والطبراني عن عثمان بن أبي العاص الثقفي قال: قال رسول الله ﷺ: "

---

[١] المقالات السنية، ص: ٧٣.

[٢] نقلا من المقالات السنية، ص: ٧٣.

تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مناد: هل من داع فيستجاب له؟ هل من سائل فيعطى؟ هل من مكروب فيفرج عنه؟ فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله عز وجل له إلا زانية تسعى بفرجها أوعشارا "، والعشار صاحب المكس.

ولا ينافي أن يفسر النزول بنزول ملك وهو منسوب إلى الله تعالى لأنه بأمر الله ويدل على جوازه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ (القيامة:١٨)، والمعروف أن الذي قرأه الملك ولكن ما دام بأمر الله نسبه الله سبحانه إليه.

ويمكن أن يكون كناية عن زيادة قبول الأعمال أكثر لما فيه من المطابقة بين القلب واللسان قال تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ ﴾ (المزمل: ٦)، فيكون تعبير النزول تقريب للأذهان. وقد مر في نفي العلو الحسي نفي مثل هذه الحركات عن الله تعالى.

الباب الثاني
الجانب السياسي

❁ **قول أهل السنة:** الخلافة تكون في قريش ولا يجوز الخروج على الحاكم ما لم يأت بكفر بواح ".

❁ **قول الإباضية:** يرى الإباضية أن إقامة الخلافة الإسلامية فرضٌ واجبٌ إذا كملت شروطها، ولا يشترطون القرشية، ولا يلجؤون إلى استخدام العنف، فلا يحملون سيوفهم ضد الناس بتهور، ولكنهم يعتمدون على الدعوة والإقناع؛ لأن هدفهم الأساسي هو إقامة شرع الله في الأرض، ولكن الصراع بين الحق والباطل هو سنة الله في أرضه جعله الله ابتلاء واختبارا لعباده المخلصين لدينه.

⇐ والإباضية عندما يرون أعداء الله متسلطين في الأرض بغير الحق وليس لهم القدرة على مقاومتهم لإظهار الحق يلجؤون إلى الكتمان وذلك بنشر الوعي الديني ليزيد حزب الله ويقاوم الفساد فإذا أنسوا من أنفسهم القوة وذلك بأن يكونوا نصف عدوهم بناء على

قوله تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ (الأنفال:٦٦)، في ذلك الحين يرى الإباضية أن ليس للمسلمين العذر في البقاء تحت إمرة الظلمة مع قدرتهم على مقاومة الظلم وإقامة العدل فيرون أن مبايعة خليفة للمسلمين يقوم بالعدل أمر واجب، يقول الإمام نور الدين السالمي – رحمه الله –:

إن الإمامة فرض حينما وجبت شروطها لا تكن عن شرطها غفلا [1]

⇐ ولقد لخص الشيخ علي يحيى معمر – رحمه الله – أهم أصول الإباضية السياسية [2] في النقاط التالية:

(١) عقد الإمامة فريضة بفرض الله الأمر والنهي والقيام بالعدل وأخذ الحقوق من مواضعها ووضعها في مواضعها ومجاهدة العدو، والدليل عليها من الكتاب والسنة والإجماع.

(٢) رئاسة الدولة الإسلامية (الخلافة) ليست مقصورة على قريش أو على العرب وإنما يراعى فيها الكفاءة المطلقة فإن تساوت الكفاءات كانت القرشية أو العروبة مرجحة.

(٣) لا يحل الخروج على الإمام العادل.

(٤) الخروج على الإمام الجائر ليس واجبا كما تقول الخوارج، وليس ممنوعا كما يقول الأشاعرة والسلفية وإنما هو جائز يترجح استحسان الخروج إذا غلب الظن نجاحه، ويستحسن البقاء تحت الحكم الظالم إذا غلب على الظن عدم نجاح الخروج أو خيف أن يؤدي إلى مضرة تلحق بالمسلمين أو تضعف قوتهم على الأعداء في أي مكان من بلاد الإسلام.

⇐ والإباضية عندما يتكلمون عن الأئمة الجورة لا يقصدون مخالفيهم فقط كما توحي به عبارات المؤرخين وكتاب المقالات، وإنما يقصدون أئمة الجور الذين انحرفوا عن حكم الله سواء كانوا من أتباع المذهب الإباضي أو من أتباع غيره، فالجور ليس له مذهب.

(٥) الإمام يُختار عن طريق الشورى واتفاق أغلبية أهل الحل والعقد.

(٦) الإمام هو المسئول عن تصرفات ولاته، ويستحسن له أن يستشير أهل الحل والعقد من أهل كل منطقة في تولية العمال عليهم وعزلهم عنهم.

---

[1] غاية المراد في الاعتقاد، العلاّمة نور الدين السالمي، ص: ٤٥.

[2] الإباضية مذهب إسلامي معتدل، الشيخ علي يحيى معمر، ص: ٢٥-٢٦.

(٧) لا يجوز أن تبقى الأمة الإسلامية دون إمام أو سلطان.

(٨) الحاكم الجائر يطالب أولا بالعدل فإن لم يستجب طولب باعتزال أمور المسلمين فإن لم يستجب جاز القيام عليه وعزله بالقوة ولو أدى ذلك إلى قتله إذا كان ذلك لا يؤدي إلى فتنة أكبر.

(٩) الحاكم الجائر سواء كان من الإباضية أو من غيرهم هو وأعوانه في براءة من المسلمين ومعسكره معسكر بغي.

(١٠) بلد المخالفين هم في المذهب بلد إسلام ولو كان سلطانهم جائرا.

(١١) لا يجوز الاعتداء على دولة مسلمة قائمة داخل حدودها إلا ردا لعدوان.

(١٢) يجوز أن تتعدد الإمامات في الأمة المسلمة إذا اتسعت رقعتها وبعدت أطراف البلاد عنها أو قطع بين أجزاءها عدو بحيث يعسر حكمها بنظام واحد أو يكون ذلك سببا لانهيارها وتشتت قواها وتعطل مصالح الناس فيها.

⇐ وهكذا لقد عمل الإباضية على تطبيق مبدأ وجوب إقامة الخلافة الإسلامية والذي يسمونها بالإمامة وهي عبارة عن قيادة دينية سياسية مأخوذة من قول الله تعالى لعبده إبراهيم – عليه السلام –: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (البقرة: ١٢٤)، أي قدوة وقائدا في الخير.

⇐ ولقد ابتدأت الخلافة الإسلامية عند الإباضية منذ القرن الثاني الهجري فقد بويع الإمام طالب الحق في اليمن عام ١٢٨هـ، كما بويع الإمام الجلندى بن مسعود في عُمان عام ١٣٢، وبويع الإمام أبو الخطاب المعافري عام ١٤٠ في طرابلس، ولقد بويع في عُمان وحدها أكثر من ستين إماما أقاموا شرع الله في أرضه.

يقول الشيخ ناصر بن سالم الرواحي – رحمه الله –:

تعاقبت خلفاء الله منصبها ... منذ الجلندى وختم الكل عزّان
أئمة حفظ الدين الحنيف بهم ... من يوم قيل لدين الله أديان
صيدٌ شراةٌ أباةُ الضيم أسد شرى ... شمس العزائم أواهون رهبان
سفن النجاة هداة الناس قادتهم ... طهر السرائر للإسلام حيطان
وقف على السنة البيضاء سعيهم ... وفي الجهادين إن عزوا وإن هانوا
ما زايلت خطوة المختار خطوهم ... ولا ثنى عزمهم نفس وشيطان

فجاهدوا واستقاموا في طريقته عزومهم لصروح الدين أركان [1]

ويقول الدكتور حسين عيد غانم غباش في كتابه: " عمان والديمقراطية الإسلامية " في مقدمة الكتاب: " ينم تأريخ عمان وثقافتها – وهما في الأكثر مجهولان – عن صنوف من الأصالة، ويفتحان على أبواب من الخصائص المميزة، فلقد التصق هذا التأريخ منذ القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ولفترة تزيد على ألف عام في جوهره بتأريخ حركة فريدة نشأت وازدهرت على خلفية مذهب إسلامي أقلي هو المذهب الإباضي، وانطبعت هذه الحقيقة بالسعي إلى تشييد إمامة عادلة وناجحة وفق النموذج الإباضي للدولة الإسلامية.

⇐ ولقد وجدت الحركة الإباضية هويتها العقائدية والفكرية في زمن مبكر، ومن خلال محافظتها على مبدأ الشورى والانتخاب الحر للأئمة مبدأ الإجماع والتعاقد يمكن أن تعد وأن تعد نفسها الوريث الحقيقي لتقاليد الخلفاء الراشدين (١١هـ-٦٣٢م/٤٠هـ-٦٦١م)، وبشكل خاص الفترة الأولى من فترة أبي بكر وعمر بن الخطاب – رضي الله عنهما –.

⇐ تعد دولة الخلافة هذه الفترة المثالية والنموذجية للدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول ﷺ، وتمثل هذه الفترة بالنسبة للإباضية وغيرهم المرجعية الإسلامية الوحيدة، ومنها استلمت الحركة الإباضية رؤيتها وشرعيتها ومبادئها وقوانينها الدستورية وكل ذلك في سبيل إقامة الدولة والمجتمع الإسلاميين المثاليين من خلال تشييد نظام الإمامة ".

شروط الإمام

وفق الدستور الإباضي يجب على الإمام أن يكون عادلا حكيما شجاعا شريفا قادرا على نشر العدالة بين الناس والسهر على حقوقهم ومصالحهم، وأن يحكمهم بالعدل التام حسب الشريعة الإسلامية، ولا ينبغي أن يكون الإمام حسودا ولا حقودا ولا بخيلا ولا متعجلا ولا مبذرا ولا غدّارا، ويجب ألا يكون ماكرا ولا مقعدا ولا أعمى ولا أبكم ولا أصم ". [2]

---

[1] ديوان أبي مسلم، الشيخ ناصر بن سالم الرواحي، ص: ٣٠٢.

[2] المصنف، أحمد بن عبد الله الكندي، ج١٠، ص: ٣٩-٦٣، نقلا من كتاب عمان والديمقراطية للدكتور حسين عبيد غانم غباش، ص: ٧٠.

⇐ يقول الإمام الشاري إبراهيم بن قيس الحضرمي يصف الهدف الذي قامت الإمامة من أجله:

والله لا أشرا قـمنا ولا بـطرا   لا ولا طلبـا ملـكا وعـدوانا
لكن كقدوتنا بالعـدل إذ نبـذت   آيات خـالقنا والحـق قـد بانا
شكرا لخالقنا إذ نحن ليس كمن   ضل السبيل ورام المـلك طغيانا
إن الإله هدانا جلّ جـلّ إلـى   أهدى الهداية والعرفـان عرفانا
إنا نقول بحكـم الله قـد شهدت   كل البـرية فـي التحكيم قتلانا
إنا على بصر من ديننـا وعلى   قصد السبيل أخو العـدوان يلقانا
إنا نحث على مرضـاة خـالقنا   دينا ونخلع من قـد رام عصيانا
إنا نميز مـا بيـن الولـي وما   بين العدوّ كما قـد قـال مولانا
لم يرض أولـنا قدمـا مداهنة   في دينهم وكـذا لم نرض إدهانا[1]

⇐ ولقد كان الأئمة يأخذون العهود على ولاتهم وقضاتهم لإقامة العدل، ولقد اخترت نقل بعض الأبيات عن الإمام الشاري إبراهيم بن قيس الحضرمي لولاته وقضاته حيث قال:

نظمت لكم عهدا فلا بـد مـن عهد   يكـون إلـى قاض ووال عـلى الجند
ليحمـل كـل مـا تحمـل مشـفقا   ويعلـم أن الله لا غـيـره قـصـدي
فمن منهمـا خـان الإلـه عـزلته   ومن لم يخن عهدا شددت بـه عضدي
وما أنـا إلا ناقـض العهـد خـائن   إذا لم أزل من خان ممن ولـى عهدي
على الناس عصياني وإسقاط حرمتي   إذا لم أطع ذا العرش أو لم أصن عقدي
فيا أيهـا القاضـي نصبـت لمعظم   من الأمر فانظر ما تعيـد ومـا تبدي
نصبت ومن ينصب لحكم القضا فقد   تنصـب للبـلـوى علـى خـطر أد
حملت أمانات فكـن مـن حسابـها   على وجـل واذكـر منـاقشـة الفرد
فإن السما والأرض أعرضـن خيفة   وأشفقن من حمـل الأمانـة والعـهد
فخـذ بكـتـاب الله واقتـد بأحـمد   وأتباعه ترشـد وترشـد إلـى الرشد

[1] ديوان السيف النقاد، مرجع سابق، ص: ١٣٤.

وما غاب من علم عليك فإنه — إلى العلما بالله بالله فاستهد
ولا تقض إلا عن فراغ وخلوة — عن الملل المذموم والغضب المردي
وواس بعينيك الخصوم ملاحظا — وساو سواء مجلس الحر والعبد
وأطرق إذا جاءتك حجة مدع — قليلا كذا أطرق إذا احتج ذو الجحد
ولا تتهم خصما لخصم ولو بدا — لوهمك وهم من سديد ولا وغد

وقال:

ويا أيها الوالي جعلتك واليا — على طاعة الرحمن والمصطفى النجدي
وللأمر بالمعروف والنفي للأذى — وإخماد نار الجور والقمع للضد
وترك الهدايا والتجارة إنها — تبث على الوالي أذى العزل والطرد
ولطفك والإحسان بالناس كن بهم — رؤوفا لطيفا بالمشيب وبالمرد[1]

الباب الثالث

بعض مسائل الخلاف الفقهية

مسألة صلاة السفر

❁ اختلف العلماء في هذه المسألة في عدة جوانب:

(١) في القصر هل هو واجب أم رخصة والتمام أفضل.

(٢) في مسافة القصر التي يجب القصر عند بلوغها.

(٣) في مدة القصر في السفر التي يجب فيها القصر.

⇐ يرى الإباضية أن القصر واجب على كل من يتجاوز مسافة القصر وهي ما بين المدينة المنورة وذي الحليفة وقدّرت بفرسخين أو ١٢كم، ومدة السفر إلى أن يعود إلى بلده.

---

[1] ديوان السيف النقاد، الإمام إبراهيم بن قيس الحضرمي، ص: ١٩.

⇐ والقول بوجوب القصر لم ينفرد به الإباضية وحدهم، قال الخطابي في المعالم: وكان مذهب أكثر علماء السلف وفقهاء الأمصار على أن القصر هو الواجب في السفر وهو قول علي وعمر وابن عباس وروي ذلك عن عمر بن عبد العزيز وقتادة والحسن، وقال حماد بن سليمان: يعيد من صلى في السفر أربعا[1].

⇐ **وهذا القول يستند على أدلة قاطعة لا تقبل الشك:**

أولا: إن رواة السير والحديث أجمعوا أن رسول الله ﷺ لم يتم في سفر قط.

ثانيا: إن رسول الله ﷺ قال: " صلوا كما رأيتموني أصلي "، وقد نقل إلينا أصحابه – رضوان الله عليهم – أنهم رأوه يصلي في الحضر الظهر والعصر والعشاء أربعا وفي السفر ركعتين، وأنهم صلوا وراءه كذلك ولم يتم في سفر قط، وما كان لنا أن نخالف رسول الله ﷺ فيما شرع لنا ولو كان هناك حكم آخر لبينه لنا رسول الله ﷺ إذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

ثالثا: إن هناك أحاديث صحيحة تبين أن الصلاة فرضت ركعتين وبعضها يبين أن الإتمام في السفر كالقصر في الحضر.

⇐ **وإليك هذه الأدلة لتطمئن إلى صحة ما قلناه:**

(١) قد فرضت الصلاة ركعتين ركعتين بمكة فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة زاد مع كل ركعتين ركعتين إلا في المغرب فإنها وتر النهار وصلاة الفجر لطول قراءتها وكان إذا سافر صلى الصلاة الأولى. (رواه ابن خزيمة وأحمد والبيهقي وابن حبان من طريق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما).

(٢) فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر. (رواه الربيع ومسلم عن أم المؤمنين عائشة).

(٣) فرضت الصلاة ركعتين ثم هاجر ففرضت أربعا وتركت صلاة السفر على الأول. (رواه البخاري وأحمد)، وزاد أحمد إلا المغرب فإنها كانت ثلاثا.

(٤) " فرض الله الصلاة في السفر ركعتين وفي الحضر أربعا " (رواه مسلم والجصاص).

---

[1] نيل الأوطار، الشوكاني، ج٤، ص: ١١٤.

(٥) " فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة " (أخرجه مسلم والنسائي وأبو داود).

(٦) " صلاة السفر ركعتان وصلاة الأضحى ركعتان وصلاة الفطر ركعتان وصلاة الجمعة ركعتان تمام غير قصر على لسان محمد ﷺ ". (رواه أحمد والنسائي وابن ماجه).

(٧) " على المقيم سبع عشرة ركعة وعلى المسافر إحدى عشرة ركعة ". (رواه الربيع بن حبيب).

(٨) " صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر". (أخرجه الطبراني عن ابن عمر في الكبير برجال الصحيح).

(٩) " من صلى في السفر أربعا كمن صلى في الحضر ركعتين " (رواه أحمد).

(١٠) قال قتادة: سمعت موسى بن سلمة قال: سألت ابن عباس فقلت: إني أكون بمكة فكيف أصلي؟ قال: " ركعتين سنة أبي القاسم ﷺ " (رواه البيهقي).

(١١) " قال ابن عمر: صلاة السفر ركعتان نزلت من السماء فإن شئتم فردوهما " (رواه الطبراني).

(١٢) " كان ﷺ إذا خرج من بيته مسافرا يصلي ركعتين ركعتين حتى يرجع ". (رواه البيهقي عن ابن عباس).

(١٣) قال عمران بن الحصين: " ما سافر رسول الله ﷺ سفرا إلا صلى ركعتين حتى يرجع، ويقول: " يا أهل مكة قوموا فصلوا ركعتين، وأتى الجعرانة فاعتمر فيها، وحججت مع أبي بكر – رضي الله عنه – فصلى ركعتين، واعتمرت مع عثمان فصلى ركعتين ركعتين صدرا من إمارته ثم صلى عثمان أربعا " (وروي الحديث من عدة طرق وبألفاظ مختلفة وهذه رواية البيهقي).

(١٤) " صلاة المسافر ركعتان حتى يؤوب إلى أهله أو يموت " (رواه الخطيب والجصاص).

(١٥) " قال ابن عمر صحبت رسول الله ﷺ فكان لا يزيد في السفر على ركعتين وأبا بكر وعمر وعثمان كذلك " (أخرجه البخاري ومسلم وأحمد).

(١٦) أقام رسول الله ﷺ مددا مختلفة في أماكن مختلفة وفي كل ذلك يقصر الصلاة [1].

[1] انظر أحكام السفر في الإسلام، الشيخ علي يحيى معمر، ص: ٢٦-٢٩.

(١٧) وعن ابن عمر قال: " إن رسول الله ﷺ أتانا ونحن ضلال فعلمنا، فكان مما علمنا أن الله – عز وجل – أمرنا أن نصلي ركعتين في السفر" (رواه النسائي).

وقد احتج القائلون بأن القصر رخصة ببعض الأدلة:

(١) قوله تعالى: ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (النساء:١٠١)، قالوا إن عدم نفي الجناح لا يدل على العزيمة وإنما على الرخصة.

⇐ **وأجيب:** (بأن هذا النقاش كان في زمن الصحابة – رضوان الله عليهم – حيث أخرج مسلم عن يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب: " ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا " فقد أمن الناس؟! فقال – أي عمر –: عجبتُ مما عجبتَ منه فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: " صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته "، إن الآية نزلت في صلاة الخوف لا في صلاة السفر فأشكلت على الصحابة فسألوا رسول الله ﷺ فأجابهم بحكم صلاة السفر وقال إنها صدقة من الله، نعمة من نعمه الكثيرة التي يجب شكرها، وقد خشي رسول الله ﷺ أن يظن أن القصر رخصة فأصدر أمره بقبول حكم الله – فاقبلوا صدقته – والأمر للوجوب.

⇐ ورفع الحرج في الآية يعني التطمين والإيناس لأنهم يصلون الظهر والعصر والعشاء رباعية في الوطن فظنوا أن القصر رخصة فبينت لهم الآية أنه ليس رخصة وأن هذا شرع الله ولا إثم فيه، والشاهد على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (البقرة:١٥٨).

⇐ فقد جاءت الآية للتطمين والإيناس فقد سبق في أذهان الناس أن السعي بين الصفا والمروة من أعمال الجاهلية لأنهم كانوا يطوفون حول الصنمين أساف ونائلة فتحرجوا من ذلك فبين الله لهم أن السعي فريضة لا حرج فيه [١].

⇐ **وقد أورد الشوكاني حججهم ورد عليها حيث قال:**

---

[١] أحكام السفر في الإسلام، مرجع سابق، ص: ٣٧.

" والحجة الثانية قوله ﷺ: " صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته " فإن الظاهر من قوله صدقة إن القصر رخصة فقط.

⇐ وأجيب: بأن الأمر بقبولها يدل على أنه لا محيص عنها وهو المطلوب. والحجة الثالثة: ما في صحيح مسلم وغيره أن الصحابة كانوا يسافرون مع رسول الله ﷺ فمنهم القاصر ومنهم المتم ومنهم الصائم ومنهم المفطر لا يعيب بعضهم على بعض"، كذا قال النووي في شرح مسلم ولم نجد في صحيح مسلم قوله فمنهم القاصر ومنهم المتم، وليس فيه إلا أحاديث الصوم والإفطار، وإذا ثبت ذلك فليس فيه أن النبي ﷺ اطلع عليهم وأقرهم عليه، وقد نادت أقواله وأفعاله بخلاف ذلك، وقد تقرر إن إجماع الصحابة في عصره ﷺ ليس حجة والخلاف بينهم مشهور بعد موته.

والحجة الرابعة: ما روي عن عائشة قالت: خرجت مع النبي ﷺ في عمرة رمضان فأفطر وصمت وقصروا وأتممت، فقلت بأبي وأمي أفطرت وصمت وقصرت وأتممت فقال: أحسنت يا عائشة " (رواه الدار قطني وقال: إسناده حسن).

⇐ قال ابن حزم: هذا حديث لا خير فيه وطعن فيه، ورد عليه ابن النحوي قال في الهدي بعد ذكره لهذا الحديث " وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول هذا حديث كذب على عائشة، ولم تكن عائشة لتصلي بخلاف صلاة الرسول ﷺ وسائر الصحابة وهي تشاهدهم يقصرون ثم تتم وحدها بلا موجب، وكيف وهي القائلة: فرضت الصلاة ركعتين فزيدت في صلاة الحضر وأقرت صلاة السفر، فكيف تزيد على فرض الله وتخالف رسول الله وأصحابه؟!

⇐ ويقول الشوكاني بعد ذلك: " وقد لاح من مجموع ما ذكرناه رجحان القول بالوجوب، وأما دعوى التمام أفضل فمدفوعة بملازمته ﷺ للقصر في جميع أسفاره، وعدم صدور التمام عنه كما تقدم، ويبعد أن يلازم ﷺ طول عمره المفضول ويدع الأفضل "[1].

[1] نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، ج٤، ص: ١١٦-١١٧.

وأما في مقدار المسافة التي يقصر فيها الصلاة فقد اختلف العلماء في ذلك فذهب ابن حزم إلى أقل مسافة وهو ميل واحد، وقال البعض ثلاثة أميال، وذهب البعض إلى اشتراط السفر الطويل وأقله مرحلتان عند البعض وثلاث مراحل عند البعض الآخر.

⇐ وقال الإباضية المسافة التي يجب فيها القصر فرسخان محتجين بما رواه أنس قال: " صليت مع رسول الله ﷺ الظهر بالمدينة أربعا وصليت معه العصر بذي الحليفة ركعتين " (متفق عليه).

⇐ ومما يدل على وجوب القصر في السفر القصير ما روي عن شعبة بن يحيى بن يزيد الهنائي: سألتُ أنسا عن قصر الصلاة فقال: " كان رسول الله ﷺ إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين " (شعبة الشاك رواه أحمد ومسلم وأبو داود).

⇐ قال في الفتح وهو أصح حديث ورد في ذلك وأصرحه، وقد حمله من خالفه على أن المراد المسافة التي يبدأ منها القصر لا غاية السفر، قال: ولا يخفى بعد هذا الحمل مع أن البيهقي ذكر في روايته من هذا الوجه أن يحيى بن يزيد راويه عن أنس قال: سألت أنسا عن قصر الصلاة وكنت أخرج إلى الكوفة يعني من البصرة فأصلي ركعتين ركعتين حتى أرجع فقال أنس: فذكر الحديث، قال: فظهر أنه سأله عن جواز القصر في السفر لا عن الموضع الذي يبتدأ منه القصر[1].

⇐ وأما الذين اشترطوا السفر الطويل فقد أورد الرد عليهم سيد سابق حيث قال: " وأما ما ذهب إليه الفقهاء من اشتراط السفر الطويل وأقله مرحلتان عند البعض وثلاث مراحل عند البعض الآخر فقد كفانا مؤنة الرد عليهم الإمام أبو القاسم الخرقي قال في المغني: قال المصنف: ولا أدري لما صار إليه الأئمة حجة؛ لأن أقوال الصحابة متعارضة مختلفة ولا حجة فيها مع الاختلاف، فقد روي عن عمر وابن عباس خلاف ما احتج به أصحابنا، ثم لو لم يوجد ذلك لم يكن في قوله حجة مع قول النبي ﷺ وفعله "[2].

---

[1] نيل الأوطار، مرجع سابق، ص: ١٢٢.

[2] فقه السنة، سيد سابق، ص: ٢١٢.

فتبين أن القول بوجوب القصر في السفر القصير والذي بينه الحديث بالمسافة من المدينة إلى ذي الحليفة وقاسه العلماء فوجدوه ١٢كم هو الصحيح، وأن القول باشتراط السفر الطويل لا يستند إلى دليل.

❁ وفي مدة القصر اختلف العلماء إلى أقوال كثيرة فمنهم حدده بثلاثة أيام، ومنهم من قال ولو إلى سنين، ومنهم من قال غير ذلك.

⇐ وقال الإباضية بأن مدة القصر ما دام مسافرا، وقد قال بهذا القول الصنعاني في سبل السلام وسيد سابق وابن القيم حيث يرى إن الإقامة لا تخرج عن حكم السفر طالت أم قصرت ما لم يستوطن المكان الذي أقام فيه.

⇐ ولهذا القول أدلة كثيرة من هدي الرسول ﷺ وهدي أصحابه، فقد جاء عن الرسول ﷺ:

(١) " عن أبي هريرة أنه صلى مع الرسول ﷺ إلى مكة في المسير والمقام بمكة إلى أن رجعوا ركعتين ركعتين " (رواه أبو داود الطيالسي في مسنده).

(٢) وعن يحيى بن إسحاق عن أنس قال: " خرجنا مع النبي ﷺ من المدينة إلى مكة فصلى ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة، فقلت: أفأقمتم بها شيئا؟ قال: أقمنا بها عشرا " (متفق عليه).

(٣) عن جابر قال: " أقام النبي ﷺ بتبوك عشرين يوما يقصر الصلاة " (رواه أحمد وأبو داود).

(٤) وعن عمران بن حصين قال: " غزوت مع النبي ﷺ وشهدت معه الفتح فأقام بمكة ثماني عشرة ليلة لا يصلي إلا ركعتين يقول يا أهل البلد صلوا أربعا فإنا سفر " (رواه أبو داود).

(٥) عن ثمامة بن شرحبيل قال: " خرجت إلى ابن عمر فقلت: ما صلاة المسافر؟ فقال: ركعتين ركعتين إلا صلاة المغرب ثلاثا، قلت: أرأيت إن كنا بذي المجاز؟ قال: وما ذي المجاز؟ قلت: مكان نجتمع فيه ونبيع فيه ونمكث عشرين ليلة أو خمس عشرة ليلة، فقال: يا أيها الرجل: كنت بأذربيجان لا أدري قال أربعة أو شهرين فرأيتهم يصلون ركعتين ركعتين " (رواه أحمد).

(٦) " صلاة المسافر ركعتان حتى يؤوب إلى أهله أو يموت " (رواه الخطيب والجصاص).

⇐ وأما هدي أصحابه ﷺ فقد أورده سيد سابق في كتابه فقه السنة [1] حيث قال:

⇐ وقال نافع: " أقام ابن عمر بأذربيجان ستة أشهر يصلي ركعتين وقد حال الثلج بينه وبين الدخول ".

⇐ وقال حفص بن عبيد الله: " أقام أنس بن مالك بالشام سنتين يصلي صلاة المسافر ".

⇐ وقال أنس: " أقام أصحاب النبي ﷺ برام هرمز سبعة أشهر يقصرون الصلاة ".

⇐ وقال الحسن: " أقمت مع عبدالرحمن بن سمرة بكابل سنتين يقصر الصلاة ولا يجمع ".

⇐ وقال إبراهيم: " كانوا يقيمون بالري السنة وأكثر من ذلك و بسجستان السنتين "، فهذا هدي النبي ﷺ وأصحابه كما ترى وهو الصواب. ففي هدي رسول الله ﷺ النجاة وأما التقليد الأعمى فهو سبيل ضعاف الإيمان.

⇐ وأما مذهب الناس فقال الإمام أحمد: إذا نوى إقامة أربعة أيام أتم وإن نوى دونها قصر، وحمل هذه الآثار على أن رسول الله ﷺ لم يجمعوا الإقامة البتة بل كانوا يقولون: اليوم نخرج غدا نخرج.

⇐ ففي هذا نظر لا يخفى فإن رسول الله ﷺ فتح مكة وهي ما هي وأقام فيها يؤسس قواعد الإسلام ويهدم قواعد الشرك ويمهد أمر ما حولها من العرب، ومعلوم قطعا أن هذا يحتاج إلى إقامة أيام ولا يتأتى في يوم واحد ولا يومين، وكذلك إقامته بتبوك فإنه أقام ينتظر العدو، ومن المعلوم قطعا أنه كان بينه وبينهم عدة مراحل يحتاج إلى أيام وهو يعلم أنهم لا يوافون في أربعة أيام، وكذلك إقامة ابن عمر بأذربيجان ستة أشهر يقصر الصلاة من أجل الثلج، ومن المعلوم أن مثل هذا الثلج لا يتحلل ولا يذوب في أربعة أيام بحيث تفتح الطرق، وكذلك إقامة أنس بالشام سنتين يقصر، وإقامة الصحابة برام هرمز سبعة أشهر يقصرون، ومن المعلوم أن مثل هذا الحصار والجهاد لا ينقضي في أربعة أيام، وقد قال أصحاب أحمد: إنه لو أقام لجهاد عدو أو حبس سلطان أو مرض قصر سواء غلب على ظنه انقضاء الحاجة في مدة يسيرة أو طويلة، وهذا هو الصواب، لكن شرطوا فيه شرطا لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا عمل الصحابة فقالوا، شرط ذلك احتمال انقضاء الحاجة في المدة التي لا تقطع حكم السفر

---

[1] فقه السنة، سيد سابق، ج ١، ص: ٢١٤.

وهي ما دون الأربعة أيام، فقال: من أين لكم هذا الشرط والنبي ﷺ لما أقام زيادة على أربع يقصر الصلاة بمكة وتبوك لم يقل لهم شيئا ولم يبين لهم أنه لم يعزم على إقامة أكثر من أربعة أيام وهو يعلم أنهم يقتدون به في صلاته، ويتأسون به في قصرها في مدة إقامته فلم يقل لهم حرفا واحدا لا تقصروا فوق إقامة أربع ليال، وبيان هذا من أهم المهمات، وكذلك اقتداء الصحابة به بعده ولم يقولوا لمن صلى معهم شيئا من ذلك ".

مسألة التسليم في الصلاة هل واحدة أم اثنتان

اختلف العلماء في ذلك، يقول الإمام السالمي:

وسلمن يمنة ويسرى تسليمتين والشهير وترا

فالقائلون بالتسليمتين يحتجون بما رواه ابن مسعود أن النبي ﷺ كان يسلم عن يمينه وعن يساره: السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله، حتى يرى بياض خده " (رواه الخمسة وصححه الترمذي). وعن عامر بن سعيد عن أبيه قال: " كنت أرى النبي ﷺ يسلم عن يمينه وعن يساره حتى يرى بياض خده " (رواه أحمد ومسلم والنسائي).

واحتج القائلون بالتسليمة الواحدة بما روي عن هشام عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة قالت: " كان رسول الله ﷺ إذا أوتر بتسع ركعات لم يقعد إلا في الثامنة فيحمد الله ويذكره ويدعو ثم ينهض ولا يسلم ثم يصلي التاسعة فيجلس فيذكر الله ويدعو ثم يسلم تسليمة يسمعنا ثم يصلي ركعتين وهو جالس " (رواه أحمد والنسائي)، وفي رواية أحمد: " ثم يسلم تسليمة واحدة السلام عليكم يرفع بها صوته حتى يوقظنا ". وعن ابن عمر قال: " كان رسول الله ﷺ يفصل بين الشفع والوتر بتسليمة واحدة يسمعناها " (رواه أحمد). وعن أنس عند أبي شيبة أن النبي ﷺ سلم تسليمة واحدة، وعن الحسن مرسلا أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يسلمون تسليمة واحدة " ذكر ذلك أبو شيبة " [1].

---

[1] نيل الاوطار، مرجع سابق،، ص: ١٨٦.

أدلة استقامة الإباضية

إن قول الإباضية بأنهم أهل الحق والاستقامة ليس مجرد دعوى وإنما تؤيده عدة أدلة يدركها من حرّر نفسه من ربقة التعصب، ومن هذه الأدلة:

أولا: اتصال أصولهم بالصحابة - رضوان الله عليهم -: فإمامهم جابر بن زيد - رضي الله عنه - أخذ العلم من صحابة رسول الله ﷺ،حيث التقى بسبعين بدريا فحوى ما عندهم إلا البحر، يقول نور الدين السالمي:

سبعين بدريا حوى ما عندهم جابرنا وقد حوى وقد علم

وهو ثقة لدى الجميع وأحد كبار فقهاء التابعين وأحد الرؤوس الذي يرجع إليهم في تفسير القرآن الكريم.

ثانيا: اعتماد عقيدتهم على قطعي الثبوت: لا تعتمد العقيدة عند الإباضية على تفسير لقول فلان هل قال كذا أو يعني كذا، أو على الأحاديث الموضوعة كما فعلت المجسمة، ولا على الأحاديث الآحادية، فحديث الآحاد لا يأخذون به في الاعتقاد إلا إذا كان موافقا للمقطوع بثبوته وأما إذا كان مخالفا أوّل بما يتناسب مع المقطوع بثبوته، وأما إن كان معارضا فلا يؤخذ به، والمسائل التي خالف فيها الإباضية مبنية على هذا الأساس، وقد أوضحت ذلك كل في بابه، ولكن لا بأس أن أذكر ببعض الأدلة:

ففي مسألة الرؤية يقولون لا تدركه الأبصار حسب قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ (الأنعام:١٠٣). وتفسيرهم لعدم الإدراك بعدم الرؤية هو المتفق مع ما جاء في الصحاح، وكيف يمكن تغير دلالة آية محكمة من النفي إلى الإثبات بالاعتماد على تفسير لا يتفق مع ماجاء في اللغة، وعلى أحاديث آحادية.

وأما قولهم بخلق القرآن فقد وجدوا أن الله سبحانه وتعالى وصف القرآن بتسعة أوصاف للحدوث منها: محدث، ومحكم، ومفصل، ومجيئ به، ويقع عليه النسخ، ومنزل، ومحفوظ، ومجعول، وحال في اللوح محفوظ، وهذه كلها تأثيرات مسبوقة بفعل المؤثر.

وأما قولهم بعدم الشفاعة لأهل الكبائر، وبخلودهم في النار، فقد ذكرت فيما سبق أكثر من أربعين دليلا من القرآن والسنة في ذلك.

ثالثا: بعدهم عن التشبيه: فهم بعيدون كل البعد عن أقول المشبهة التي وصفت المولى بصفات الخلق.

رابعا: بعدهم عن التعطيل: فهم يثبتون جميع صفات الله سبحانه وتعالى، وأما تأويلهم لما يوهم التشبيه فهو تتريه مبني على قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ (الشورى:١١)، وعلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ١٥﴾ (فاطر:١٥)، وهم لم ينفردوا به، فهذا الفخر الرازي يقول: إن جميع فرق الإسلام مقرة بأنه لا بد من التأويل في بعض ظواهر القرآن والأحاديث.

خامسا: بعدهم عن عقائد اليهود، مع أن بعض الفرق التي تدعي أنها المحقة لم تسلم من ذلك، ذكرت ذلك في باب: " الفرق بين الإباضية والخوارج ".

سادسا: وحدة أقوالهم في مسائل العقيدة، حتى في المسائل الخلافية، ففي نفي الرؤية مثلا لهم قول واحد، وكذلك في عدم الخروج من النار والشفاعة وغير ذلك، بينما لا تجد هذا الاتفاق في الفرق الأخرى، فالمثبتون للرؤية من أهل السنة لهم في الرؤية عدة أقوال وفي قدم القرآن عشرات الأقوال وفي الخروج من النار أكثر من قول، مع أن العقيدة ليس فيها اجتهاد فالحق واحد.

سابعا: قوة أقوالهم فليس هناك مسألة في العقيدة إلا ولها أساس من القرآن والسنة ولم يستطع المخالفون نقض تأويلهم لها، بينما نرى أن لدى المخالفين أقوال تناقض القرآن كما بينت ذلك، ويرفضون الحوار باستمرار مدعين أن ذلك إظهار للباطل، وفي الحقيقة هو إفلاس من الحجة.

ثامنا: بعدهم عن البدعة: فهم يقتصرون على التلقي من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وأي قول يخالف القرآن أو السنة لا قيمة له، وقد أوضحت ذلك بما فيه الكفاية في باب اتهام الإباضية بالبدعة والتقليد، ولا بأس أن أذكّر هنا بقول نور الدين السالمي:

فالأصل للفقه كتاب الباري   إجماع بعد سنة المختار

والاجتهاد عند هذي منـــعا وهالك من كان فيها مبدعا

ولا شك أنهم يقولون بالإجماع والقياس الصحيح والاستصحاب والعرف، أما مخالفوهم دائما يرددون أن الإباضية أهل بدعة، ولم يذكر المخالفون في كتبهم عن الإباضية بدعة محددة فهو اتهام ما له أصل على أرض الواقع.

تاسعا: إنها الفرقة التي أقامت الخلافة الإسلامية لإقامة شرع الله في أرضه حيثما وجدت هذه الفرقة في عمان والمغرب واليمن.

ففي عمان وحدها بويع بالخلافة أكثر من ستين إماما بيعة على مبدأ الشورى والتعاقد على نهج الخلفاء الراشدين، وليس هذا ادعاء فقط وإنما هو حقيقة واقعة، ابحث عن سيرهم هل تجدهم قصّروا في شيء من شرع الله من إقامة حدود وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وغير ذلك؟ هل تجد عندهم الإقطاعيات؟ هل تجدهم يقيمون السهرات الماجنة مثل من تدعوهم الفرق الأخرى بالخلفاء من عباسيين وأمويين وعثمانيين وغيرهم؟

- ⇐ انظر عهودهم إلى جيوشهم مثل عهد الإمام الصلت بن مالك لجيشه الذي أرسله لمقاتلة النصارى في سقطرى والذي ركّز فيه على تحذير الجيش من عصيان الله وحثهم على المعاملة الحسنة ورسم لهم الخطوط العريضة التي يتبعونها في نهجهم مع أهل سقطرى أكثر من تركيزه على المكاسب العسكرية. وانظر عهود الأئمة إلى ولاتهم تدلك على سيرتهم.
- ⇐ ومن جهة أخرى هل يُعقل أن تكون الفرقة الناجية من الفرق التي لم تقم الخلافة الإسلامية لإقامة شرع الله على مر العصور؟! بل تحمي الظلمة والمتسلطين بقولها لا يجوز الخروج عليهم.

عاشرا: بعدهم عن الكذب عموما وعلى رسول الله ﷺ خصوصا، فهم أبعد ما يكون عن وضع الأحاديث.

الحادي عشر: طهارة أدبهم من الانحلال: يقول سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي: " قد صان الله تعالى أدب أصحاب العقيدة الحقة من الانحلال بما رسخ في نفوسهم مما جاء به القرآن الكريم؛ من أبدية عذاب أهل الكبائر المصرين كأبدية ثواب المطيعين المحسنين، كما صان الله سلوكهم، وطهر وجدانهم، وسلّم سرائرهم من الاستهانة بحرمات الله تعالى، والاستخفاف

بأحكامه الزاجرة، ولو قلّبت صفحات أدبهم لوجدهم - في شعرهم ونثرهم - كما يقول الأستاذ أحمد أمين: " لا يعرفون خمرا ولا مجونا، فلا تجد في أدبهم خمرا ولا مجونا "[1].

ومن أمعن النظر في أحوال الناس يتبين له أن اعتقاد انتهاء عذاب العصاة إلى أمد، وانقلابهم بعده إلى النعيم جرّأ هذه الأمة - كما جرّأ اليهود من قبل - على انتهاك حرم الدين، والتفصي عن قيود الفضيلة، والاسترسال وراء شهوات النفس، واقتحام لجج أهوائها.

ولا أدل على ذلك من ذلك الأدب الهابط الذي يصور أنواع الفحشاء، ويجليها للقرّاء والسامعين في أقبح صورها وأبشع مظاهرها، وقد انتشر هذا الأدب في أواسط القائلين بالعفو عن أهل الكبائر أو انتهاء عذابهم إلى أمد انتشارا يزري بقدر أمة القرآن، وغلب على المؤلفات الأدبية، مطولاتها ومختصراتها، كالأغاني، ومحاضرات الأدباء، والعقد الفريد، حتى كاد الأدب يكون عنوانا على سوء الأدب.

واسمح لي أخي القارئ الكريم - الكلام لسماحة الشيخ - أن أقول كلمةً - والألم يعتصر قلبي، والأسف يلهب وجداني - إن مما يضاعف المصيبة ويكثف البلاء أن توجد صور من الخلاعة المستهترة، والمجون الساقط، مثبتة في تراجم رجال يعدون قمما في أمة الإسلام، هم أجدر الناس بتجسيد فضائل الدين، والتحلي بمثله والاعتزاز بآدابه، وقد ضربت صفحا عن الإشارة على بعض هؤلاء بالأسماء أو الكنى حرصا على السلامة من مزالق القول وصونا لأعراض المسلمين، وحفاظا على حرماتهم. وإني لأبرأ من إقرار ما نُسب إليهم، فإن من مبادئنا احترام حرمات جميع المسلمين، خواصهم وعوامهم، فضلا عن علمائهم الذين زادهم الله حرمة العلم مع حرمة الاسلام.

ولكنني أقول إن نفس الاجتراء على نسبة هذه السفاسف إلى أعلام الأمة إجرام لا يستهان به في حقها وحقهم، لم ينشأ إلا من الاستخفاف بأوامر الله الناتج عن الاستخفاف بوعيده الذي يتمثل في دعوى أن الموحد لا يُعذب، وإن عُذّب لم يخلد في العذاب.

---

[1] ضحى الاسلام، ج٣، ص: ٣٤٢، مكتبة النهضة المصرية.

ولست أنسى ما قاله لي الداعية الكبير العلامة المنصف الشيخ عبد العزيز عبد الستار: " لو أن الأمة أخذت بعقيدتكم في خلود صاحب الكبيرة في العذاب، لكان لها شأن في الصلاح والاستقامة والنزاهة والعفاف غير ما نراها عليه ".[1]

الثاني عشر: عدم مناقضة بعضهم بعضا وسب بعضهم البعض بل ولعن بعضهم البعض كما يفعل غيرهم وذكرته في باب: " الرد على من اتهم الإباضية بالتعطيل " نقلا من كتبهم.

الثالث عشر: منهجيتهم العلمية، وتبدوا واضحة فيما يلي:

(١) تحري الدقة في أحكامهم في كل شيء حتى مع الفرق الأخرى، ليس كما تفعل الفرق الأخرى حيث يبدو واضحا حكم الشرك على المسلمين في قول البغدادي في عدم جواز الصلاة خلف الفرق الأخرى ولا عليهم ولا مزاوجتهم، بالإضافة إلى من يكفّرون المسلمين ويستحلون دماءهم.

(٢) بعدهم عن الكذب على الفرق الأخرى لإظهار حجتهم عليهم كما رأيناه موجودا عند غيرهم.

(٣) سعة أفقهم ورحابة صدورهم حيث أنهم يتبعون الحق فيأخذون الأحاديث النبوية من جميع كتب السنة، وينقلون أقوال المخالفين وخاصة أئمة أهل السنة وكبار علمائهم ويرجحون أي قول يرون دليله أقوى بغض النظر عمن قاله، وهذا واضح في كتبهم.

الرابع عشر: عدالتهم الاجتماعية، فالمواطنون من الفرق الإسلامية الأخرى في ظل الدولة الإباضية لهم كافة الحقوق والواجبات التي يستحقها كل مسلم من إباضي وغيره، إلا الولاية (الحب في الله) وإن حدث ما يخالف ذلك فهو ظلم، المبادئ الإباضية بريئة منه.

---

[1] سماحة الشيخ أحمد الخليلي، الحق الدامغ، ص: ٢٢٦-٢٢٧، مكتبة مسقط.

الخاتمة

بدا واضحا أن الإباضية هم أهل الحق والاستقامة وإن ما قيل عنهم بأنهم أهل ضلال ليس إلا ضباب من الوهم يتلاشى مع ظهور الحق.

أسأل الله العلي القدير أن يوحد كلمة المسلمين على الحق وأن يؤلف بين قلوبهم، وأن يفرّق شمل أعدائهم إنه سميع مجيب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المراجع

(١) فقه السنة، سيد سابق، الفتح العربي الإعلامي، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٢) نيل الأوطار، الشيخ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مكتبة القاهرة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

(٣) قناطر الخيرات، الشيخ أبي طاهر إسماعيل بن طاهر الجيطالي، دار النهضة للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(٤) الدعائم، الشيخ أحمد بن النظر، طبع وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط٢، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.

(٥) جوهر النظام، العلامة نور الدين عبدالله بن حميد السالمي، دار المعارف، لبنان، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

(٦) تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، الشيخ نور الدين السالمي، مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان.

(٧) الكامل في التأريخ، ابن الأثير محمد بن علي بن عبد الكريم، دار الباز، مكة المكرمة، ط٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٨) الإباضية بين الفرق الإسلامية، الشيخ علي يحي معمر، طبع وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

(٩) الحق الدامغ، سماحة الشيخ أحمد الخليلي، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ١٤١٢هـ.

(١٠) وسقط القناع، سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ١٤١٢هـ.

(١١) أضواء على الإباضية، الشيخ علي يحي معمر، المطابع العالمية، روي، سلطنة عمان.

(١٢) المهذب من إحياء علوم الدين، الشيخ صالح أحمد الشامي، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(١٣) عمان والديمقراطية الإسلامية، د. حسين عبيد غانم غباش، دار الجديد، لبنان، ١٩٩٧م.

(١٤) أساس التقديس في علم الكلام، الإمام فخر الدين الرازي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

(١٥) البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، الدكتور فرحات الجعبيري، مطبعة الألوان الحديثة، سلطنة عمان.

(١٦) الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب، مكتبة مسقط، سلطنة عمان، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

(١٧) الكشف والبيان، الشيخ محمد بن سعيد القلهاتي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٤٠٠هـ.

(١٨) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، الشيخ محمد بن محمد الحسيني، دار الكتب العالمية، بيروت، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.

(١٩) الإمامة والسياسة، الشيخ محمد بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار المنتظر، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٢٠) ديوان السيف النقاد، الإمام إبراهيم بن قيس الحضرمي، ط٢، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.

(٢١) شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع، الشيخ نور الدين السالمي، المطبعة العمومية، دمشق، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

(٢٢) جامع أبي الحسن البسيوي، الشيخ علي بن محمد بن علي البسيوي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

(٢٣) كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة، الشيخ نور الدين السالمي، مخطوطة.

(٢٤) غاية المراد في الاعتقاد، الشيخ نور الدين السالمي، مخطوطة.

(٢٥) العقود الفضية في الأصول الإباضية، الشيخ سالم بن حمد الحارثي.

(٢٦) دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة، عبد الله الأمين، دار الحقيقة، بيروت.

(٢٧) الفرق الإسلامية مدخل ودراسة، د. عبد الفتاح المغربي، مكتبة وهبة، ط٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢٨) العدالة الاجتماعية في الإسلام، سيد قطب، ط٧، بيروت، ١٣٨٧هـ _ ١٩٧٦م.

(٢٩) البداية والنهاية، ابن كثير، دار المعارف، بيروت، الطبعة الرابعة.

(٣٠) الأصول الإيمانية لدى الفرق الإسلامية، الدكتور عبد الفتاح أحمد فؤاد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

(٣١) المدخل إلى دراسة الأديان والفرق والمذاهب، العميد محمد أسود.

(٣٢) الفرق بين الفرق، عبد القادر بن طاهر البغدادي، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

(٣٣) الكشف عن الإصابة في اختلاف الصحابة، محمد بن شامس البطاشي، مكتبة الضامري، مسقط، السيب.

(٣٤) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الاسلام منها، غالب ين علي عواجى، مكتبة أضواء المنار، المدينة المنورة، ١٤١٤ هـ.

(٣٥) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

(٣٦) زاد المعاد في هدي خير العباد محمد ﷺ، ابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣٧) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، مكتبة فرانز شتايز نفيسادن، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

(٣٨) الفصل في الملل والنحل، أبو محمد علي بن أحمد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

(٣٩) الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٧٧م.

(٤٠) التبصير في الدين، أبو المظفر شاهفور بن طاهر الإسفراييني.

(٤١) الإباضية، عبد العزيز بن محمد، دار طيبة، الرياض، ١٤١٢هـ.

(٤٢) أحكام السفر في الإسلام، علي يحيى معمر، مكتبة الاستقامة، روي، سلطنة عمان.

(٤٣) الذهب الخالص، محمد بن يوسف إطفيش، المطابع العالمية، روي، سلطنة عمان.

(٤٤) كشف الكرب، محمد بن يوسف إطفيش، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

(٤٥) قواعد الإسلام، أبي طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي، مكتبة الإستقامة، روي، سلطنة عمان، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

(٤٦) الإمام الربيع بن حبيب مكانته ومسنده، الشيخ سعيد بن مبروك القنوبي، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

(٤٧) الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
(٤٨) إسلام بلا مذاهب، الدكتور مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
(٤٩) التحرير والتنوير، لابن عاشور.
(٥٠) التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢- ٢٠٠١م.
(٥١) نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر، ناصر بن سالم البهلاني، الطبعة الثانية، مكتبة مسقط.
(٥٢) الحضارة الإسلامية، الدكتور محمد عمارة.
(٥٣) قراءة في كتب العقائد المذهب الحنبلي نموذجا، حسن فرحان المالكي، مركز الدراسات التأريخية، عمّان.
(٥٤) الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات، علي بن محمد الحجري، مطابع النهضة، مسقط.
(٥٥) القانون في عقائد الفرق والمذاهب الإسلامية، الدكتور محمد نعيم محمد هاني ساعي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة الطبعة الأولى، القاهرة.
(٥٦) دفع شبه التشبيه بأكف التتريه، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي.
(٥٧) شرح كتاب الكبائر الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الغد الجديد المنصورة.
(٥٨) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
(٥٩) تفسير الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، مكتبة عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.

الفهرس

تم بحمد الله

الإباضية في ميدان الحق

وإنما العيب تلك الحملة الهوجاء التي يشنها أصحاب بعض الفرق الإسلامية على الفرق الأخرى لمحاولة تشويه تلك الفرق وطمس حقيقتها وتفريق أمة الإسلام التي لا يستفيد منه إلا أعداء الله الذين يكيدون للإسلام ليل نهار بلا هوادة.

والإباضية ممن اصطلوا بنار الفتنة التي أوقدها هؤلاء المتعصبون الذين توجههم السياسة الماكرة وأهواؤهم النفسية معرضين عن تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي تدعو للوحدة وتحذر من الفرقة وتحذر من الكذب وظلم الآخرين وتدعو إلى العدل مهما بلغ بغض أولئك القوم يقول الله تعالى: { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ } (المائدة: 8).

مكتبة الأنفال
مكتبة الأنفال
سلطنة عمان - مسقط - الموالح الجنوبية
بالقرب من مسجد الصادق الأمين
ص.ب: ٥٩٣، الرمز البريدي: ١١١ - هاتف: ٩٩٤٤٦٦٣٠(٠٠٩٦٨)

التصميم والإخراج الفني موسى الكلباني 99452695

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/٣٠٧م